التاريخ العام

لأهم شرائع حضارات العالم القديم

دراسه

تاريخيه عن اهم النظم القانونية للحضارات الانسانية

التى ظهرت وتألقت فى شرق وغرب العالم القديم

(الجزء الثانى)

دكتور

سمير عبد المنعم ابو العينين

استاذ فلسفة وتاريخ القانون المساعد

ورئيس قسم القانون الخاص بكليه الشريعه والقانون

جامعة الأزهر - بطنطا

الناشر

دار النهضه المصرية

٩ شارع عدلى - القاهرة

٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم
عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير

صدق الله العظيم

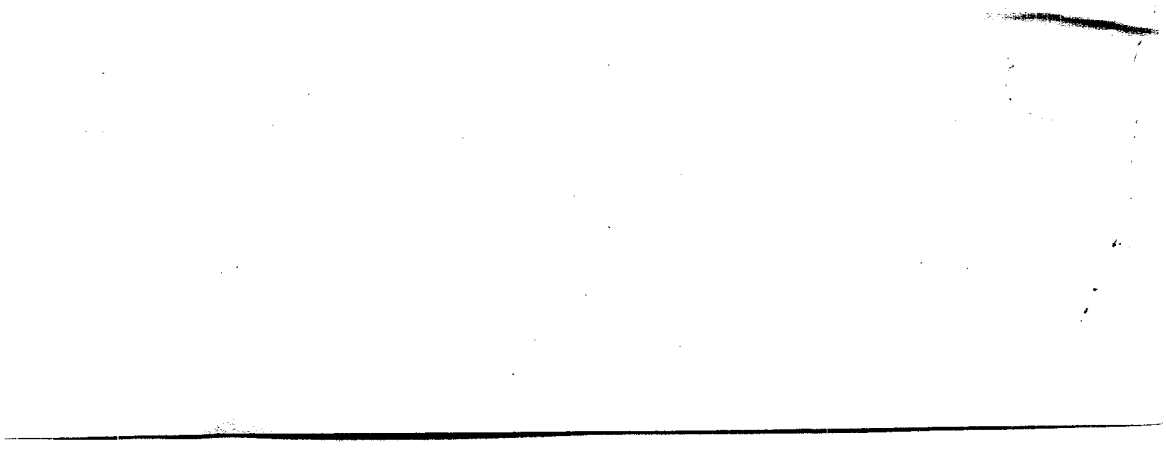

المقدمـــــة

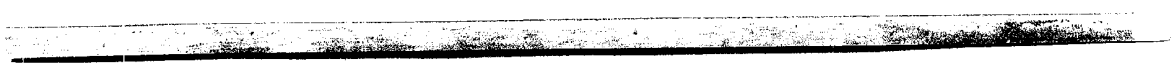

المقدمة

إن معرفة نظم وشرائع الماضى يساعد على الفهم الصحيح لمضمون قوانين الحاضر ، ويضئ الطريق للفكر القانونى فى المستقبل - لأن قانون الماضى كان من قبل حاضرا ، وقانون الحاضر سيكون في المستقبل ماضيا من خلال الحركة المستمرة لتطور حياة الشعوب عبر العصور المختلفة - وهذه الحتمية التاريخية التى تربط الحاضر بالماضى وتوضح الرؤية بالنسبة للمستقبل - قد جعلت علم القانون الذى رافق تطور الفكر الإنسانى فى جميع مراحله واجهة حضارية تعبر بصدق واقناع عن واقع كل مجتمع وما كان عليه فى الماضى من تقدم ورقى وازدهار ، لأن القانون ظاهرة اجتماعية ارتبط وجوده بوجود الجماعة حيث نشأ معها وتطور بتطورها منذ بداية الحياة الإنسانية .

لقد درجت دراسة تاريخ القانون وفلسفته ضمن الدراسات القانونية الهامة بداية من النصف الأخير للقرن الثامن عشر بعد أن ظهرت اتجاهات فقهية وفلسفية جديدة فى محيط الفكر القانونى تربط بين القانون والواقع الاجتماعى - أهمها المدرسة التاريخية التى أسسها العالم الألمانى (سافينى) ، حيث طرحت افكارها الفلسفية من أجل الربط بين القانون والمعطيات الاجتماعية . وقررت بان القانون يخضع لسنة التطور التاريخى

مثل كافة النظم الاجتماعية ، وأن هذا التطور حتمى ومرتبط بتطور روح الجماعة ومظاهر انشطتها المختلفة ، استنادا على أن القانون كظاهرة اجتماعية قد نبع من بيئة المجتمع الذى ظهر فيه وتطور بتطوره بعد أن تضمن ضمير الشعب وعبر عن رغباته وامانه فى الحياة - والآراء الفلسفية التى تزعمها بعض فلاسفة العصر الحديث نحو ضروره ربط القانون بالواقع الاجتماعى الملموس ، مثل الفيلسوف المصرى ابن خلدون الذى يعتبر من اوائل الفلاسفة الذين أكدوا ارتباط القانون بالعوامل الاجتماعية ، والفيلسوف الفرنسى (مونتسكيو) الذى أشار فى كتابه روح القوانين بان القانون لابد أن يكون خاصا بالشعب الذى وضع له وملائما لحاجاته ومستجيبا لمصالحه وأهدافه ومعبراً عن طبيعته وعاداته (١) ، والعالم والفيلسوف إهرنج الذى قرر ذلك فى عبارة دقيقة بان (روح الشعب وروح العصر يكونان معا روح القانون) (٢) .

وطي هدى هذه الاتجاهات الحديثة قد أصبح نطاق علم القانون حاليا (طبقا لاتفاق جميع الفقهاء) يشمل دراسة كافة النظم القانونية فى الحاضر والماضى والمستقبل ... فالنظم القانونية الحاضرة ويطلق عليها

(١) د. حمدى عبد الرحمن - فكرة القانون - طبعة ١٩٧٩ - القاهرة دار الفكر العربى ص ٦٢ - ٦٩

(٢) د. محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية . الطبعة الأولى ١٩٧٠ القاهرة . دار العلمى للطباعة - مكتبة القاهرة الحديثة ص ١ (المقدمة)

القانون الوضعي (droit positif) تهدف دراستها إلى تحديد احكامها السارية وبيان ما ترتبه من آثار معينة عند التطبيق – والنظم القانونية التي كانت سارية في الماضي ويطلق عليها تاريخ القانون Histoire du droit فان دراستها من خلال العودة إلى جذورها التاريخية سوف توضح مراحل ظهور القواعد القانونية وتبين العوامل والأسانيد التي ساعدت هي نموها وتطورها والآثار التي ترتبت عليها في المجتمعات القديمة ومدى ارتباطها بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية السياسية والثقافية والدينية التي تفاعلت مكوناتها في تلك الأزمان – أما بالنسبة لدراسة الوضع الذي يجب أن تكون عليه قواعد القانون في المستقبل ويطلق عليها ما يسمى بعلم التشريع (السياسة التشريعية) La science de la législation فان الهدف منها هو إضاءة الطريق لكشف الأوضاع المستقبلية والظروف المستحدثة التي ستنتج من خلال تطور الحياة الإنسانية للاسترشاد بها في وضع قوانين جديدة أو تعديل أو تغير بعض القواعد القانونية المعاصرة من أجل أن يتم التمكن من مواجهة هذا التطور بفاعلية وانتظام وتوجيه دعائمه نحو تحقيق الخير والصلاح للمجتمع وتلبية مطالب الشعب في الوصول إلى أهدافه وأمانيه

وإذا كان نطاق علم القانون يتضمن ثلاثة دراسات قانونية الأولى دراسة معاصرة للقانون المطبق فعلا في الوقت الحاضر والثانية دراسة

تاريخية وفلسفية للتطورات التى مرت بها النظم القانونية عبر العصور المختلفة والثالث دراسة مستقبلية لما ينبغى أن تكون عليه النظم القانونية فى المستقبل – فأن الذى يهمنا هنا من هذه الدراسات القانونية هي الدراسة التاريخية والفلسفية التى يطلق عليها تاريخ القانون وفلسفته ، وذلك من أجل أن نحدد بوضوح ايجابات مقنعة عن كيفية ظهور القانون فى المجتمعات الإنسانية القديمة ومراحل تطوره ، ومدى ارتباط قواعده بأوضاع المجتمع وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية – وهذه الدراسة تحتوى على موضوعين أساسين على جانب كبير من الأهمية .

الأول : يتضمن دراسة عن تاريخ مصادر القاعدة القانونية فى العصور المختلفة من أجل الوصول إلي معرفة العوامل التى ساهمت فى تكوينها مثل التقاليد الدينية والعرف وآراء الفقهاء وأحكام القضاء ثم التشريع .

والثانى : يشمل دراسة تتعلق بتاريخ النظم القانونية ذاتها دون الاهتمام بمصادرها سواء كانت نظم تخص القانون العام أو القانون الخاص – وحيث أن النظام القانونى عبارة عن مجموعة القواعد القانونية التى تنظم موضوع معين مثل نظام الحكم ، ونظام الزواج ، ونظام الأسرة ، ونظام الملكية ونظام التعاقد ... الخ – فان مجال هذه الدراسة تد: منا بحكم

إرتباط القانون بالمجتمع إلى ضرورة التعرض لمسائل وموضوعات تدخل فى نطاق علوم الاجتماع والسياسية والاقتصاد والدين – وذلك لأن النظم القانونية لم تظهر مصادفة وإنما كانت وليدة ظروف المجتمع وثمرة تطوره (١) .

أهداف دراسة تاريخ القانون وفلسفته

لقد أصبحت الآن دراسة تاريخ القانون وفلسفته طبقا لاعتراف جميع علماء القانون تحتل المقام الأول فى مجال الدراسات القانونية وذلك لأهداف عديدة بعضها ذات فائدة عملية ، والبعض الآخر ذات فائدة علمية – أهمها :

أولا ، بالنسبة لدراسة تاريخ القانون

١ – القانون كواقع اجتماعى ، فان دراسة تاريخه وفلسفته ستعطى صورة متكاملة عن السمات الحضارية التى كانت عليها المجتمعات الإنسانية فى العصور السابقة . لأن القانون يعد أفضل مقياس لحضارة كل مجتمع حيث يظهر بوضوح طبيعة حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والفكرية ، ويكشف باقناع ما وصل إليه من تقدم ورقى وازدهار – وذلك مثل مجموعة قوانين مصر الفرعونية كتقنين تحوت ووبوكخوريس وامازيس التى تعبر بصدق عن سمو ومجد الحضارة المصرية القديمة ،

(١) د. صوفى أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – طبعة ١٩٦٧ م – القاهرة دار النهضة العربية . ص ١٠ ، ١١ .

وقانون حمورابى الذى يعبر عن تالق ورقى حضارة بلاد ما بين النهرين ، وأيضا قانون مانو فى الهند القديمة ، وقانون دراكون وصولون فى بلاد الإغريق ، وقانون الألواح الاثنى عشر الذى عتبر من أهم ثمرات الفكر القانونى لحضارة الرومان .

٢ – كثير من النظم القانونية المعاصرة بعضها يعتبر تهذيبا لنظم سابقة والبعض الآخر يعمل فى جوهره أسانيد نظم قانونية كانت سائدة فى الماضى وطي الأخص في العصور القديمة مثل :

أ – نظرية القوة القاهرة والحادث الفجائى التى تبرر عدم قيام المدين تنفيذ ما عليه من التزام إذا استحال تنفيذه نتيجة ظرف طارئ لا يد له فيه ولم يتوقع حدوثه أو كان فى إمكانه دفعه – فان هذه النظرية التى أخذت بها جميع القوانين المدنية الحديثة ترجع فى أصولها إلى قانون حمورابى الذى صدر فى الفترة من (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق. م) حيث نص عليها فى المادة ٤٨ بالآتى : –

[إذا كان أحد مدينا وكان الاله (اداد Adad) قد أغرق الأرض التى زرعها ، أو أن المحصول قد خسر أو الزرع لم ينبت لعدم وجود الماء ، فليس له أن يدفع للدائن فى تلك السنة قمحاً أو سمسماً ، بل عليه أن يغرق صحيفة الاتفاق فى الماء] .

ب – نظرية عدم جواز تقاضى فوائد على متجمد الفوائد ، وعدم جواز مطالبة المدين بأكثر من ضعف الدين – أى عدم جواز تقاضى فوائد تزيد على أصل الدين – فان هذه النظرية المقررة حاليا فى معظم التشريعات المدينة الحديثة يرجع أصلها إلى القانون الذى أصدره الملك بوكخوريس مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين لمصر الفرعونية في الفترة من (٧٢٠ – ٧١٥ قبل الميلاد) حيث أوردها ضمن الأحكام التى استحدثها فى تنظيم العقود مثل عقد القرض وخاصة عندما جعل الحد الأقصى للفائدة ٣٠ ٪ بالنسبة لفوائد النقود ، ٣٣,٥ ٪ بالنسبة لفوائد الحاصلات الزراعية (١) .

٣ – ان بعض النظم القانونية الحالية لايمكن فهم مضمونها علي الوضع الصحيح إلا بالارتداد إلى جذورها التاريخية لكشف أسباب نشأتها وما مرت به من تطورات وتعديلات – مثل التفرقة بين الحق العينى والحق الشخصى فلا يمكن بأى حال من الأحوال فهمها فهما صحيحا إلا بالعودة إلى أصل هذه التفرقة في القانون الرومانى .

٤ – هذه الدراسة تساعد على البحث بدقة عن أصول نشأة قواعد القانون وظروف وضرورات استمرار وجودها – وهذا يرشدنا عن النظم القانونية

---

١ – د. عبد السلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون . الطبعة الأولى ١٩٦٤ م . كلية حقوق جامعة حلب . سوريا . ص ٦٠٥ . ٦٣ .

التي عفا عليها الزمن وأصبحت غير ملائمة لحالة المجتمع ويتحتم الغاؤها أو تعديلها – أى أن تاريخ القانون يزيد من قوة الإدراك للحكم علي النظم القانونية التى كانت سائدة من قبل حكما صحيحا ويوفق بين الرغبة الشديدة فى المحافظة على التراث القانونى وحاجة المجتمع الملحة إلى الابتكار والتجديد لمسايرة الظروف المعاصرة .

٥ – تعتبر هذه الدراسة من أهم الدراسات اللازمة لتنمية الملكة القانونية لدى جميع المهتمين بدراسة القانون – كما توسع افاق الباحثين فى التعرف على طبيعة قواعد القانون وأبعاد مضمونها وتزيد من قدرتهم فى دراسة مشاكل الحياة العملية التى يعالجها القانون ، وتضئ لهم طريق المعرفة للتنبؤ بالتطورات التى ستحدث لبعض النظم القانونية فى المستقبل (١) .

ثانيا : بالنسبة لدراسة فلسفة القانون

١ – تساعد المهتمين بالدراسات القانونية في الوصول إلى الضوابط الأساسية التي تحدد طرق البحث الدقيق عن أساس القانون وطبيعة قوته الإلزامية في تنظيم السلوك الإنسانى والعلاقات المختلفة .

---

١ – صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ١٢ – ١٤

٢ - تنير الطريق للباحث لكي ينطلق ويهتدي إلى الوسائل التى يستند عليها في كشف الدعائم التى تساعده فى الوصول إلى أفضل الحلول المقنعة للمشاكل التى تطرح من خلال الحياة العملية وتتطلب ضرورة تدخل القانون لعلاجها لكى تستقيم الامور داخل المجتمع .

٣ - تعتبر من أهم العوامل التى تحدد المعايير الأساسية لجوهر القانون ذاته - حيث تساعد علي ايضاح المفهوم الدقيق لمضمون كل قاعدة والغرض من وجودها والآثار التى ستترتب على تطبيقها فى محيط الحياة الاجتماعية

٤ - حيث أن الفلسفة معناها حب المعرفة للوصول إلى الحقيقة . فان الوصول إلى حقيقة القانون وحتمية وجوده في الحياة الإنسانية ليس من خلال الأفكار السطحية عن مظاهر تطبيقه أو بالالتفات حول محيطه الخارجى - وإنما باختراق جوهره الذاتى والهبوط إلي عمق أساسه لكى نصل إلى أصل فكرته والغرض الأكيد من مضمونها . وذلك كمرحلة أولى فى دائرة البحث للوصول إلى الحقيقة - حيث أن هناك مرحلة أخرى تتطلب ضرورة الفحص الدقيق من خلال المجهود العقلى المستنير لكى يهتدى العقل إلى المواد أو العناصر التى كونت الأساس الذى يحمل فكرة هذا القانون ، واشتركت فى تشيده وبناء هيكله بصورة متكاملة ومجسدة ،

وجعلته محدد معالم وواضح الرؤية - وهذا يتم اثناء تتبع مراحل ظهور القانون منذ بداية تكوين الجماعات البدائية .

٥ - هذه الدراسة تساعد على الفهم العميق للمبادئ القانونية الهامة التى تكونت ورسخت على مر العصور وتوارى وراءها قواعد ونظم قانونية محددة شكلت الإطار العام لدائرة القانون مثل مبدأ حسن النية ، ومبدأ الوفاء بالعهد ، ومبد العقد شريعة المتعاقدين ، ومبدأ عدم التعسف فى استعمال الحق ، ومبدأ عدم الأثراء على حساب الغير ، ومبدأ من يحدث ضررا للغير يلتزم بالتعويض - حيث أن هذه المبادئ قد ظهرت من معطيات طبيعة الحياة الإنسانية عبر الزمان . والهمت القواعد والنظم القانونية بالمادة الفكرية التي على أساسها صيغت فى مضمون محدد ذى صفة عامة مجردة لكى تقوم بفاعلية بضبط السلوك الإنسانى وتنظيم أمور العلاقات الختلفة سواء بين الأفراد أو بين الجماعات من أجل الصلاح وتحقيق الخير العام

مناهج دراسة تاريخ القانون وفلسفته

حيث أن الهدف من دراسة تاريخ القانون وفلسفته هو الاهتداء إلي النظم القانونية التي كانت سائدة فى الماضى سواء كان هذا الماضى بعيد أو قريب - فاننا نرى لكى نصل إلى الحقائق المقنعة من خلال هذه الدراسة

ضرورة اتباع ثلاثة مناهج نغوص بها فى أعماق الماضى لكى نتفق مع المعايير الموضوعية الشاملة لعلم القانون

الأول منهج محلى

ويتضمن دراسة خاصة لتاريخ النظم القانونية ومصادرها فى حضارة معينة أو فى دولة من الدول التى ظهرت فى العصور السابقة - مثل دراسة النظم القانونية لدولة الحثيين أو لدولة الفرس ، أو لحضارة مصر الفرعونية ، أو لحضارة بلاد ما بين النهرين ، أو لحضارة الإغريق ، أو لحضارة الرومان - ويؤخذ على هذه الدراسة بأنها تقتصر فقط على نطاق محدد حيث سيكون مجالها محصور فى المحيط الاجتماعى لهذه الحضارة أو الدولة فقط دون سائر الحضارات أو الدول الأخرى

الثانى منهج إقليمى

نطاق الدراسة فيه أكثر اتساعا من المنهج الأول حيث تشمل مقارنة النظم القانونية ومصادرها فى بعض الحضارات أو الدول التي يجمعها إطار إقليمى معين أما على أساس التجاور الجغرافى مثل مجموعة الحضارات الشرقية ، أو الحضارات الغربية القديمة ، أو مجموعة الدول الأفريقية أو الأسيوية أو الأوروبية أو الأمريكية - وأما على أساس معيار القومية مثل

مجموعة الدول العربية – وهذه الدراسة وإن كانت تهدف إلى استخلاص المبادئ العامة لنشأة القانون ومراحل تطوره لدى بعض الحضارات أو الدول التى يجمعها الإطار الإقليمى – إلا أنه سيتحقق من خلالها تحديد أوجه التشابه بين النظم القانونية التى كانت سائدة فى هذه الدول أو الحضارات الإقليمية ومدى تمايزها أو اختلافها مع النظم القانونية التى كانت تطبق فى الحضارات أو الدول الأخرى التى عاصرة فترة وجودها – مثل أن الحضارات الشرقية القديمة قد تشابهة فى نظم قانونية معينة لم تطبق فى الحضارات الغربية (الإغريق والرومان) نتيجة عدم تناقسهما فى بعض نواحى الطابع الاجتماعى من أثر الاختلاف عوامل البيئة والظروف الطبيعية

ثالثا المنهج العالمى (المقارن)

ويشمل دراسة عامة مقارنة لتاريخ القانون وفلسفته لدى سائر الدول أو الأمم أو الحضارات القديمة دون التقيد بإحداها أو بمجموعة إقليمية معينة وذلك من أجل أن نصل إلى نتائج ونظريات شبه عالمية عن مراحل ظهور القانون ومدى ارتباطه كظاهرة اجتماعية بتطور المجتمعات الإنسانية علي مر العصور المختلفة .

وإذا كان جميع الباحثين فى دراسة تاريخ القانون وفلسفته قد جرت عادتهم علي اتباع المنهجين الاقليمى والعالمى فقط – فان السبب الذى دفعنا

إلى الانفراد بطرح هذه المناهج الثلاثة إى بإضافة منهج ثالث وهو المنهج المحلى إلى المنهجين الإقليمى والعالمى يرجع إلى الآتى

١ - أن جميع الباحثين يستخدمون المنهج الإقليمى على أساس انه يختص بدراسة النظم القانونية فى حضارة معينة أو فى دولة واحدة فقط - فى حين أن هذا المنهج ما هو إلا منهج محلى وليس إقليمى - حيث أن المفهوم الدقيق لمعنى (اقليمى) طبقا لما هو مستقر فى الفقه الداخلى والدولى هو عبارة عن مجموعة من المجتمعات الحضارية أو مجموعة من الدول المعينة التى ترتبط داخل إطار معين أما جغرافيا أو قوميا وتتميز (كما سبق وإن وضحنا) عن الدول أو الحضارات الأخرى التى عاصرة فترة وجودها - وبالتالي من الأفضل عدم استخدام المنهج الإقليمى محل المنهج المحلى الذى يختص فقط بدراسة تاريخ القانون وفلسفته في دول واحدة أو فى حضارة معينة دون سائر الدول أو الحضارات الأخرى حتى تتفق خطوط هذه الدراسة مع الأساليب الفنية للدراسات الحديثة لعلم القانون

٢ - أن اتباع دراسة المنهج الإقليمى فى معناه الصحيح سوف يوضح أن بعض المجتمعات القديمة التى كانت تتجاور جغرافيا قد تشابهة فى معظم أسس تكوينها وتطورها ونموها الحضارى ، وفي مراحل ظهور

القانون وتطبيقه – واختلفت فى بعض النظم الاجتماعية والقانونية مع المجتمعات الحضارية التى كانت تتجاور جغرافيا فى مناطق أخرى – وأن هذا سيدفعنا إلي التعمق فى الدراسة للوصول إلى الدعائم التى أدت إلى هذا التناسق الإقليمى ، وكشف العوامل التى تسببت فى عدم التشابه الكامل بين كل نظام إقليمى وأخر .

٣ – دراسة جميع هذه المناهج الثلاثة سيؤدى إلى دقة البحث والفهم العميق لتاريخ القانون وفلسفته – لأن دراسة كل منهج سوف تدعم دراسة المنهجين الآخرين بأسانيد وأسس عديدة – وإن هذا سيدفع إلى بلورة المفاهيم وتبويب الأفكار فى حلقات متصلة للإلمام الشامل بكل النواحى التاريخية والفلسفية لعلم القانون فى العصور السابقة ، واثبات الحقيقة بان القانون قد عبر عن ضمير الجماعات الإنسانية منذ بداية ظهورها واندمج معها فى مراحل تطورها التاريخى .

خطة البحث

لكي نقدم دراسة تتسم إلي حد ما بالشمول والموضوعية عن أهم نظم وقوانين الحضارات القديمة ، سنعرض أولاً في ضوء مفهوم المنهج الإقليمي حضارات الشرق الأوسط .

وأهمها في ضوء المنهج المحلي . حضارة مصر القديمة وحضارة بلاد ما بين النهرين والمجتمع اليهودي - ثم نعرض ثانياً في ضوء مفهوم المنهج الإقليمي حضارات الشرق الأقصى وأهمها في ضوء المنهج المحلي حضارة الصين وحضارة الهند ، ثم نعرض ثالثاً في ضوء المنهج الإقليمي الحضارات الغربية وأهمها في ضوء المنهج المحلي ، حضارة الإغريق وحضارة الرومان - ولذلك ستكون خطة دراستنا علي النحو التالي :

الباب الأول : أهم النظم القانونية لحضارات ومجتمعات الشرق الأوسط القديمة .

الباب الثاني : أهم النظم القانونية لحضارات الشرق الأقصي القديمة .

الباب الثالث : أهم النظم القانونية للحضارات الغربية القديمة .

الباب الأول

أهـــم النـــظم القانونية
لحضارات الشرق الأوسط

تقديم:

أن بذور الحياة البشرية قد نبتت فى الشرق الأوسط الذى أضئ فيه نور الإنسانية بكل الأديان السماوية، وتأسست فيه كل العلوم و النظم القانونية و الاجتماعية و الاقتصادية و اكتملت تحت سمائه كل القيم و المبادئ الأخلاقية - فحضارات الشرق الأوسط هى التى رسمت معالم طريق الحياة الإنسانية لمعظم المجتمعات القديمة الأخرى وبثت فيها روح النظم الحضارية.(١)

و إذا كانت حضارة مصر الفرعونية التى تعتبر أهم حضارات الشرق الأوسط قد نشأت ونمت وتطورت على ضفاف نهر النيل(٢) - فان كل حضارات الشرق الأوسط التى ظهرت وعاصرت مجد العصر الفرعونى قد نشأت أيضا على ضفاف الأنهار، وهى حضارة بابل وأشور التى تكونت فى أحضان نهرى دجلة و الفرات و أطلق عليها نظير

---

١ - هنرى توماس: أعلام الفلاسفة . نيويورك ١٩٦٢ ترجمة منرى أمين . مراجعة وتقديم د. زكى نجيب محمود . الطبعة الأولى ١٩٦٤ . القاهرة . دار النهضة العربية . ص٣ وما بعدها.

٢ - د. صوفى حسن ابو طالب: مبادئ تاريخ القانون . ١٩٦٧ القاهرة .دار النهضة العربية ص٤٠٢ وما بعدها.

ذلك حضارة بلاد ما بين النهرين(١) - وإسرائيل التـــى ذاقـت طعـم الاستقرار واتحد شعبها فـــى أرض كنعان بفلسطين حـــول الســـهول الخصبة لنهر الأردن ولإيضاح الطابع الحضارى للنظم القانونية التـــى ظهرت وطبقت فى مجتمعات الشرق الأوسط وما بينهما من تقـــارب وتباين سنعرض الاتى:-

الفصل الأول: النظم القانونية لحضارة مصر الفرعونية .

الفصل الثانى: النظم القانونية لحضارة بلاد ما بين النهرين.

الفصل الثالث: نظم وأحكام الشريعة اليهودية.

١- د. عبد السلام الترمانينى: محاضرات فى تاريخ القانون الطبعة الاولى ١٩٦٤ كليـه الحقوق جامعة حلب . سوريا ص٥٢.

الفصل الاول

النـــظم القانـونـية
لحضارة مصر الفرعونية

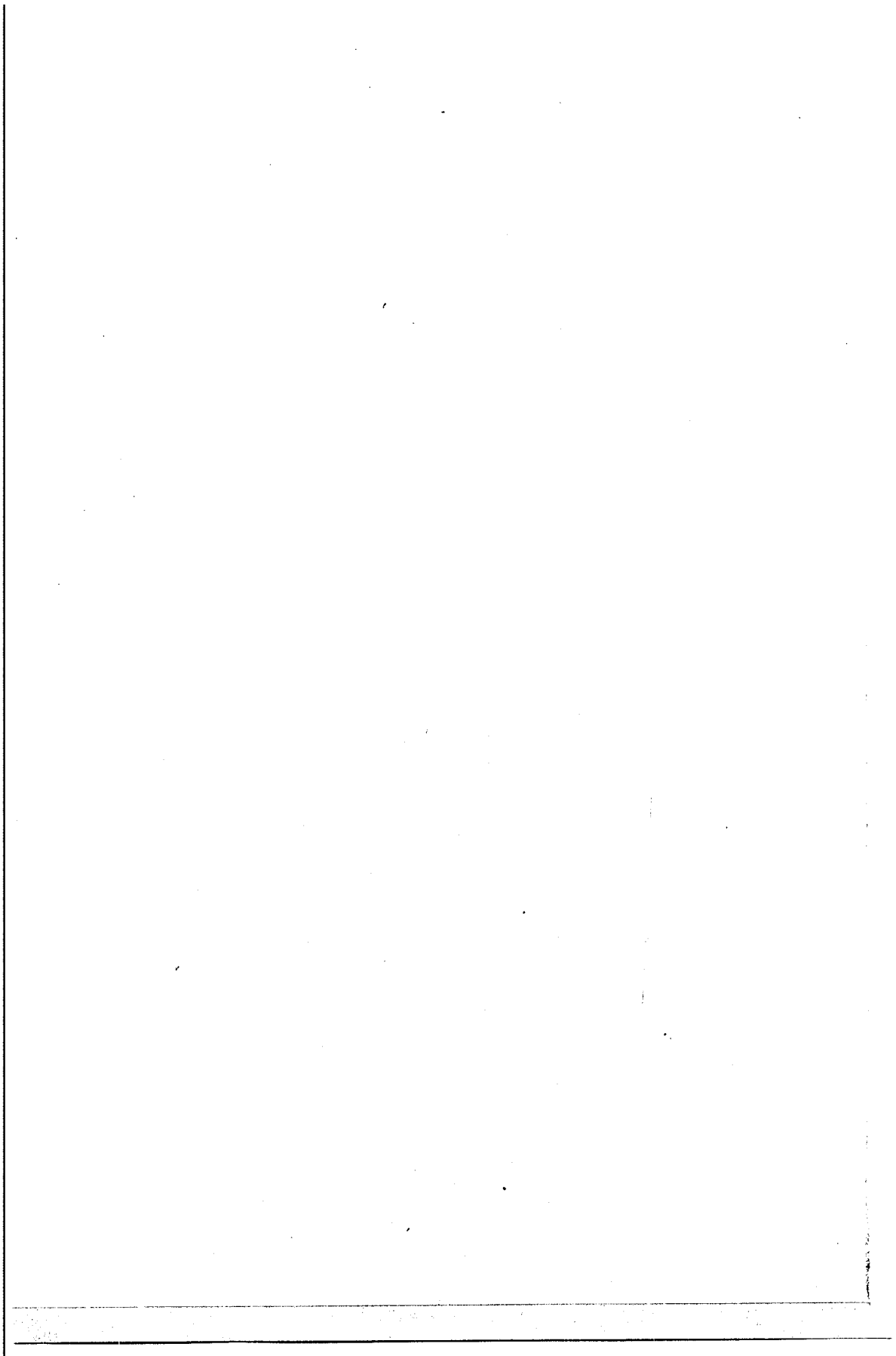

تقـــديم :

تكونت على ضفاف نهر النيل أروع حضارة إنسانية في تاريخ البشرية شيدت على أسس قانونية وروابط روحية وأخلاقية منذ ما يقرب من ستين قرنا - فقد أبهرت حضارتها جميع المؤرخين فى مختلف العصور واعتبروها أولى حضارات العالم (١) - حيث كان المصريون القدماء أول من أعطوا صياغة كاملة لعلم الكلام البشرى من خمسة آلاف سنة ، وأول من اظهروا فنونا مبدعة فى فن الكتابة من أربع آلاف سنة ، وأول من مارسوا الطب باتقان وعلاج المرض بدقة (٢) - كما إخترعوا علم التقويم الشمسى عام ٤٢٤١ ق. م ، وعلم التحنيط لأجساد الموتى منذ خمس آلاف سنة ، وبرعوا في كافة العلوم الإنسانية - وكانت المعابد المصرية القديمة تشبه الجامعات ويدرس بها جميع العلوم والتاريخ والفلسفة . (٣)

---

(١) د محمود سلام زناتى/ تاريخ القانون المصرى / طبعة ١٩٧٣ القاهرة / ص ١١

(٢) جاك س ريسلر الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون مراجعة د أحمد فؤاد الأهوانى (غير معدد سنة الطبع) الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ص ١٥

3 - J. H. Breasted A History of Egypt Part 1 London 1948 P 14

- فقد زار شيخ المؤرخين (هيرودوت) مصر في الفترة من ٤٧٠ - ٤٣٦ ق . م وانبهر بحضاراتها العظيمة ونظم التعليم في معابدها ، وقال (إن أكبر جامعة في مصر كانت جامعة أون (عين شمس) ، وكهنتها كانوا أعظم العلماء وأعلم الناس بالتاريخ في عصرهم - وأنه في تلك الجامعة تعلمت كل العقول الكبيرة في التاريخ القديم منهم موسى عليه السلام ، وطاليس ، وصولون ، وأفلاطون - وكذلك كان يوجد في معبد الكرنك بطيبة ومعابد منف وأدفو جامعات راقية سميت ببيوت الحياة ، وكان يعلم بها كل العلوم الإنسانية كالكتابة ، والجغرافيا ، والقانون ، والطب ، والحساب ، والهندسة ، والمساحة ، والموسيقى ، وعلم الحياة والعمارة) . (١)

استطاعت مصر القديمة أن تكون امبراطورية عظيمة . حيث امتد سلطانها علي الأقاليم المجاورة في أسيا وأفريقيا - وكان يوجد لملك مصر نواب يشرفون على إدارة هذه الأقاليم وتنظيم شئونها - وعلى الرغم من اتساع هذه الامبراطورية كان شعبها متقاربا ومتضامنا ضد أي اعتداء أجنبي (٢) - كما كانت جميع المدن والقرى علي اتصال دائم حيث كانت توجد

---

(١) هنري جونسون تدريس التاريخ ترجمة وتقديم د. أبو الفتوح رضوان طبعة ١٩٦٥ القاهرة ، دار النهضة العربية ص ٧٢ .

(٢) جورج سارتون تاريخ العلم . ترجمة لفيف من العلماء باشراف نخبة مؤلفة من د . ابراهيم بيومي مدكور . د . محمد كامل حسين ، د . قسطنطين زريق ، د . محمد مصطفى زياده الطبعة الثالثة ١٩٧٨ . دار المعارف بالقاهرة . ص ١٦ وما بعدها

شبكة من الطرق جمعت بينهم فى سهولة ويسر - وبذلك تطورت الحضارة المصرية واصبحت من أرقي الحضارات في الوقت الذى كانت فيه معظم شعوب العالم القديم غارقة فى الفوضى وعدم الاستقرار (١) - فقد كان المصريون القدماء يتحلون بالأخلاق الحميدة وحياتهم يملؤها الود والبهجة والتسامح حتى مع الارقاء ، وقوانينهم كانت عادلة ومرتكزة على أسس من القيم و المبادئ الأخلاقية (٢) - كما كانوا من أعظم شعوب العالم تدينا وأكد ذلك هيرودوت حيث قال (ان أشد الأمم تدينا هم المصريون القدماء ، ولم يعرف شعب بلغ فى التدين درجتهم ، فجميع صورهم تمثل أناسا يصلون أمام إله ، إن فلسفة المصريين نفسها ليست إلا صورا للعقيدة وأعمالا للفكر الأخلاقى) (٣) ، ورغم أن الديانات المصرية القديمة كانت بها أوهام وعقائد فاسدة إلا أن الآداب التى اشتملت عليها ، والفضائل التي كانت تدعو إليها ، كانت معينا خصبا للديانات الغير منزلة للشعوب الأخرى - حيث تضمنت أحسن مبادئ الخير والحكمة . (٤)

---

(١) د. أحمد كمال ، د. كرم حبيب . علم الاجتماع المصرى مرجع سابق ص ٤٣ .

(٢) جاك س. ريسلر . الحضارة العربية مرجع سابق ص ١٥ .

(٣) فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة مقارنات الأديان . الديانات القديمة . طبعة ١٩٦٥ القاهرة . دار الفكر العربى ص ٥

(٤) د . محمد عبد الهادى الشناوى مذكرات فى تاريخ القانون المصرى طبعة ١٩٨٤ القاهرة ص ٧٤

بالإضافة إلى ذلك فقد عرف الشعب المصرى القديم التوحيد – وتوجد دلائل أكيدة بان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد زار مصر وبان أنبياء كثيرين قد عاشوا في أرضها (١) – وفى ذلك يقول عالم التاريخ هنرى جونسون بان (الأمة المصرية القديمة كانت من أقوى شعوب العالم فى التمسك بالعقيدة الدينية ، وأن الشعب المصرى من أسبق الأمم فى اعتناق المسيحية) .(٢)

– فقد بدأت الحياة على أرض مصر منذ عصور ما قبل التاريخ حيث تجمع أوائل المصريين القدماء حول نهر النيل العظيم وكانت حياتهم المعيشية تعتمد على جني الثمار وصيد الأسماك والحيوانات والطيور فى العصر الحجرى القديم – ومع بداية العصر الحجرى الحديث تلونت صورة المعيشة فى مصر بلون حياة جديدة مليئة بالاستقرار حيث تمكن السكان من زراعة الأراضى وتربية المواشى وتحول الاقتصاد المصرى من اقتصاد يعتمد على جمع الغذاء (جمع القوت) إلى اقتصاد منتج للغذاء – وهذا التحول قد سبقت به مصر القديمة مجتمعات عصرها وتقدمت عليها حضاريا فترات طويلة (٣) – حيث أصبح المصريون يعيشون فى قرى صغيرة ويرتدون الملابس

---

(١) جاك س . ريسلر الحضارة العربية مرجع سابق ص ٢٠ .

(٢) هنرى جونسون تدريس التاريخ مرجع سابق ص ٧٧

(3) J. Pitenne : introduction a l'historie du droit égyption . AHDO. 11 . 1938 . PP 25 - 35 .

ويصنعون الأدوات البسيطة والتماثيل ويدفنون موتاهم فى قبور ، واستمروا فى هذا التطور بخطوات سريعة مليئة بالتعاون والتضامن المشترك حتي كونوا حضارة فاحت منها أعظم الامور الإنسانية قبل بداية تاريخ مصر الرسمى . تأثرت بها معظم المجتمعات القديمة التى كانت تجاور حدودها (١) – ولذلك كتب لمصر أن تعيش حياة حضارية وتظهر كمجتمع إنساني شمل بأمور الحياة المستقرة ، وتوازنت فيه سبل الأمن والأمان قبل الشعوب الأخرى التى ظهرت في مناخ العالم القديم بعدة قرون (٢) .

ورغم قلة المصادر التاريخية عن الحضارة المصرية في عصر ما قبل التاريخ (العصر الحجرى القديم والحديث قبل عهد الأسرات) . فقد توصل المؤرخون إلى نتائج تفيد بأن المصريون قد انتقلوا سريعا من حياة العصر الحجرى القديم الذى كان يعتمد اقتصاده على جمع القوت ويسوده نظام الأسرة الأمية من الناحية الاجتماعية – إلى العصر الحجرى الحديث الذى مارسوا فيه الزراعة وتربية الحيوانات ، واستعمال المعادن والاستقرار فى قرى قريبة من وادى النيل ، وساد بينهم نظام الأسرة الأبوية . ثم انتقلوا إلى عصر المدنية بعد أن تجمعت القرىَ المتجاورة وكونت وحدات اقليمية مستقلة

---

(1) DE Morgan : Recherches sur les origines de L`Egypte . Paris . 1896 . PP. 14 - 20 .

(٢) د محمّد السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ١٠٥ - ص ١٠٨ .

رأس كل منها زعيم أو ملك وأصبح لكل منها إله خاص بها [1] وقد رتب الأثريون الحضارات التى ظهرت فى مصر فى تلك الفترة ودلت عليها الكشوف الأثرية على النحو التالى .

١ - حضارة (العمرى) وهى حاليا منطقة حلوان بالقاهرة . وقد ظهرت حوالى سنة ٥٠٠٠ ق . م .

٢ - حضارة (تاسا) وهى منطقة تقع حاليا فى أسيوط . ظهرت حوالى عام ٤٨٠٠ ق . م .

٣ - حضارة (البدارى) وتقع أيضا فى أسيوط . وظهرت حوالى عام ٤٥٠٠ ق . م .

٤ - حضارة (مرمدة) وكانت في منطقة تقع حاليا فى غرب الدلتا . ظهرت حوالى عام ٤٤٠٠ ق . م

٥ - حضارة (جرزة الفيوم) . وظهرت فى الفترة من ٣٩٥٠ - ٣٤٠٠ [2] ق . م .

وهذا دليلا على أن الحضارة المصرية القديمة تعتبر من أرقى الحضارات التى عرفتها البشرية فى العالم القديم . وأن سكان مصر كونوا

---

1 J. Pirenne . op cit . P 31

(٢) د . صوفى أبو طالب مبادى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤١٢ . ٤١٣

أقدم مجتمع إنسانى عظيم منذ بداية عصور التاريخ ، واستطاعوا أن يضمنوا لنفسهم الغذاء والاستقرار وأن يجمعوا بين أيديهم السيطرة الكاملة على كل سبل التقدم والازدهار الحضارى(١) - وإيضاحا لذلك سوف نعرض أولا جذور العصر الفرعونى من خلال التقسيمات التاريخية المختلفة التى أوردها العلماء والمؤرخين لتأصيل مجد المصريين القدماء تاريخيا وحضاريا - ثم نشير إلى النظم والشرائع التى تكونت فى هذا العصر وتبلور مضمونها فى أفق الفكر القانونى لدى جميع الحضارات الأخرى التى ظهرت فى العصور القديمة .

---

(١) د. محمد عبد الهادى الشقنقيرى مذكرات في تاريخ القانون المصرى مرجع سابق ص ٤٨٤ .

المبحث الأول

التقسيم التاريخي للعصر الفرعوني

إذا كانت الحضارة المصرية القديمة قد قامت وتألقت منذ حوالى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد - إلا أن معظم المؤرخين والعلماء يعتبرون عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد هو نقطة البداية لتاريخ مصر الفرعونية (*) - وأن الفترة السابقة تعتبر من قبيل عصور ما قبل التاريخ - وذلك على أساس أنهم قد حددوا نتيجة اعتمادهم على الكشوف الأثرية الحديثة ، بان بداية حكم الملك مينا الذى وحد أقاليم مصر في الشمال والجنوب فى دولة واحدة في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد (حوالى ٣٢٠٠ ق م) كانت البداية الواقعية لأحداث تاريخ مصر الذى استمر حتى طويت صفحاته عقب أن احتل الاسكندر الأكبر البلاد عام ٣٣٢ ق . م . (١) - وأطلقوا علي هذه الفترة التى تقدر بحوالى ثلاثين قرنا من الزمان بالعصر الفرعونى . ولتأصيل هذا العصر تاريخيا وحضاريا قد أورد هؤلاء المؤرخين من خلال ما اهتدوا إليه من معلومات تقسيمات ثلاثة

(*) توجد خلافات عديدة بين المؤرخين والعلماء حول التحديد الدقيق لبداية تاريخ مصر السياسى - وإننا قد أخذنا تاريخ عام ٣٢٠٠ ق. م كنقطة بداية للعصر الفرعونى على ضوء الرأى الراجح وطبقا لاسلم التقديرات التى أوردها معظم المؤرخين والعلماء وفقهاء تاريخ القانون .. انظر فى ذلك د محمود السقا . معالم تاريخ القانون المصرى الفرعونى . طبعة ١٩٧٠ القاهرة . ص ٢٦

(١) جون واسون الحضارة المصرية شيكاغو ١٩٥٧ ترجمة الاستاذ أحمد فخرى القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٨٣ وما بعدها

رئيسية ، وكل تقسيم منها يتسم بنظام أزمنة معينة لتاريخ مصر الفرعونى (١) وذلك على النحو التالى :

أولاً – تقسيم العصر الفرعونى إلى نظام الأسرات .

ثانيا – تقسيم العصر الفرعونى إلى عصور سياسية .

ثالثا – تقسيم العصر الفرعونى إلى فترات قانونية .

---

(١) د. محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ١٢٠ .

المطلب الأول

تقسيم العصر الفرعونى إلى نظام الأسرات

قسم المؤرخون تاريخ مصر الفرعونية إلي فترات ، وكل فترة كانت عبارة عن مدة حكم أسرة واحدة من الأسرات التى حكمت مصر ، وكل أسرة شملت عددا من الملوك الذين تولوا السلطة فى أزمان متعددة – وقد أكدوا بان عدد الأسرات التى تعاقبت على حكم مصر ثلاثين أسرة بدأت بالأسرة الأولى التى أسسها موحد القطرين الملك مينا عام ٣٢٠٠ ق. م وانتهت بالأسرة الثلاثين التى كان أخر ملوكها (نكتا نيبو الثانى) الذى يعتبر فى نفس الوقت أخر الملوك الفراعنة حيث سقط حكمه بالاحتلال الفارسى عام ٣٤١ ق. م وحدثت اضطرابات فى كافة أرجاء مصر إلي أن تمكن الأسكندر الأكبر من طرد الفرس وفتح البلاد عام ٣٣٢ ق م وانتهى بفتحه العصر الفرعونى (١)

ونظام تكوين الأسرات التى حكمت مصر وتحديد فترات حكم كل أسرة كان يرجع إلى عدة أسباب أهمها :

---

1 - J. H. Breasted A history of Egypt op cit p 14 est

* قيام ثورة ضد الأسرة الحاكمة - وينتهى الأمر بسقوطها وانتقال السلطة الملكية بعد ذلك إلى أسرة (عائلة) أخرى .

* تقسيم مدة حكم العائلة الواحدة إلى عدة أسرات - إما بسبب طول مدة حكمها، أو نتيجة انقراض أفراد الفرع المالك وانتقال السلطة إلى فرع آخر من نفس العائلة - أو لتغيير العاصمة من مدينة إلى أخرى رغم بقاء السلطة فى نفس العائلة - أو لقيام أحد ملوك الأسرة بأعمال جليلة سجل بها التاريخ الإنسانى فيعتبر مؤسس لأسرة جديدة . مثل الملك أحمس الذى طرد الهكسوس من مصر وكان من ملوك الأسرة السابعة عشر ، وتم وضعه بعد انتصاره على رأس أسرة جديدة هى الأسرة الثامنة عشر [1] .

---

١ - د. صوفى أبو طالب ، مبادئ تاريخ القانون ، مرجع سابق ص ٤٠٤ ، ٤٠٥

المطلب الثانى

تقسيم العصر الفرعونى إلى

عصور سياسية

قام المؤرخون المحدثون بتقسيم العصر الفرعونى بنظرة أخرى ذات طابع سياسى وحضارى تمثلت فى ثلاثة عصور رئيسية .

أولا - عصر الدولة القديمة (٢٧٨٠ - ٢٢٧٠ ق. م) وهى المدة التي تضمنت حكم الأسرات الثالثة والرابعة والسادسة - وأعقبها فترة سادت فيها الفوضى والاضطرابات حتى قامت ثورة شملت كافة انحاء البلاد وانهت حكم الأسرة العاشرة(١) .

ثانيا - عصر الدولة الوسطى (٢١٣٤ - ١٧٨٠ ق. م) وهى مدة حكم الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة - وأعقبها فترة سادت فيها الفوضى والاضطرابات بسبب غزو الهكسوس لمصر حتى نهاية حكم الأسرة السابعة عشرة(٢) .

---

(١) د. أحمد فخرى مصر الفرعونية القاهرة ١٩٦٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص ١٤٨ .

(٢) جون ولسون الحضارة المصرية مرجع سابق ص ٢٣٠ .

ثالثا - عصر الدولة الحديثة (١٥٧٠ - ١٠٩٠ ق. م) وهي المدة التي بدأت بعد أن طرد أحمس الهكسوس وأسس الأسرة الثامنة عشرة وامتدت حتى الأسرة العشرين - ويطلق المؤرخين على هذا العصر أحيانا اسم عصر الامبراطورية حيث ارتفع شأن مصر فى هذه الفترة وسيطرت بنفوذها علي الأقاليم التي تجاور حدودها فى أسيا وأفريقيا (١) .

هذه العصور كما نرى ليست حلقات متصلة فى تاريخ مصر اذ توجد هوة عميقة فى عدة قرون بين كل عصر والعصر الذى يليه وهذا يرجع إلى أن المؤرخين قد اعتمدوا فى تقسيمهم على الفترات التى ازدهرت فيها مصر حضاريا وسياسيا وقسموها إلي العصور الثلاثة السابقة دون أن تجمعها خيط واحد من التسلسل التاريخى المستمر حيث اسقطوا من حساباتهم الفترات التى أهيبت فيها مصر بالفوضى والانهيار والوقوع تحت سيطرة الغزو والاحتلال الأجنبى ، وهى فترة الثورة والاضطرابات التى بدأت مع حكم الأسرة السادسة واستمرت حتى نهاية حكم الأسرة العاشرة ، وفترة الفساد والانهيار التى اعقبت الأسرة الثانية عشرة نتيجة غزو الهكسوس لمصر واستمرت حتي نهاية الأسرة السابعة عشرة ، وفترة الانحلال التى اعقبت حكم الأسرة العشرين واستمرت عدة قرون (٢) - هذا بالإضافة إلى أن

---

١ - د. محمود السقا معالم تاريخ القانون مرجع سابق ص ٥٢ وما بعدها

٢ - د. صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤١١

المؤرخين قد أهملوا أيضا الفترة التى سبقت عهد الأسرة الثالثة وعللوا ذلك بان مدة حكم الأسرة الأولى والثانية كانت بمثابة فترة طفولة بالنسبة للحضارة المصرية وشملت صراع شديد حتى تبلور الموقف السياسى فى بداية عهد حكم الأسرة الثالثة الذى اعتبروه أول فترات عصر الدولة القديمة .

من الملاحظ أيضا أن المؤرخين قد تجاهلوا العصر الذى تلى فترة الانحلال التى سادت عقب سقوط الدولة الحديثة حيث أنه من الثابت تاريخيا أن مصر قد تألقت حضاريا مرة أخرى ابان حكم الأسرة الخامسة والعشرين (٧٢٠ - ٦٦٥ ق.م) وفي بعض فترات العصر الصاوى الذى شمل حكم الأسرة السادسة والعشرين حتى احتل الفرس أرض مصر (٦٦٥ - ٥٢٥ ق.م) [١] - فعلى فرض أن المؤرخين قد قسموا العصر الفرعونى على ضوء فترات الازدهار السياسى والحضارى - فكان من المفروض حتى يحالف تقسيمهم الصواب والدقة أن يذكروا قيام دولة رابعة فى المرحلة التى تألقت فيها مصر (٧٢٠ - ٥٢٥ ق.م) وهى منذ تولى الأسرة الخامسة والعشرين الحكم والفترات الهامة التى نهضت فيها مصر إبان العصر الصاوى حتى نهاية عهد الأسرة الثلاثين [٢] .

---

(١) د محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ١٢٢

(٢) د شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٩٠ - ٢٩٤

المطلب الثالث
تقسيم العصر الفرعوني
إلى فترات قانونية

قرر أنصار هذا التقسيم من المؤرخون علماء تاريخ القانون بان النظم القانونية للعصر الفرعوني كانت تتفق في أمور نشأتها ونموها وتطورها وتهالكها مع الظروف الحضارية والأحداث السياسية التي مر بها المجتمع المصري الفرعوني – أي أن التاريخ القانوني لمصر الفرعونية يتفق في خطوطه العريضة مع المراحل الحضارية والسياسية للتاريخ الفرعوني . وإذا كان أنصار هذا التقسيم قد قرروا بان العصر الفرعوني قد ارتبط تاريخه القانوني مع تاريخه الحضاري والسياسي في مراحل الأزدهار والاضمحلال[1] – إلا أنهم لم يتفقوا على تقسيم واحد لتاريخ القانون الفرعوني – فبعضهم قسمه إلى أربعة عصور : عصر الدولة القديمة ، عصر الدولة الوسطى ، عصر الدولة الحديثة ، عصر النظام الصاوي – والبعض الآخر قسمه إلى ثلاث دورات لا تطابق تاريخية نمط التقسيم الأول[2] :

---

(١) د. محمود السقا معالم تاريخ القانون مرجع سابق ص ٢٨

(2) J - Pitenne: introduction á L`histoire du droit Egypto . op cit. P. 8

الاتجاه الأول : تقسيم تاريخ القانون الفرعونى إلى أربعة عصور

١ – العصر القانونى للدولة القديمة .

يبدأ هذا العصر مع ظهور نظام الأسرات ويضم المراحل التالية :

أ – المملكة الطينية : التى ظهرت بعد أن قام الملك مينا بتوحيد البلاد عام ٣٢٠٠ ق. م فى دولة واحدة وجعل عاصمتها مدينة طينة (بالقرب من مدينة جرجا حاليا) وامتدت هذه المرحلة لتشمل حكم الأسرتين الأولى والثانية .

ب – المملكة المنفية وظهرت مع ملوك الأسرة الثالثة والرابعة (٢٧٨٠ – ٢٤٢٠ ق. م) الذين نقلوا العاصمة إلي الشمال فى مكان قريب من التقاء الصعيد بالدلتا أطلق عليه (منف). وتسمى هذه المرحلة بعهد بناة الأهرامات وتعتبر من أرقى فترات الحضارة المصرية .

جـ – فترة النظام الأقطاعى : وظهرت منذ بداية عهد الأسرة الخامسة حتى الأسرة العاشرة (٢٤٢٠ – ٢١٠٠ ق. م) وفى خلال هذه

الفترة تفككت وحدة البلاد وانتشرت الفوضى وإمور الفساد وقامت ثورة شعبية عارمة انهت حكم الأسرة العاشرة ومهدت لظهور الدولة الوسطى (١) .

يقول معظم علماء تاريخ القانون بأن النظام القانونى الذى ساد فى عصر الدولة القديمة كان يترجم الواقع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى القديم فى تلك الفترة منذ بداية الأسرة الأولى حتى الأسرة العاشرة – وأن القانون الفرعونى فى عهد الدولة القديمة كان قانون متكامل تميز بالتطور والرقى . فعقب توحيد الملك مينا للبلاد وحد كذلك القوانين المصرية حيث جعل التقنين الذى أصدره (تحوت) ساريا في مصر السفلى والعليا ، وتقنين (تحوت) كان مكتوبا حيث قال جميع المؤرخين بانه أول قانون فى تاريخ البشرية استعملت فيه الكتابة ، ورغم أن الكشوف الأثرية لم تعثر عليه ومازالت حتي الآن تبحث عنه وعن تطبيقاته فى عهد الأسرتين الأولى والثانية – إلا أن الأحكام القانونية التى نظمت العلاقات وإمور المعاملات والتى أمكن الوصول إليها منذ بداية عهد الأسرة الثالثة تدل على ان القانون المصرى قد اكتمل تطوره من خلال تقنين تحوت ومجموعات قانونية أخرى صدرت منذ بداية تاريخ مصر السياسى (٢) .

---

(١) د محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ١٢٣ .
د صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤٢٢ .

(2) J Pirenne . op cit . P 10

ففى عهد المملكة المنفية كان القانون المصرى يتسم بالنزعة الفردية والأشخاص متساوون أمام القانون . وافراد الأسرة متساوون في الحقوق والواجبات ، ولكل فرد حرية كاملة فى التملك والتصرف فى أمواله بدون أى قيود وله حرية مطلقة فى التعاقد والايصاء (١) .

أما في العهد الاقطاعى الذى ظهر منذ تولى الأسرة الخامسة الحكم ، تطورت الإمور وأصبح الأفراد ينتسبون إلى طبقات واختلفت حقوقهم وواجباتهم باختلاف الطبقة التى ينتمون إليها (طبقة الأشراف - طبقة انصاف الأحرار) كما اختلفت الحقوق داخل الأسرة وأصبح للابن الأكبر حقوق لا يتمتع بها باقى أفراد الأسرة - بالإضافة إلى ذلك أن النظام الاقطاعى لم يجعل من حق الملكية حقا مطلقا والأنظمة القانونية التى تاثرت به فرضت قيود ثقيلة جعلت الأفراد لا يستطيعون أن يباشروا حقوقهم على الوجه الذى يطابق ارادتهم (٢) وبذلك عاد القانون المصرى في عهد الاقطاع الأول إلى نقطة البداية فى مراحل تطوره .. وفى ذلك يقول الاستاذ الدكتور شفيق شحاته (الفردية التى كانت سائدة فى عهد الأسرتين الثالثة والرابعة . سبقها نظام للدولة فيه الشأن الأول - والنظام الاقطاعى الذى حل محل

---

(١) د. محمود سلام زناتى تاريخ القانون المصرى مرجع سابق ص ١٦٥ ومابعدها .

(٢) د . صوفى ابو طالب مبادىء تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤٢٥ وما بعدها
د محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص

الفردية هو كذلك نظام للدولة فيه الشأن الأول - فقد تقلصت حقوق الفرد وتلاشت حرياته ، فقام سلطان القانون العام على إنقاض القانون الخاص وعاد بذلك تاريخ القانون إلى نقطة البداية) (١) .

٢ - العصر القانونى للدولة الوسطى

بدأت فترة هذه الدولة مع ظهور الأسرة الحادية عشرة وامتدت حتى نهاية حكم الأسرة السابعة عشرة (٢١٠٠ - ١٥٨٠ ق.م) واتخذت من مدينة طيبة (الأقصر حاليا) عاصمة لها - وقد قامت على انقاض الدولة القديمة بعد أحداث الثورة الشعبية . ولذلك أجرى ملوكها بداية من الملك (انيوتف) مؤسسة الأسرة الحادية عشرة اصلاحات عديدة لصالح الشعب لانقاذ البلاد من الفوضى والفساد فتم تحجيم النظام الاقطاعى واتسمت القوانين بالعدالة وسادت مفاهيم الخير كافة أرجاء البلاد . كما ظهر نظام اشتراكية الدولة من خلال اشراف أجهزة السلطة على مجهود العمال والصناع فى كافة فروع الانتاج من أجل المصلحة العامة وتحقيق نمو وتطور فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى لرفع شأن المجتمع المصرى (٢) .

---

(١) شفيق شحاته التاريخ العام للقانون فى مصر القديمة والحديثة مرجع سابق ص ١٢٤ ، ١٢٥

(٢) شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ١٣٥ ،
د صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤١٦ .

وكـــان ملـــوك هذه الدولة يعـــتبرون أن ســـلوكهم الطـــيب ابان حياتهـــم على الأرض ســـيكون رصـــيدا من الخير فى حياتهم الآخرة - ولذلك قـام حكـــمهم على أســـس أخـــلاقية ومبادئ عادلة وتقـــربوا بســـلوك ملئ بالرحـــمة والعطف إلى الشـــعب - وعلى ضـــوء ذلك ازدهـــرت مصر وعـــادت إلى سالف مجدها وخاصة خلال حكم الأسرة الثانية عشر(١).

إلا أنه أمـــام هذا المجـــد العظيم والتـالق الحضـــارى الذى عـــم كافة أرجاء البلاد تعرضت مصر لاطماع بعض الشعوب الهند أوروبية التى بدأت تهاجر من موطنها الأصـــلى فى أواســـط أسيا بحثا عن الرزق بالسلب والنهب وهددت حدود مصر الشرقية بعد أن استولت على بلاد ما بين النهرين وسوريا ، ونتيجة لضرباتهم المتلاحقة على الأراضى المصرية ظهرت عوامل التفكك والانحلال عقب نهاية حكم الأسرة الثانية عشرة واستقل حكام الأقاليم بأقاليمهم مما سهل من مهـمة غزو الهكسوس (*) لمصر واحتلالها

---

(١) د محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ١٢٤.

(*) الهكسوس قبائل أصلها ينتمى إلى الشعوب الهند أوربية التى هاجرت من أواسط أسيا حوالى عام ٢٠٠٠ ق م واحتلت سوريا وبلاد ما بين النهرين ثم غزت مصر بعد ذلك واحتلت أراضيها

اثناء حكم الأسرة الثالثة عشر (حوالى عام ١٧٠٠ ق.م) - حتى تمكن الشعب المصرى بقيادة أحمس أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة من طردهم ومازالت الأوضاع السياسية والاقتصادية خلال فترة احتلال الهكسوس لمصر يلفها الضباب ويكتنفها الغموض (١) .

وبذلك لقد مرت أيضا الدولة الوسطى بفترتين الأولى ازدهرت فيها الحضار المصرية وتألقت بين شعوب العالم القديم ، والثانية بداية من حكم الأسرة الثالثة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة انحدرت إلى الفوضى والانحلال والتفكك بسبب تعرض حدودها الشرقية لغزوات متلاحقة من بعض الشعوب الهنداوروبية واحتلال الهكسوس لأراضيها (٢) .

والفترة الأولى كانت القوانين تتسم بروح العدالة وخلصت من القيود التى فرضت فى العهد الاقطاعى الأول وتساوى جميع أفراد الشعب أمام القانون وتحطمت الحواجز التى كانت تفصل بين طبقات المجتمع (٣) - وسادت النزعة الفردية فى حرية التملك والتعاقد والايصاء (٤) - أى استرد

---

(١) جون وايسون الحضارة المصرية مرجع سابق ص ٣٣٠ وما بعدها .

(٢) د. احمد فخرى مصر الفرعونية مرجع سابق ص ١٨٠ وما بعدها .

(٣) د. سليم حسن مصر القديمة (العصر الذهبى الثانى او تاريخ الدولة الوسطى) طبعة ١٩٨٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب . ص ١٢٣ وما بعدها .

(٤) د. محمود عبد الهادى الشنقيرى مذكرات فى تاريخ القانون المصرى مرجع سابق ص ٣٥٥ .

الفرد حريته التي سلبت منه وتخلص من رقبة التبعية التي فرضت عليه في العهد الاقطاعي – وإذا كانت طبقة الرقيق قد ظهرت في المجتمع المصري لأول مرة اثناءهذه الفترة . إلا أن جميع الأرقاء كانوا من الأسرى الأجانب، بسبب الحروب والانتصارات التي خاضها الجيش المصري وخاصة في عهد الأسرة الثانية عشرة وأسر عدد غفير من قوات الأجانب – والدليل على ذلك أن الأرقاء الذين أطلق عليهم لفظ (حمو) كانت جميع اسمائهم أجنبية – وقد كان هؤلاء الأسرى الأجانب يباعون ويشترون ويؤجرون مثل السلع – وذلك تأكيدا على أن نظام الرق الخاص قد أعترف به القانون المصري لأول مرة منذ بداية عهد الدولة الوسطى .

أما الفترة الثانية التي دامت قرنين من الزمان و سادت فيها الفوضى وعوامل الانحلال بسبب احتلال الهكسوس – فان نظامها القانوني مازال حتى الآن يحيط به الغموض (١) .

٣ – العصر القانوني للدولة الحديثة

بدأت فترة هذه الدولة منذ أن قام الملك أحمس بطرد الهكسوس من مصر واعاد للبلاد وحدتها واتخذ من مدينة طيبة أيضا عاصمة لها وأسس الأسرة الثامنة عشرة كبداية لعهد الدولة الحديثة (١٥٨٠ ق.م) التي استمرت

(١) د. شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ١٢٧ ومابعدها

حتى نهاية حكم الأسرة العشرين (١٠٩٠ ق.م) . وقد ازدهرت مصر وتألقت حضارتها في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وكونت امبراطورية كبرى ضمت بلدان أسيا حتى نهر الفرات فى الشمال وشملت بلاد النوبة والسودان فى الجنوب وذلك بفضل ملوكها العظماء الذين سجلهم التاريخ بالفخر والحكمة والقيادة الرشيدة مثل الملك تحوتمس الثالث (الأسرة الثامنة عشرة) الذى اشتهر بفتوحاته العكسريه [١] ، والملك امنحوتب الرابع (الأسرة الثامنة عشرة) الذى تسمى باسم (اخناتون) نسبه إلى الإله (اتون) ومعنى هذا الاسم (خادم الإله) ، ونشر ديانته التى كان يدعوا فيها للتوحيد ، وعلى الرغم من أن هذا الملك لم يتعد ثلاثين عاماً عند وفاته إلا أنه خلف وراءه ميثاقا للحكمة يصلح لكل العصور [٢] ، والملك رمسيس الثانى (الأسرة التاسعة عشرة) الذى استطاع أن يحافظ على كيان الأمبراطورية المصرية وخاض فى سبيل ذلك حروب طاحنة أشهرها معركة قادش (مدينة فى سوريا) التى انتصر فيها انتصارا ساحقا على جيش الحثيين حوالي عام ١٢٨٠ ق.م [٣] .

---

(١) اندريه ايمارد ، جانين اوبواية تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة مرجع سابق. ص ٦٥ ومابعدها .

(٢) هنرى توماس، ابطال الفلاسفة مرجع سابق ص ١٣ ومابعدها .

(٣) د. سليم حسن مصر القديمة مرجع سابق ص ٢٨٧ ومابعدها

وقد اتسمت النظم القانونية فى عهد الدولة الحديثة بالعدالة وروح المساواة حيث أصبح الأفراد يتمتعون بالحرية الكاملة فى التملك والتعاقد والايصاء كما انتعش المجتمع المصرى اقتصاديا من خلال القوانين التى نظمت النشاط المهنى والتجارى وحددت بصورة واضحة حقوق والتزامات كل من الزراع والصناع (١) .

ولكن الدولة الحديثة قد بدأت تظهر عليها عوامل التفكك والانحلال مرة أخرى فى نهاية حكم الأسرة التاسعة عشرة . ذلك لعدة أسباب أهمها .

أ - تعرضها لغزوات مستمرة من جانب بعض الشعوب الهندواوروبية التى نزحت من اواسط أسيا واستقرت فى أسيا الصغرى وجزر بحر ايجة وبعض المدن اليونانية وشمال افريقيا (وأطلق عليهم شعوب البحر وشعوب الشمال) حيث هاجموا بشراسة حدود مصر الشرقية والغربية مما أدى إلى تهالك مقررات الدولة وضعف قوة الجيش فى المقاومة .

ب - قيام أخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة بالاستعانة ببعض الأجانب فى إدارة شئون البلاد وفي الدفاع عنها كجنود مرتزقة مما أدى إلى تولد الشعور بعدم الولاء

(1) J Pirenne : intriduction á L`histoire du droit Egyption . op cit . P. 30 est

فى بعض أجهزة الدولة وداخل صفوف الجيش المصرى (١).

جـ - كثرة المنازعات الداخلية التى حدثت بين امراء السلطة المالكة بسبب أطماع كل منهم فى الاستيلاء على العرش مما أدى إلى تفتيت وحدة البلاد ودفع بعض أمراء الأقاليم إلى إعلان استقلالهم بالأقاليم التى يتولون إدارتها .

د - ازدياد نفوذ الكهنة حتى أصبحوا أمام ضعف سلطة الملوك أصحاب كلمة عليا فى إدارة شئون البلاد من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة (٢) .

وأمام هذا نخرت عوامل الانحلال والتفكك والضعف عظام الدولة الحديثة حتى انتهى الأمر بسقوطها اثناء فترة حكم الأسرة العشرين حيث تمكن كهنة أمون من الاستيلاء على مقاليد السلطة واصطبغت الدولة بالصبغة الدينية بعد أن تولى (حرحور) كاهن امون الأعظم عرش مصر وأسس الأسرة الواحد وعشرين - وبالتالى دخلت مصر فى فترة غفوة بداية من العهد الأمونى حتي نهاية حكم الأسرة الخامسة والعشرين (٣) حيث اتسمت هذه

---

(١) د صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤١٩

(٢) د أحمد فخرى مصر الفرعونية مرجع سابق ص ٣١٨ ومابعدها

(٣) د شفيق شحاته إلتاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٣٩

الفترة بالانحلال والضعف ، وتفتيت وحدة البلاد ، واحتلال اجزاء منها من جانب بعض الأجانب مثل اللوبيون المرتزقة الذين نزحوا عليها فى بداية عهد الأسرة الثانية والعشرين - كما ظهر الأقطاع مرة أخرى وفرض قيود وأغلال علي حرية الأفراد فى التملك والتعاقد ، وكان من أهم الأسباب التى جعلت عوامل الانحلال تستمر وتزداد حدتها فى الفترات التى تعاقبت بعد الأسرة العشرين حتى سقطت مصر فى أيدى الأشوريين وخضعت لحكمهم فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين(١) .

٤ - العصر القانونى للعهد الصاوى

بدأ هذا العهد منذ أن قام (بسماتيك الأول) أحد امراء صاو (صا الحجر) بتحرير البلاد من الأشوريين وأعاد لمصر وحدتها بعد أن تولى عرشها وأسس الأسرة السادسة والعشرين عام ٦٦٣ ق.م - وبعد أن تألقت مصر مرة أخرى وقعت فى أطماع الفرس فاحتلوها بعد انتهاء حكم الأسرة السادسة والعشرين عام ٥٢٥ ق . م على يد الملك الفارس (قمبيز) فزال الحكم الوطنى وأحل مكانه حكم الفرس الذين أسسوا الأسرة السابعة والعشرين وكان من أشهر ملوكها (دارا الأول) الذى جمع القوانين

---

(١) د محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ١٢٠ .

المصرية واهتم بتدوينها وتطويرها واعتبر من ضمن المشرعين المصريين (١) .

وفى عام ٤١٠ ق. م تمكن المصريين من طرد الفرس بعد ثورة عارمة تزعمها (اميرتى) أحد امراء (صالحجر) الذى توج بعد ذلك على عرش مصر بعد أن أعاد لها استقلالها ووحدتها وأسس الأسرة الثامنة والعشرين - وبعد وفاته عام ٣٩٨ ق. م انتهى حكم الأسرة الثامنة والعشرين وال الحكم بعد ذلك إلى نفرتيس الأول الذى أسس الأسرة التاسعة والعشرين (٣٩٨ - ٣٧٨ ق. م) ، ثم جاءت الأسرة الثلاثون (٣٧٨ - ٣٤١ ق. م) التى سقطت بعد أن احتل الفرس مصر مرة أخرى .

لم يدم حكم الفرس لمصر فى هذه المرة الثانية أكثر من تسع سنوات حيث استنجد المصريون بالأسكندر الأكبر الذى تمكن من طرد الفرس وفتح مصر عام ٣٣٢ ق. م وانتهى بالتالى العصر الفرعونى وظهر عصر البطالمة ثم العصر الرومانى ابتداء من عام ٣١ ق. م ودخلت مصر فى مراحل تاريخية أخرى مليئة بالكفاح والنضال(٢) .

---

(١) صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ٢٤١

(٢) جاك ريسلر الحضارة العربية مرجع سابق ص ١٦٠ ،
اندريه ايمارد . وجانين اوبواية تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ٢١٠ ومابعدها

لقد عادت الحضارة المصرية الفرعونية إلي مجدها فى هذا العهد رغم أنه لايزيد عن ثلاثة قرون وفى اثناء فتراته وقعت البلاد فى يد الفرس - حيث عادت الحرية وحقوق المساواة بين الأفراد وانتشرت مفاهيم الخير ومبادئ الديمقراطية وقامت بعد أن تولى امازيس الحكم عام ٥٦٨ ق. م كأول حاكم فى تاريخ مصر الفرعونية من رجال الشعب - كما يعتبر من أعظم مشرعى مصر وقال عنه ديودور الصقلي بأنه صرف همته إلى القانون ونظم أصول حكومة الأقاليم وقواعد الإدارة المصرية العامة - ولذلك وضع فى مصاف كبار المشرعين من ملوك مصر قبل بوكخوريس الذى تولى عرش مصر فى عهد الأسرة الرابعة والعشرين (٧٢٠ - ٧١٥ ق. م) وبسماتيك الأول الذى وضع مجموعة قوانين نظمت شئون البلاد بعد أن حررها من يد الأشوريين .

ولذلك خلف لنا هذا العهد اثاراً قانونية خالدة كما اتسم بحركة تشريعية واسعة وهذا قد جعل القانون المصرى الفرعونى يصل إلى قمة النمو والتطور واعتبر من أعظم النظم القانونية فى العالم القديم (١) .

---

(١) شفيق شحاته . التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٩٥

الاتجاه الثانى،تقسيم تاريخ القانون الفرعونى

على نظام الدورات

هذا التقسيم لايطابق تقسيم الاتجاه الأول من ناحية الفترات التاريخية . لأن أصحاب هذا الاتجاه وعلى رأسهم العالم البلجيكى جاك بيرين قد ذهبوا إلى تقسيم تاريخ القانون الفرعونى على نظام الدورات (وليس على نظام العصور) منذ بداية حكم الأسرة الأولى حوالى عام ٣٢٠٠ ق. م حتى نهاية حكم الأسرة الثلاثين عام (٣٤١ ق . م) [1] وذلك كالآتى

١ - الدورة الأولى

وتبدأ من ظهور الأسرة الأولى بعد أن وحد الملك مينا مصر واعتلى عرشها عام ٣٢٠٠ ق . م حتي نهاية حكم الأسرة العاشرة حوالى عام ٢١٣٤ ق . م ، وهذه الدورة تطابق عصر الدولة القديمة منذ نشأتها حتى سقطوها .

وقد قسم علماء تأريخ القانون المؤيدين لنظام الدورات - هذه الدورة إلى مرحلتين متميزتين : - **الأولى** سادت فيها النزعة الفردية خاصة بالنسبة لعهد

(1) J . Pirenne : Introduction á L`histoire du droit Egyption . Op . Cit . P 10 est .

الأسرتين الثالثة والرابعة – والثانية منذ عهد الأسرة الخامسة حتى الأسرة العاشرة وتميزت بالنظام الاقطاعى الذى ولد قيود على حرية الأفراد فى التملك والتعاقد ، وتسبب فى اشعال الفوضى والانحلال والتفكك حتى قامت ثورة شعبية قضت عليه فى نهاية الأسرة العاشرة وترتب على ذلك سقوط الدولة القديمة (وذلك كما سبق أن وضحنا فى العرض السابق)[1] .

٢ – الدورة الثانية

وتبدأ هذه الدورة منذ ظهور الدولة الوسطى عام ٢١٣٤ ق. م وتنتهى بنهاية حكم الأسرة الخامسة والعشرين فى عام ٦٦٣ ق. م . وقد قسمت أيضا إلى مرحلتين : **الأولى** تشمل عهد الدولتين الوسطى والحديثة أى منذ بداية عهد الأسرة الحادية عشرة حتى نهاية حكم الأسرة العشرين وفيها تخلصت النظم القانونية بعد الثورة الشعبية من آثار النظام الاقطاعى وظهر مرة أخرى المذهب الفردى الذى اتسم بنوع من اشتراكية الدولة (كما سبق وان اشرنا) ، ويعلل أنصار هذا الاتجاه بان فترة احتلال الهكسوس التى فصلت بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة ، هى فترة اكتنفتها الغموض من الناحية السياسية فقط ولم تكن من فترات الاضمحلال بالنسبة للنظم القانونية وقرورا

---

(١) د . محمود السقا / معالم تاريخ القانون مرجع سابق ص ٢٦٥ وما بعدها

بناء على ذلك بانه ليس هناك مبرر لفصل الدولة الحديثة عن الدولة الوسطى (١)

والثانية : بدأت من اواخر عهد الأسره العشرين حتى نهاية حكم الاسرة الخامسة والعشرين وفيها ظهر النظام الاقطاعى مرة أخرى وتفككت أواصر البلاد بعد شاعت فيها الفوض وامور الاضمحلال خاصة بعد ان احتل الاشوريين مصر واعتلوا عرشها أى فى هذه المرحله انتكست فيها النظم القانونية مع تدهور الاحوال السياسية واختلال امور البلاد . (٢)

الدورة الثالثة

وتبدا بعد ان تمكن المصريين من طرد الاشوريين بقيادة الملك (بسماتيك الأول) الذى اعتلى عرش مصر وأسس الاسرة السادسة والعشرين عام ٦٦٣ ق . م . وتنتهى بنهاية حكم الاسرات عام ٣٤١ ق.م بعد ان احتل الفرس مصر للمرة الثانية . وقد تألقت من جديد الحضارة المصرية فى هذه الدورة التى تميزت بالآتي .

أ – حلول اللغة الديموطيقية فى كتابة الوثائق والاوامر الادارية محل الهيراطيقية الشاذة لغه رجال الدين (اللغه المقدسة) ولذلك يطلق

(١) د. شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ١١ .
(٢) د. صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

بعـــض المؤرخـــون على هـــذه الدورة العصـــر الديموطيقى.

ب – ظهور نهضة تشريعية متكامله تمثلت فى تجميع وتدوين القوانين المصرية فى شكل مجاميع – فظهرت مجموعة بوكخوريس فى عهد الاسره الرابعه والعشرين وتعتبر النواة الأولى لحركة التشريع الشامل ، والأساس لما صدر بعدها من تقنيات – ومجموعة امازيس فى عهد الاسرة السادسة والعشرين ، ومجموعة الملك الفارسى (دارا الاول) التى تشمل القوانيين التى صدرت بعد امازيس ، ثم المجموعة الاخيره التى اصدرها الملك نفريتس الاول مؤسس الأسره التاسعة والعشرين والتى بها اختتمت الحركة التشريعية للقانون المصرى الفرعونى الذى اصبح بعد ذلك على درجة عظيمة من الرقى اثارت اعجاب المؤرخين الاغريق الذين زاروا مصر واشاروا بان المصريين اساتذه العالم فى علم القانون .

جـ – ظهور مفاهيم ديموقراطية انتشرت فى كافه ارجاء البلاد خاصة بعد ان انتصرت ثورة الشعب على الملك أبريس وحطمت عرشه بسبب عدم رضائهم على تغلغل نفوذ الأغريق فى أمور البلاد وكان ذلك فى عام ٥٦٨ ق. م اثناء عهد الأسرة السادسة والعشرين .

د – ازدهرت التجارة ونشطت حركتها فى الداخل والخارج مما أدى الى ظهور العمله الذهبية وانتشار الرخاء فى كافة ارجاء البلاد

هـ التخلص من القيود والاغلال التى فرضها النظام الاقطاعى وتحقيق المساواه بين الافراد فى الحقوق والواجبات ، وسادت النزعة الفردية التى تمثلت فى حرية التملك والتعاقد والأيصاء كما كان الحال فى المرحلة الأولى لعصر الدولة القديمة (كما سبق وأن أشرنا) .

و - اتجهت الاصلاحات التشريعية إلى تحسين حالة الأرقاء . فأصبح للعبد أن يتزوج ويكون له أولاد يثبت نسبهم منه قانونا ، وأن يتملك بعض الأموال وله حق التصرف فيها ، أى بفضل اصلاحات المشرعين فى هذه الدورة تكونت للرقيق شخصية قانونية ناقصة (١) .

وبهذا فاذا كان كل تقسيم من هذه التقسيمات المختلفة يعتمد طبقا لرأى اصحابه على احداث تاريخية معينة لنظام فتراته إلا أن النواحى الموضوعية للنظم القانونية التى سادت فى العصر الفرعونى واحدة فى كل منهما .

---

١ - شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٨٩ ومابعدها

المبحث الثانى

الأصـــول التشـــريعية

للعصر الفرعونى

تعتبر النظم القانونية خير مصداقا للتطور الحضارى الذى شوهد فى العصر الفرعونى الذى امتد على نحو ثلاثين قرنا من الزمان – وعلى الرغم من قلة المصادر التاريخية التي تضمنت أو أشارت إلى جميع التقنينات التى ظهرت فى العصر الفرعونى ابتداء من تقنين تحوت (إله القانون والكتابة) عام ٤٢٠٠ ق. م حتى مجموعة القوانين التى أصدرها الملك (نفريتى الأول) مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين – فأننا سوف نعرض بعضها لتظهر حقائق ومكونات هذا العصر ولكى نستشف منها طبيعة الحياة الإنسانية لأجدادنا الفراعنة وما كان عليه المجتمع المصرى القديم من تطور وطابع حضارى متميز فى الفكر القانونى [1]

---

(١) د محمد عبد الهادى الشقنقيرى مذكرات في تاريخ القانون مرجع سابق ص ٤٨٥ .
د محمود سلام زناتى تاريخ القانون المصرى مرجع سابق ص ١٢

المطلب الأول

مدونة بوكخوريس Code Bocchoris

يعتبر الملك بوكخوريس من أعظم مشرعى مصر القديمة – فقد أصدر هذه المدونة بعد أن أسس الأسرة الرابعة والعشرين من أجل أن ينظم أحوال البلاد بعد أن تفشت فيها امور الفوضى والانحلال بسبب تدخل قواد الجيش فى سلطة الحكم ، وتغلغل نفوذ كهنة أمون فى شئون البلاد – الأمر الذى أدى إلى تفتيت الوحدة الوطنية وتوغل النظام الاقطاعى في السيطرة على مقررات المجتمع بعد أن اصطبغت الدولة بالصفة الدينية . ولذلك حرص بوكخوريس على ضرورة الحد من نفوذ رجال الدين وامراء الاقطاع وتقوية السلطة المركزية واخضاع الجميع لها – فاصدر هذا القانون من أجل تحقيق الوحدة القانونية واصلاح ما تفشى فى المجتمع المصرى من فساد وفوضى وانحلال(١) .

والمدونة التي وضعها بوكخوريس هى عبارة عن تجميع لكل النظم والقوانين المصرية التى كانت سائدة قبل عهده مع ادخال بعض التعديلات عليها – ورغم أن مدة حكم بوكخوريس بدأت عام ٧١٨ ق. م وانتهت بعد أن قتل عام ٧١٢ ق. م على يد (شاباكا) الملك الحبشى الذى أسس الأسرة

(١) د محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ٢٧ وما بعدها .

الخامسة والعشرين - إلا أن القانون الذى أصدره ساد فى جميع أنحاء البلاد ، وظل يعمل به حتى نهاية عهد الأسرات (*) وطيلة العصر البطلمى حيث سماه الأغريق باسم قانون العقود Code des contratis وكان يطبق فقط على المصريين دون الأغريق فى هذا العصر - كما استمر نافذا فى مصر في العصر الرومانى ولم يبطل العمل به إلا فى ٢١٢ م عقب أن اصدر الإمبراطور الرومانى كراكلا قانونا منح به الجنسية الرومانية لجميع سكان الامبراطورية ، وحيث أن مصر كانت تتبع هذه الامبراطورية فقد اصبحت القوانين الرومانية هى الواجبة التطبيق على المصريين (١) - وإن كان هناك رأى لبعض علماء تاريخ القانون يشير بان قانون بوكخوريس قد ظل يعمل به أيضا فى مصر حتى بعد دستور كراكلا إلي جانب القوانين الرومانية (٢) . ولذلك قد أشار مؤرخو الأغريق بان مدونه بوكخوريس قد تضمنت قواعد قانونية عديدة تصلح لتنظيم كافة امور الحياة وخاصة الحياة التجارية . وبانها تعتبر النواة الأولى للحركة التشريعية التى نشطت فى العهد

---

* تعرض هذا القانون للالغاء والتعديل فى بعض فترات العهد الباقى لعصر الفراعنة فقد تم الغاءه فى عهد الاسرة الخامسة والعشرين - ثم نقح على يد الملك امازيس فى عهد الاسرة السادسة والعشرين - وداخل عليه بعض التعديلات فى عهد الاسرة الثامنة والعشرين - ثم استمر بعد ذلك ساريا فى مصر طوال العصر البطلمى والشطر الاول لعصر الرومانى حتى عام ٢١٢ ميلادية

(١) د. صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ١٦٤

(٢) د. عادل بسيونى فلسفة القانون المصرى وتاريخه ١٩٨٩ / ١٩٩٠ القاهرة مكتبة نهضة الشرق ص ١٧

الأخير لعصر الفراعنة والأساس الذى أستندت عليه التقنينات التى صدرت بعدها حتى اكتملت النهضة التشريعية فى مصر الفرعونية (١) .

جانب من العلماء يقول بان الملك بوكخوريس قد تأثر اثناء وضع قانونه بتشريعات بابل وأشور وخاصة قانون حمورابى حيث اخذ منه بعض المبادئ وعلى الأخص فيما يتعلق بالالتزامات والعقود ، وفى اخراج قواعد القانون من دائرة الدين (٢) - وجانب أخر يقرر بعدم صحة ذلك ويشير بان بوكخوريس كان حليفا فقط للأشوريين ولم يتأثر بقوانينهم ، وأنه وضع تشريعه على ضوء ما كان يحتاجه المجتمع المصرى من اصلاحات لبتر أمور الفوضى والفساد والقضاء على الاقطاع ونفوذ كهنة آمون (٣) .

يشير معظم المؤرخين وعلى رأسهم هيرودوت، وديودور الصقلى بان صولون المشرع الإغريقى قد حضر إلي مصر عام ٥٩٥ ق. م ثم عاد إلى بلاده وأصدر قانون باسمه (قانون صولون) عام ٥٩٤ ق. م ضمنه الكثير من النظم والقواعد التى اقتبسها من مجموعة بوكخوريس - وبأن الرومان نتيجة اعجابهم بالقوانين الفرعونية قد قاموا باقتباس نصوص عديدة من

---

(١) د. شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٩٥ .

(٢) د. عبد السلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٦٠

(٣) د. محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ٢٧١

مجموعة بوكخوريس مع قواعد قانونية من قانون صولون متأثرة بالمبادئ القانونية المصرية (قانون بوكخوريس) ووضعوها فى أول قانون مدون لهم وهو قانون الألواح الأثنى عشرة »[1] .

ورغم أن قانون بوكخوريس لم يصل إلينا شيئا عنه بالتفصيل مثل القوانين المصرية الأخرى أو معظم قوانين العالم القديم - إلا أننا سوف نعرض أهم ما يحتويه من أحكام على ضوء ما ورد من حقائق أعلن عنها المؤرخون الإغريق وعلى رأسهم جميعهم هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) وديودور الصقلى (القرن الأول قبل الميلاد) حيث تحدثا بإفاضة عظيمة عن مضمون روح التشريع الذى وضعه الملك بوكخوريس - بالإضافة إلى بعض الوثائق والآثار التى تم اكتشافها وأكدت حقيقة هذا القانون ومضمون بعض أحكامه وبانه صدر من الملك بوكخوريس فى عصر الأسرة الرابعة والعشرين [2] - وأهم الأحكام التى سنعرضها لمجموعة بوكخوريس القانونية تتعلق بالآتى :

---

(1) E. Revillout : Les origines Egyptiennes du droit Civil Romain . Paris 1912 . PP. 12 , 130 .

(٢) د صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ١٦٤

أولا - الأحكام المتعلقة بالزواج وبحقوق المرأة

١ - جعلت الزواج مثل سائر العقود مبنيا على حرية التعاقـــد - وأخرجته من القيود الدينية التى كانت تفرض عليه ، ليصبح زواجا مدينا تتمتع فيه الزوجة بالإرادة المستقلة وتتساوى فى الحقوق مع الزوج .

٢ - اعطت للزوج الحق فى أن يطلق زوجته فى حالة الضرر - كما أعطت هذا الحق للزوجة ، بان تطلب أيضا فسخ الزواج إذا حدث لها نفس الضرر .

٣ - مكنت الزوجة بان يكون لها الحق أن تشترط فى عقد زواجها بعدم قيام زوجها من الزواج بامرأة أخرى ، وإذا لم يلتزم يكون لها الحق أن تطلب منه مبلغا كبيرا من المال على سبيل التعويض - كا اعطتها الحق فى أن تشترط أيضا على زوجها أن يدفع لها مبلغا من المال كنفقة حين تطليقها وأن يـــقرر لها رهـــنا عاما على أمواله لضمان تنفيذ ما عليه من شروط .(١)

٤ - اعترفت للزوجة بان يكون لها حق التملك والاحتفاظ بالأموال التى تخصها دون أن تضم على ذمة زوجها المالية - وأن يكون لها الحق أن تتصرف فيما تملكه بحرية كاملة ، وأن تتعاقد باسمها دون أن ياذن لها

---

(١) د. عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٥٨ .

زوجها أو يتدخل فى العقد لاجازته – أى أصبح للزوجة الأهلية الكاملة فى التعاقد وفى التصرف فى أموالها.

وبالتالى اعترفت مجموعة بوكخوريس للمرأة المصرية بمبدأ المساواة التامة بالرجل وأعطتها حقوق لم تتمتع بها المرأة الإغريقية أو الرومانية (١) .

ثانيا – الأحكام المتعلقة بالميراث والهبات

قضت على جميع الآثار الخاصة بالسلطة الأبوية التى كانت تقضى بعدم المساواة فى الميراث وبان يكون للابن الأكبر الحق فى الامتياز على أمواله ابيه عند وفاته وحققت الآتى :

١ – حق جميع الأولاد فى الحصول على ميراث أبيهم .

٢ – المساواة بين جميع الأولاد من زكور واناث فى حق الإرث عند وفاه أبيهم.

٣ – للزوجة الحق فى أن تحصل على نصيبها من التركه عند وفاة زوجها دون قيود تفرض عليها من الابن الاكبر .

٤ – اصبحت الهبات مطلقة من كل قيد وتخلصت من آثار الصبغة الدينية التى اصطبغت بها فى العهد الأمونى الذى تلى سقوط الدولة الحديثة (٢) .

---

(١) عبد السلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٥٩ .
(٢) د . شفيق شحاتة التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٤٩ وما بعدها

ثالثا - الأحكام المتعلقة بالملكية :

قضت على جميع ما فرضه الاقطاع ورجال الدين من قيود على حق الملكية وخاصة ملكية الأراضى (حيث كان الأفراد ليس لهم الحق إلا فى حيازة الانتفاع فقط على اعتبار أن جميع الأراضى المصرية مملوكه للإله آمون وخارجة عن دائرة التعامل) - وحققت ما يلى :

١ - اعادت للملكية الفردية شأنها - وقد أكد ذلك المؤرخ الإغريقى ديودور الصقلى عندما ذكر بان (بوكخوريس قد اعتبر فى قانونه الأموال مملوكة لمن كسب ملكيتها عن طريق عمله الخاص أو لمن انتقلت إليه ملكيتها عن الغير أو لمن وهبت إليه) وهذه الأموال قد تكون عقارات (أراضى) أو منقولات .

٢ - جعلت من حيازة الانتفاع حق أطلق عليه ملكية المنفعة واجازت نقلها من شخص إلى آخر بدون قيد ولا شرط [١] .

رابعا - الأحكام المتعلقة بنظام التعامل والالتزام

١ - أخذت بمبدأ الحرية المطلقة فى أمور المعاملات دون أى قيود تفرض على سلطان الإرادة .

---

٢ - د. شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٦١ وما بعدها .

٢ - الغت نظام الرق بسبب الدين - (حيث كان المدين فى العهد الاقطاعى الثانى يفقد حريته إذا لم يف بالتزامه ويدخل بسبب ذلك فى طائفة الارقاء - إلا أنها ابقت على هذا النظام إذا كان الدين مستحق للدولة أو للمعابد .

٣ - احلت نظام الاثبات بالكتابة محل اليمين وشهادة الشهود وأصبح من غير الجائز اثبات الحقوق بالبينة الشخصية مادامت الكتابة واجبة .

٤ - اعتبرت الزوجة والأولاد غير مسئولين عن ديون رب الأسرة - أى جعلت كل فرد فى الأسرة له ذمة مالية مستقلة وقائمة بذاتها ، ولا يسأل إلا عن الالتزاماته الشخصية فقط .

٥ - الغت نظام الإكراه البدنى (الحبس أو التعذيب) وجعلت المدين مسئولا من دينه فى ماله دون جسده أى أصبح الالتزام المدين يقع على ذمته المالية دون شخصه - إلا أنها قد ابقت على هذا النظام (الاكراه البدنى) بالنسبة للديون المستحقة للدولة أو المعابد (١) .

---

(١) د. شفيق شحاته التاريخ العام للقانون المصرى الطبعة ص ١٢٧ وما بعدها

خامساً - الأحكام المتعلقة بنظام العقود

١ - جعلت مبداء الرضائية فى ابرام العقود أساسا يستند عليه المتعاقدين دون اللجوء أو الاحتياج إلي الاجراءات الشكلية التى فرضت فى عهد الأمونى .

٢ - استحدثت أحكاما خاصة لتنظيم بعض العقود مثل عقد القرض حيث جعلت الحد الأقصى للفائدة ٣٠ ٪ بالنسبة لفوائد النقود ٣٣,٥ ٪ بالنسبة إلى الحاصلات الزراعية - كما أوردت قيود على الفوائد ، بان منعت تقاضى فوائد على متجمد الفوائد وعدم جواز أن يكون مجموع الفوائد أزيد من أصل الدين أى لا يجوز للدائن أن يطالب المدين بأكثر من ضعف الدين مهما طالت فترة المديونية - إلا أن الديون المستحقة للدولة والمعابد كانت مستثناه من هذه القيود وكان من الممكن أن تصل فوائدها إلى أربعة أمثال أصل الدين

٣ - توسعت فى أحكام الرهن ، وجعلت لكل طرف فى العقد الحق فى الرهان على أموال الآخر لضمان تنفيذ ما عليه من التزامات ، كما منحت للدائن ضمان عينى يكفل له الحصول على دينه عند تخلف المدين عن الوفاء .

٤ – نظمت عقد الإيجار سواء بالنسبة للعقارات أو المنقولات وأعطت للمؤجر امتيازا على أموال المستأجر ضمانا للوفاء بالأجرة (١) .

هذه بعض الأحكام التى أمكن استخلاصها من خلال ما رواه بعض المؤرخين وعلى الأخص هيرودوت ، وديودور الصقلى ونحن على أمل أن يتوصل الباحثون وعلماء الآثار إلى النسخة الكاملة لهذه المجموعة التى أصدرها بوكخوريس مثل ما حدث بالنسبة لمدونه حمورابى . وذلك لنفخر بتراثنا القانونى وما كان عليه أجدادنا من درجة عظيمة فى علم القانون الذى يعبر عن حضارتنا التى تألقت بالمجد والشموخ منذ بداية الحياة الإنسانية

---

(١) رغم أن هذه المجموعة قد ظهرت فى عصر الفراعنة – إلا أن روح أحكامها مازالت تطفوا فى ضمير المشرعين فى العصر الحديث . فقد أخذ القانون المدنى السورى الحديث بهذه الأحكام وقضى فى المادة ٢٣٣ على (عدم جواز تقاضى فوائد على متجمد الفوائد ، وعدم جواز تقاضى فوائد أكثر من أصل الدين) – كما نص في المادة ٥٥٦ بان (أموال المستأجر الموجودة فى المأجور تكون ضمانا لحقوق المؤجر) – وأيضا نص المشرع المصرى بحكم مشابه لذلك فى المادة ٢٣٢ فى القانون المدنى الجديد بانه (لايجوز تقاضى فوائد على متجمد الفوائد ، ولايجوز بأى حال أن يكون مجموع الفوائد الى يتقاضاها الدائن أكثر من رأس المال)

انظر فى ذلك . د. شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٨٢

د. عبد السلام الترمانينى محاضرات في تاريخ القانون مرجع سابق ص ٦٢

المطلب الثانى

تشريع امازيس

بعد أن تمكن الملك بسماتيك من تحرير البلاد من ايدى الأشوريين ، واعتلى عرش مصر بعد أن أسس الأسرة السادسة والعشرين ، والتى فى عهدها ازدهرت مصر وعادت إلى ما كانت عليه من مجد وتألق واصبحت من أغنى بلدان العالم - تولى الحكم من بعده الملك (ابريس) الذى ثار عليه الشعب بسبب ازدياد نفوذ الإغريق فى البلاد - وقد تزعم هذه الثورة بدافع الوطنية (امازيس) وكان من أحد قواد الجيش المصرى - وتمكن من الاستيلاء على الحكم واصبح ملكا على العرش عام ٥٦٨ قبل الميلاد - وقد أشار (هيروبوت) بان امازيس وصل إلى السلطة ولم يكن أساس ملكه يستند على كونه من بيت شهير أو ممنوح البركة من الآلهة بل كان من عامة الشعب . وإن المصريين نصبوه عليهم ملكا بعد أن استرضاهم بلطف ولمسوافيه الحكمة والقوة والشجاعة التى تمكنهم من القضاء على بوادر الانحلال ومن نفوذ الاغريق الذى توغل فى معظم انحاء البلاد (١) - ولذلك كان امازيس مشبعا بالمفاهيم الديموقراطية والاشتراكية ، ولم يلقب نفسه بابن الإلهة (رع أواوزيرس) كما كان يفعل ملوك مصر الذين سبقوه وإنما

---

(١) شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٩١ .

اكتفى بلقب ملك مصر العليا والسفلى وتحدى فى سبيل اصلاح المجتمع من تيار الانحدار والتفكك طبقتى الاقطاع والكهنة ، واستطاع بقوته أن يقضى على كل ما كان لديهم من نفوذ وسلطان ، كما تمكن من تجريدهم من كافة الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها ، وقطع كل دوابر الفساد والفوضى التى كانت ستنخر كيان المجتمع من استمرار سطوتهم على امور البلاد (١) .

وقد قام امازيس من أجل التوسع فى نشر مفاهيم العدالة وحقوق المساواة بين المصريين بالاهتمام بالقانون ليكون درعا قويا يحمى المجتمع من كل إمور الفساد والظلم والانحلال - فجمع كل القوانين المصرية التى صدرت منذ بداية عصر الفراعنة حتى مجموعة بوكخوريس - وقام باجراء تعديلات على بعضها بهدف عمل أصلاح تشريعى شامل يتناسب مع الأحوال والظروف المستجدة التى ظهرت من عوامل التطور والأحداث التى مر بها المجتمع المصرى - حتى تمكن من اصدار مجموعة قانونية باسمه استوحى فيها روح الديمقراطية وان كانت معظم قواعدها مستلهمة من نصوص مجموعة بوكخوريس (٢) .

وإذا كان بعض المؤرخين يشير بان (أمازيس) لم يضع مجموعة قانونية جديدة وإنما كل ما فعله كان عبارة عن إعادة العمل بقانون

(1) J. H. Breassted , A Hislory of Egypt , .. op cit , p
(2) J. Pirenne op cit . P 13

بوكخوريس (الذى توقف سريانه منذ بداية عهد الأسرة الخامسة والعشرين) وذلك بعد أن قام بتنقيحه وداخال بعض التعديلات البسيطة دون الجوهرية على قواعده – فان ذلك الرأى لا يمكن أن يطمس ما خلفه امازيس من اسم لايمحى فى تاريخ القانون الفرعونى – فجميع مؤرخو الإغريق اعتبروه من أعظم مشرعى مصر الفرعونية – مثل ديودور الصقلى الذى قال عنه بانـه (الملك الذى صرف همته إلى القانون) ووضعه فى مرتبة كبار المشرعين من ملوك مصر وفى نفس مكانة بوكخوريس (٢) – وهيرودوت الذى عبر عنه بانه كان من عظماء الحكمة والفكر القانونى ومطبوعا على روح الديمقراطية وحب الناس . ومن إحدى الروايات التى رواها عنه بانه (كان يقوم بإدارة شئون البلاد باجتهاد وحكمة وعدل كل يوم فى الصباح المبكر وينتهى من انجاز أعماله في الوقت الذى يكتظ فيه السوق بالناس ، ثم يتفرغ بعد ذلك للقاء خلانه ليشرب ويمزح معهم وهو ماجنا عابثا ، وان هذا الأمر قد سبب ضيقا لاصدقاؤه ولاموه علي هذا السلوك وطلبوا منه أن يبتعد أو يتجنب هذا العبث الشديد ويجلس مهيبا على العرش ويصرف شئون الدولة طول النهار حتى يعلم المصريون أن رجلا عظيما يعتلى عرش مصر ويحكمهم وهو مهيب بالقوة والاقتدار لأن مايفعله الآن لايليق بسلطان ملك على الاطلاق . فرد عليهم

(2) E Revillout . les origines Egyptiennes du droit civil Romoin , op cit . P 20 ets

أمازيس بلطف قائلا بان أصحاب الأقواس يشدوها عندما يحتاجوا إلى استعمالها ويرخوها عندما ينتهوا من استخدامها ، لأنها إذا ظلت طول الوقت مشدودة انقطعت وفقدت قيمتها فلا يستطيع أصحابها بعد ذلك استعمالها في وقت الحاجة ، وهذه الحقيقة تماثل تماما طبيعة الإنسان . فإذا أراد أن يكون جاداً دائما (مشدودا) ولم يسمح لنفسه باللهو بعض الوقت بعد ما يتفرغ من اداء عمله فإما أن يجن دون أن يشعر أو يتحول إلى إنسان مخبول ، وأنى أعلم هذ الحقيقة . ولذلك أنظم وقتى بين الأمرين) (١) .

ولذلك كان الملك امازيس حكيما بارعاً ومن علماء القانون المصرى - فقد روى المؤرخون بانه فى عام ٥٥٤ قبل الميلاد اجتهد وقام بتشكيل جمعية وطنية من أجل أن تعاونه فى مراجعة وتنقيح جميع القوانين المصرية التى صدرت من قبل بداية من تفتين تحوت حتى قانون بوكخوريس . وإن هذه الجمعية قد استمرت منعقدة خمسة عشرة عاما اعتبارا من السنة الخامسة لتوليه العرش حتى السنة التاسعة عشرة من فترة حكمه للبلاد - ودعوة هذه الجمعية التشريعية اعتبر حدثا عظيما في تاريخ مصر الفرعونية منذ بداية عهد الأسرات ، لأنه لأول مرة فى خلال هذا التاريخ الطويل يشرك ملك مصر هيئة شعبية فى سلطته التشريعية .

---

(١) د. شفيق شحاته . التاريخ العام للقانون . مرجع سابق ص ٢٩٢ . (وهذا نقلا من الترجمة العربية للأستاذ وهيب كامل . عن هيرودوت فى مصر . ص ١٣٧) .

وحيث أن امازيس كان من عامة الشعب ، وأن الشعب المصرى هو الذى أجلسه على العرش بعد نجاح الثورة ضد الملك ابريس ، فلم يضم إلى الجمعية الوطنية (التشريعية) احدا من الكهنة أو نبلاء الاقطاع - ولذلك صدرت القوانين مشبعة بالروح الديمقراطية فى مجموعة تضم ثمان مجلدات ، وقاضية تماما على النزعة الاقطاعية وعلى الصبغة الدينية - التى كانت تتميز بها النظم القانونية في العهد الاقطاعى الثانى [1] .

وإذا كان تقنين امازيس بهذا الأمر يعتبر كما يقول بعض المؤرخين وعلماء القانون بانه وليد ثورة وليس وليد تطور - إلا أنه كان تقنينا مصريا بحتا ولم يتأثر بأى قوانين أجنبية وخاصة قوانين الإغريق الذين ظهرت نفوذهم فى البلاد منذ عهد الملك (بسماتيك) - ولذلك يمكن اعتباره متمما لتقنين بوكخوريس [1] ، ورغم أنه مازال الباحثين وعلماء الآثار يبحثوا عنها (مثل باقى القوانين المصرية القديمة) حيث لم يتوصلوا إليها حتى ذلك الوقت ضمن آثار مصر الفرعونية التى تم اكتشافها - إلا أنه من خلال ماروواه المؤرخين الإغريق وعلى الأخص (هيرودوت ، وديودور الصقلى) عن هذه المجموعة التى وضعها امازيس ، وما احدثته من اصلاحات تشريعية أمكن

(1) Moret , Le Mil et la civilisation egyptienne , paris , 1945 , pp 404 - 407

(2) N. J. Reich , the codofication of the Egyption laws by Darivs and the origin of the Demotic chronicle , Mizraim , New York , 1933 , PP. 175 - 184 .

لمعظم علماء تاريخ القانون أن يستلهموا ملامحها ويستنبطوا بعض أحكامها التى تتعلق بأمور عديدة ، تتلخص فى الآتى . -

أولا - الأحكام المتعلقة بالنظم الإدارية

١ - نظمت الأصول العامة العمل التى يجب اتباعها فى حكم الأقاليم .

٢ - وضعت قواعد عامة عن كيفية تشغيل الإدارة المصرية (١).

ثانيا - الأحكام المتعلقة بقواعد العمل

١ - استكملت القواعد الخاصة بنظام الطوائف المهنية (حيث كانت طبيعة عمل الأفراد من صناع وحرفين ومزارعين تنظمها طوائف مهنية معينة) وذلك بهدف وضع مظلة واقية تحمى العامل من الاستبداد .

٢ - وضعت قواعد تنص بانه على كل فرد من ابناء شعب مصر ضرورة أن يبين كل سنة لحاكم الأقليم الذى يتبعه مورد عيشه ، فإذا تجاهل أو تغاضى عن ذلك ، ولم يثبت بوضوح واتقان بانه له مورد رزق حلال عوقب بالموت (٢) .

---

(1) E. Révillout, les origines Egyptiennes du droit civil Romain, Paris, 1912 . P. 41

(2) j H . Breasted . A History of Egypt . op cit . p 591

ثالثا - الأحكام المتعلقة بحقوق المساواة بين المصريين

١ - اضافت قواعد جديدة لتحقيق المساواة بين جميع أفراد الشعب المصرى فى الحقوق والواجبات .

٢ - جعلت جميع المصريين سواسية أمام القانون ، ولم يعد لأى شخص فضل على غيره لمجرد انتمائه لفئة معينة .

٣ - الغت نظام تخصيص الوظائف العامة في الدولة على فئة معينة ، وجعلت شغلها طبقا للكفاءة من حق جميع أفراد عامة الشعب (١)

رابعا - الأحكام المتعلقة بالنظم الاجتماعية

١ - قضت على نظام الطبقات والغت جميع الامتيازات التى كانت تحدث الفوارق بينهما .

٢ - محت كل ما كان يتمتع به الكهنة من امتيازات مالية ، وحقوق ، ونفوذ ، وسلطة ، وازالت تماما الإمور التى كانت تجعلهم طبقة متميزة .

٣ - الغت نظام التبعية ، وحررت جميع الاتباع من القيود التى كانت تفرض عليهم من طبقة الاقطاع ملاك الأراضى - وأصبحوا فقط مجرد مستأجرين للأرض الزراعية بعقود تسجيل فى مكاتب الدولة

---

1 - H . sottas , sur quelques popyrus , démotiques provenant d'assiout , Annles du service des Antiquites . Paris . 1923 . pp 35 - 38 .

بعد أن يوضح فيها مالهم من حقوق وما عليهم من واجبـــات (١) .

٤ – وضعت نظم جديدة ذات طابع إنسانى للارقاء – فاصبح للعبد الحق فى أن يكون اسرة ، وأن تكون له ذمة مالية مستقلة عن ذمة سيده ، وأن يتملك بعض الأموال وله الحق التصرف فيها (٢) .

خامسا – الأحكام المتعلقة بالنظم الاقتصادية

١ – اقتلعت جميع الإمور الخاصة بالسلطة والنفوذ التى كانت مقررة للنظام الاقطاعى فى الشئون الاقتصادية من أساسها ، وجردت جميع الاقطاعين من الامتيازات التى كانت مخصصة لهم ، واصبحوا جميعا مجرد ملاك اراضى فقط شانهم شأن غيرهم من عامة الشعب الذين يمتلكون مثلهم أراضى زراعية مهما قلة مساحتها .

٢ – الغت نظام اعفاء المعابد من الضريبة ، وعلى كل ما كان مقررا باعتبار حق الانتفاع بممتلكات المعابد حقا وراثيا للكهنة .

٣ – نظمت وسائل الإنتاج الصناعى والزراعى مما جعل المجتمع المصرى يعيش فى فترة اعتبرت من ضمن فترات الرخاء والازدهار وقد أشار بذلك هيرودوت (بان مصر قد عادت إلى ما كانت

---

(١) د. شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٠٢ وما بعدها

(2) E. Révllout , Cours de droit égyptien , L`etat des personnes , paris , 1884 , pp 61 ets

عليه من الرخاء الشديد .. فاصبحت من أغنى بلد في العالم)[1] .

الأحكام المتعلقة بالملكية ، وبالتعاقد والالتزام

١ - بلورت بمفاهيم واضحة معانى الحقوق الفردية بالكامل ، وأكدت من جديد حقوق الملكية الفردية للعقارات والمنقولات وأعطت للأفراد الحق المطلق فى التصرف فيها .

٢ - أدخلت نظام جديد أطلق عليه (الاشهاد بالميزان) وطبقته على البيع وسائر العقود الأخرى الناقلة للملكية المنقولات الجامدة والحية مثل الحيونات والعبيد وذلك بان يستخدم الميزان فى وزن العين (محل البيع) وتحديد مقدار الثمن[2] .

٣ - اعادت نظام الاسترفاق بسبب المديونية الذي الغاه بوكخوريس فى قانونه - حيث دلت بعض العقود التى عثر عليها ، ويرجع تاريخها إلى الفترة التى طبقت فيها قوانين امازيس بان الدائن كان يبيع ابن مدينه في حالة عدم قيامه بسداد ماعليه من ديون عند استحقاقها ، وبان المدين كان يرهن ابنه ضمانا لما عليه من ديون مستحقة ، وهذا الرهن

---

(١) شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٢٩٠ - (نقلا من كتاب تاريخ العالم . مصر فى صحوة انحلالها للاستاذ ف. هول . ص ٢٠٥) .

(٢) د. محمود السقا التاريخ العام للنظم الاجتماعية والقانونية مرجع سابق . ص ٢٧٦ .

كان يخول للدائن أن يقوم ببيع ابن المدين المرهون لديه فى حالة عدم قيام والده (المدين) بسداد ما عليه من ديون فى الوقت المحدد لاستحقاقها (١)

... إن الحركة التشريعية فى مصر لم تقف عند هذا الحد بل استمرت حتى نهاية عصر الأسرات . ففى الفترة الأولى للاحتلال الفارسى جمع (دارا الأول) (*) عام ٥١٩ قبل الميلاد أكبر علماء القانون فى مصر داخل لجنة واسند اليهم مهام جمع القوانين المصرية التى صدرت قبل عهده ، وأن هذه اللجنة استمرت تعمل نحو ثلاثة عشرة عاما حتى تمكنت من جمع هذه القوانين وقـــام (دارا الأول) بعد ذلك بفرضها على المصريين دون أن يفرض قوانين بلاده - واستمرت هذه الحركة حتى قام الملك (نفريـتى الأول) مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين بتكوين لجنة لتنقيم قانون بوكخوريس بعد ما أصابه من تعديلات ، وأصدرت هذه اللجنة تقنينا اختتمت به الحركة التشريعية لعصر الفراعنة (٢) .

هذه هى مصر القديمة صاحبة أول حضارة إنسانية في العالم ظهرت فى سماء المجد منذ بداية الحياة البشرية واثرت تأثيرا كبيرا على جميع

---

(١) شفيق شحاته التاريخ العام للقانون مرجع سابق ص ٣١٠ .

* من أشهر ملوك الفرس الذين حكموا مصر وأسسوا الأسرة السابعة والعشرين في الفترة من (٥٢٥ ق.م - ٤١٠ ق.م)

(2) E. Revillout , les origines Egyptiennes du droit civil Romain op cit . P. 59

الحضارات الأخري التى اتت بعدها . وإذا كانت قد ابهرت العالم من الرقى والعظمة في كافة العلوم الإنسانية والنظم القانونية فانه كان لها أيضا وزن لايستهان به فى المجتمع الدولى القديم [1] .

إن مصر القديمة قد دافعت عن استقلالها فى جميع العصور ، وحافظت على شخصيتها على مر التاريخ وتحت كل الظروف ، وفرضتها على الغزاة والفاتحين ، وحتى اذا انهزمت حربيا أو سياسيا كانت تنتصر ثقافيا وحضاريا – فحين غزاها الهكسوس حوالى عام ١٧٣٠ ق. م وراث نفسها لأول مرة في التاريخ تحت حكم اعداء اجانب دافعت بعزيمة واصرار عن نفسها وتمكنت من طردهم وتخليص البلاد من شرهم عام ١٨٥٠ ق. م – وعندما تعرضت عام ٦٧٠ ق. م لهجوم الأشوريين قاومت حتى انبرى الملك (بسماتيك الأول) حوالى عام ٦٦٢ ق. م بقيادة الشعب المصرى وطردهم – وأيضا عندما قام الفرس بقيادة الملك (قمبيز) بغزوها واحتلالها عام ٥٢٥ ق. م قام الشعب بثورات عارمة ضدهم استمرت عدة سنوات ، وانتهت بطردهم وتخليص البلاد منهم حوالى عام ٤٠٤ ق. م – وعندما عادوا مرة أخرى لغزوها فى عهد الملك (تخانيبو الثانى) تمكن ابناء مصر من طردهم بمساعدة الإسكندر الأكبر الذى اتجه بقواته إلي مصر وفتحها عام ٣٣٢

---

١ – جورج سارتون تاريخ العلم مرجع سابق ص ٢ .

ق. م ، وبعد وفاته تأسست فى مصر بعد ذلك دولة البطالمة التى استمرت حتى الغزو الرومانى لمصر عام ٣١ ق. م ، والذى انتهى بالفتح الإسلامى فى عام ٦٤١ ميلادية (٢) .

أن تاريخ مصر الفرعونية لم يخل طول فتراته من القادة والزعماء الذين عبروا عن الاماني الوطنية وجمعوا الشعب المصرى حولها - كما أن أول أساتذة العالم فى العلوم المختلفة كانوا من ابناء مصر - فهم من أعظم اساتذة التاريخ الإنسانى وعلم الفلك والطبيعة والحكمة والرياضة والفلسفة ، والطب . فالأطباء المصريين هم أول من وصفوا امراض الشرايين التاجية ، وكتبوا علي أوراق البردى تفاصيل اعراضها حيث وصفوا اصابة احد امراء الأسرة الواحد والعشرين بهذا المرض ومحاولة اسعافه بنفس الطريقة التى نعرفها اليوم ، وبذلك فإذا كان مرض الشرايين هو مرض العصر فان المصريين القدماء هم أول من عرفوه وحددوا طرقا لعلاجه (١) .

---

(١) د. محمد حسين هيكل . ترجمة مصرية وعربية صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى ديسمبر ١٩٢٩ م - واعيد طبعها ونشرها بدار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٠ ص ٨

(٢) مقال للدكتور ذهني فراج استاذ جراحة القلب العالمى نشر فى مجلة اكتوبر بالعدد ٥٣٣ الصادر بتاريخ ١١ / ١ / ١٩٨٧

ولذلك نستطيع أن نردد ماقاله العالم و المؤرخ الكبير توينبى مشيرا إلى رقى الحضارة المصرية وفكرها الإنسانى والقانونى [ستظل هذه الاهرام وستبقى لتشهد قائلة إننى كنت هنا قبل أن يولد ابراهيم]

أو نستطيع أن نردد بفخر وشموخ ماقاله الاستاذ حافظ ابراهيم شاعر النيل .

(وبناة الأهرام فى سالف الدهر كفونى الكلام عند التحدى)

(١) د. بطرس غالى ، د. محمود خيرى عيسى . المدخل فى علم السياسة القاهرة ١٩٥٩ . مكتبة الانجلو المصرية ص ٦٣ ، ٦٤

الفصل الثانى

النظم القانونية لحضارة

بلاد ما بين النهرين

تقديـــم

تكونت حول نهري دجلة والفرات حضارة من ارقي حضارات العالم القديم ، وكانت تشمل المنطقة التي تعرف اليوم باسم العراق - والتي تعتبر من أهم مناطق مهد الانسانية . حيث ولد وعاش فيها الكثير من الرسل والانبياء - ومعظم المؤرخين والعلماء قد اشاروا بان حضارة بلاد ما بين النهرين قد توازت مع الحضارة المصرية القديمة في النمو والتطور ، وتشابها معها في الطابع الانساني والنظم الاجتماعية والقانونية - وان الحضارتين قد اشتركتا سويا منذ ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد فى علاقات انسانية عديدة ومتنوعة استمرت وازدادت في عهد حضارتي بابل واشور (١)

المبحث الاول

مراحل التطور الحضاري لبلاد ما بين النهرين

فقد اكتشف علماء الاثار وجود حضارات تكونت في شمال وجنوب بلاد ما بين النهرين وتمتد جذورها الي العصر الحجري القديم ثم العصر الحجري

١ - (اندريه ايمار / جانين اوبوايه تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة . مرجع سابق . ص ٩٢٤ ، ٠٠٠

الحديث في الفترة ما بين سنة ٥٠٠٠ ق.م الي ٢٨٠٠ ق.م مثل حضارة تل الحلف في الشمال الغربي غلي نهر الخابور احدي روافد نهر الفرات ، وحضارة تل العبيد في الجزء الاسفل لوادي ما بين النهرين . وحضارة اروك التي تقع علي بعد ٣٥ ميلا شمال تل العبيد ، وحضارة جمدة نصر التي كانت تقع بالقرب من مدينة بابل ويعود تاريخها الي ما بين نهاية الالف الرابعة وبداية الالف الثالثة قبل الميلاد - وقد عاش في هذة المدن جنسان مختلفان من السكان - ففي الجنوب كان يوجد سكان عرفوا بأسم (السومريين) وغير معروف حتي الان تاريخ ظهورهم علي وجة التحديد ، وان كان بعض العلماء يشير الي احتمال ان يكون موطنهم الاصلي مرتفعات فارس أو المنطقة التي تقع وراء الخليج الفارسي ، وبانهم نزحوا حوالي عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد الي سهل سومر الخصيب جنوب بلاد ما بين النهرين وأندمجوا مع السكان الذين كانوا موجودين في السهل واسسوا مدن عديدة مثل (ارو ، لارسا ، اريدوا ، اما ، لاجاش) - اما في الشمال كان يوجد سكان عرفوا باسم (الاكاديين) نسبة الي مدينة (اكاد) التي اسسها الملك صارغون في القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد (١) .

---

(١) د محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ٢٨١ - ص ٢٨٣

تشير المراجع التاريخيه بان سكان هذه الحضارات القديمة قد تعلموا وابتكروا علوم انسانية عديدة - حيث درسوا أمور السماء وتأملوا بعمق في اسرارها وفي النجوم التي تسبح فيها منذ غروب الشمس حتي ظهورها وكتبوا الكثير من النصوص عن اسرار الكون والطبيعة علي الواح من الخشب وقطع من الجلد ، وقاسوا بدقة المسافات والطرق واتقنوا فنون الرسم الهندسي للمنازل والمدن - كما تقدموا بصورة رائعة ازهلت العالم في علم الرياضة والطب والفلك ، واخترعوا بمهارة نظاما دقيقا لقياس الزمن(٢) - وفي ذلك يقول جاك . ريسلر (نحن وجميع شعوب العالم مدينون لشعوب بلاد ما بين النهرين القديمة بالكثير من العلوم الانسانية - لما اسدوه من فخر وابتكار لاختراعات عديدة - فهم أول من ابتكروا تقسيم الدائرة الي ثلثمائة وستين درجة ، وهم أول من قاموا بتقسيم السنة الي اشهر ، وهم أول من قاموا بتقسيم الشهر الي اسابيع ثم قاموا بتقسيم الاسابيع الي ايام ، وتقسيم الايام الي ساعات ، والساعات الي دقائق ، والدقائق الي ثوان - وبانة من خلال هذا التقسيم فتح الباب أمام المؤرخين والعلماء لكي يسجلوا تاريخ الانسانية منذ بداية ظهور الوجود البشري في هذا الكون)

---

(1) L. Delaporte . La mesopotamie les Civilisation, Baby lonienne et assyrienne, op.cit, pp23-37

(1) جاك سى ريسلر الحضارة العربية مرجع سابق ص ١٢

اكد المؤرخون بان المدن التي ظهرت في جنوب وشمال بلاد ما بين النهرين وكونت هذة الحضارات الضاربة في القدم - كانت علي شكل مدن صغيرة مستقلة كل منها عن الاخري قبل ظهور بابل واشور ، ومنذ حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وكان لكل مدينة رئيس يعتبر نفسة الحاكم والقائد والكاهن الاعلي لمدينتة حيث كان يباشر سلطانة عليها بصفة مطلقة - ولذلك اعتبرت كل مدينة من هذة المدن في حكم دولة صغيرة محدودة بالارض التي تحيطها وبالرعايا المقيمين فيها ، وكانت في نظر المدن (الدول الصغيرة) الاخري ذات استقلال وسيادة (١) - وبعض العلماء يشير بان السبب في انقسام هذة المنطقة الي دويلات صغيرة (كثيرا ما كان يحدث بينها عداء شديد) ، يرجع الي ان بلاد ما بين النهرين كانت ليس لها حدود طبيعية تفرض ذاتها علي الجميع وتدعوهم الي الوحدة مثل مصر التي حددت الطبيعة حدودها . ومكنت شعبها من التآلف والاندماج فى وحده وطنية لم يحدث فيها عبر التاريخ الحضارى اى عداء بين كافة المدن المنتشرة على طول نهر النيل وروافده من الشمال الى الجنوب - أما بالنسبة لبلاد ما بين النهرين فقد كانت الصحارى تحيط بها باستثناء جهه البلاد العربية ، وسكانها كانوا نادرا ما يدعوا للوحدة والتماسك مما جعلهم عرضة دائما للخلافات والمنازعات والحروب مثل ما حدث بين شعب دولة اما (umma)

(١) د. صوفى ابوطالب مبادىء تاريخ القانون مرجع سابق

وشعب دولة لاجاش (lagash) من معارك ضارية انتهت بمعاهدة سلام ابرمت عام ٢١٠٠ ق.م - الا انة رغم هذة الفوارق والانقسامات قد ابدعت شعوب هذة المنطقة في كافة العلوم وكونت حضارة من أرقي حضارات العالم القديم وان كانت وحدتها السياسية ليست من الأسس التي استندت عليها حيث كانت تتحقق احيانا ولكنها لم تدم فترات طويلة [1] لانه في عهد هذة المدن المستقلة ازدهرت الزراعة وابتكرت الصناعة ونشطت التجارة التي قامت علي تبادل المنسوجات الصوفية والكتانية والجلود والمواد الغذائية ، ورافق ذلك النشاط التجاري انشطة اخري عديدة في عمليات الصرف والاقراض وتحرير العقود ، وقوائم البيع وغير ذلك - وكان النشاط التجاري لا يتم فقط بين هذة المدن - وانما تم ايضا بينها وبين الشعوب الاخري المجاورة لهم في الشام ثم امتد الي دول قديمة اخري في فارس ومصر والجزيرة العربية وجزيرة كريت منذ إكثر من ثلاثة الف سنة قبل الميلاد - وامام هذه النمو الحضاري ظهرت مجموعات قانونية عديدة نظمت امور الحياة داخل هذه المدن مثل المدونة التي اصدرها الملك اورنامو (ur - nammu) مؤسس الاسرة الثالثة لمدينة لاور في الفترة (٢٠٦١ - ٢٠٤٣ ق.م) - والمدونة التي اصدرها الملك بيلالاما حاكم مدينة اشنونا في الفترة (١٩٥٠- ١٩٠٠ق.م) وسميت باسمه (code

(١) اندريه ايمارد ، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ١٣٥ - ١٣٩ .

Bilalama) – وتشريع ايسين (ISIN) الذى أصدره الملك ليبيت شتار (LIPIT ISTAR) حاكم مدينة ادن في الفترة مابين(١٨٨٥-١٨٧٥ق.م) ويتكون من ٤٣ مادة ونسخته موجودة حاليا بمتحف فيلادلفيا(١).

... ولكن مع مرور الزمن واستمرار تطور وازدهار تلك المدن التي انتشرت حضارتها في هذه المنطقة وكان لكل مدينة مستقلة ديانة خاصة استندت عليها دوما في تأسيس نظمها المختلفة تعرضت نتيجة تألق حضارتها لاطماع قبائل همجية عديدة كان اكثرهم بحثا عن الرزق البدو الذين كانوا يتصارعون جوعا في اواسط وشمال غرب اسيا ، والذين كانوا يقطنون الشمال الشرقي من اوروبا وذلك مثل القبائل الهندواوربية – حيث قاموا بغزوات عديدة شرسة من اجل نهب خيرات هذه المدن ، فاشاعوا فيها المذابح والخراب واضعفوا من قوتها التي اخذت تنهار نتيجة تكرار هجماتهم وتراكم امور الفوضي والفساد، وذلك في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٦٠- ١٨٣٠ قبل الميلاد.(٢)

(١) د. محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ٢٨٨ – ص ٢٩٠ .
(٢) جاك – سى ريسلر الحضارة العربية مرجع سلبق ص ١٢

وامام هذه الاحداث الدامية والخراب المحدق تمكن سومو - ابو (SUMU - ABU) وهو من القادة المشهود عنهم بالقوة والنفوذ ان يتغلب علي هذه الاحداث المؤلمة التي مرت بها البلاد فريسة للصراع وهجمات القبائل الهمجية - واسس لنفسه مملكة في مدينة صغيرة تقع في الجزء الاسفل لبلاد مابين النهرين وتبعد حوالي خمسه وخمسين ميلا جنوب بغداد الحاليه سماها مدينة (باب - ايلو) أو (بوابة - الله) ثم اطلق عليها العبرانيون بعد ذلك (مدينة بابل) (١) .

ومع مرور الزمن قويت بابل واشتد نفوذها حتي تمكنت خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد من اخضاع كل المدن الاخري لسلطانها ، وعندما اعتلي عرشها الملك حمورابي توحدت كل بلاد ما بين النهرين سياسيا واجتماعيا ودينيا وقانونيا ، حيث امتد حكمه وشمل كل ارجاء البلاد في الفترة ما بين (١٧٤٨- ١٦٨٦ ق.م) ، وعين حكاما للاقاليم تابعين له محل الامراء او الملوك القدامي - وقد وصلت البلاد في عهد الملك المصلح والمشرع حمورابى الي درجة عظيمة من الرقى والتقدم الحضاري والذي امتد الي كل المدن والاقطار المجاورة شرقا وغربا(٢) - الا انه في نهاية عهده حدث صراع

---

(١) د. محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ٢٨٥

(٢) د نورالدين حاطوم ، د. نبيه عاقل ، د. احمد طربين ، د. صلاح مدين - موجز تاريخ الحضارة . طبعة ١٩٦٣ دمشق ، ص ١٦٣ - ص ١٦٦

عنيف بين السلطتين الدينية والزمنية استمر واشتدت حدته فترات طويلة الي ان انتهي الامر بانتصار الكهنة وانفصال السلطة الزمنية عن السلطة الدينية وسقوط بابل (١) .

وعقب ذلك ظهرت الفترة الثانية الهامة في التاريخ السياسي لبلاد ما بين النهرين وهي فترة الحكم الاشورى حيث حلت اشور محل بابل في حكم البلاد - ثم امتد سلطان الاشوريين علي الاقاليم الاخرى حتي وصلوا الي دمشق عام ٧٣٢ ق.م وفلسطين ثم مصر عام ٦٧٠ ق.م (٢) - الا انه نتيجة بطش الاشوريين والقسوة التي اتسموا بها خلال فترة حكمهم جلبت عليهم المنازعات والفوضي التي احدثت مع استمرارها تهالك في قواهم مما ادى الي تزعزع سلطتهم في مناطق كثيرة بالبلاد وتعرضوا لهجمات متكررة من اعدائهم ، وفتحت عليهم جبهات الصراع من كل المدن المحيطة بهم، فانهارت قواهم وسقط حكمهم وزالت بالتالي الدولة الاشورية من الوجود ، وظهرت مرة اخرى بابل في ثوب قوة جديدة وتمكنت من السيطرة علي حكم البلاد حوالي عام (٦٠٦ ق.م) تحت اسم الاسرة البابلية الجديدة - الا ان قوتها لم تكن مثل قوة الاسرة البابلية الأولي ، فلم تتمكن من الصمود أماما

---

(١) د. صوفى ابوطالب . مبادىء تاريخ القانون مرجع سابق .
(٢) د. محمد حسين هيكل تراجم مصرية وعربية مرجع سابق ص ١٢

اطماع الفرس فسقطت في ايديهم عام ٥٣٩ ق.م واصبحت تابعة لامبراطوريتهم الي ان قام الاسكندر الاكبر عام (٣٣١ ق.م) بالزحف علي بلاد ما بين النهرين بعد ما تمكن من فتح مصر . وطرد الفرس منها واخضعها تحت حكم سيادة الامبراطورية الاغريقية ، وزالت بالتالي من الوجود بابل واشور(١) .

المبحث الثاني :

اهم النظم القانونية لبلاد مابين النهرين

بعد ان عرضنا السجل التاريخي لبلاد مابين النهرين وتبين ان حضارتها قد تطورت منذ بداية الحياة البشرية في كافة العلوم الانسانية وفي النظم القانونية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية – فان من عوامل رقى هذه الحضارة قانون حمرابى الذى يعتبر من أشهر المدونات التي عرفت فى العالم القديم حيث سادت فى جميع ارجاء بلاد ما بين النهرين والمدن والاقاليم المجاورة لها فترات طويلة حتى بعد انتهاء فترة حكم حمورابى وذلك لانها اشتملت على معظم القواعد المتعلقة بسائر فروع القانون وكانت ذات طابع تميز بروح العدالة (٢).

(١) د. محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ٢٨٧

(٢) أرنولد توينبى مختصر دراسة التاريخ ترجمة فؤاد حمد مشعل . مراجعة محمد شفيق غربال . اختارته وانفقت على ترجمته الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية . الطبعة الثالثة ١٩٦٧ القاهرة . ص ١٠٢ ومابعدها

وحيث ان النظم القانونية تعتبر من المعالم الاساسية لمظاهر الرقى والازدهار الحضارى عند أى أمة من الامم – فقد جاء قانون حمورابى خير مصداقا لهذا التعبير ، ولذلك؛ سوف نعرض ظروف وضعه ، والخصائص التى اتسم بها ومضمون احكامه لما لها من اهمية امتازت بها فى الفكر المتطور لعلم القانون .

قانون حمورابى (LOI DE HAMMOURABI)

حمورابى هو سادس ملوك بابل واشهرهم قوة وحكمة وعلم، اعتلى العرش حوالى عام(١٧٢٨ ق.م) واهتم اهتماما بالغا بشئون البلاد وتدبير أمورها وجعل اللغة الاكادية لغتها الرسمية وعبادة الاله (مردوك MARDUK) اله بابل تمثل الديانة الوحيدة فى كافة ارجائها – وقد تم فى عهده الذى استمر حتى عام (١٦٨٦ ق.م) توحيد كافة النظم القانونية والاجتماعية والسياسية – كما استغل سلطاته القضائية لكى يدعم سلطانه المطلق ويوطد المركزية فى حكم البلاد التى تطورت فى عصره وتألقت بالنمو والرقى والازدهار فى كافة امور الحياة وكان مهدها الحضارى متوجا بين المجتمعات الاخرى التى عاصرت ظهورها فى هذه الفترة التاريخية للعالم القديم(١).

(١) اندريه ايمارد ، جانين اوبواية تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص١٤٦ ومابعدها

- وقد اكتشف العالم الاثرى جاك دى مورجان (J.DE MORGAN) القانون الذى وضعه الملك حمورابى اثناء فترة حكمه - فى حفائر مدينة سوز(SUZE) عام ١٩٠٢ ميلادية منقوشا على مسلة حجرية اسطوانية الشكل يبلغ ارتفاعها مترين وخمسة وعشرين سم ومحيط قاعدتها متر وتسعون سم ، وفى اعلاها نقوش بارزة تصور اله الشمس وهو يملى احكام هذا القانون على حمورابى - وهى محفوظة حاليا فى متحف اللوفر بمدينةباريس(١).

الغرض الاساسى لوضع حمورابى لهذا القانون:

يشير العلماء والمؤرخين - بان حمورابى بعد ان وحد اللغة والديانة - وجد ان توحيد كافة النظم القانونية سوف يلم شمل كل ابناء الامة ويحقق وحدتهم الوطنية - كما سيؤدى الى تأمين كافة ارجاء البلاد من عوامل التفكك والانحلال والضعف ، وسيعطى لشعب بلاد ما بين النهرين اسانيد للتماسك والقوة فى الصمود والانطلاق نحو التقدم والازدهار - بالاضافة الى انه سوف يدعم نفوذ حمورابى ويقوى سلطته المركزية فى استمرار حكمه للبلاد - وبذلك فأن الغرض الاساسى من وضع مدونته كان لهدف تحقيق الوحدة

(١) د عبدالسلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٥٢ .

القانونية للبلاد من اجل تدعيم وحدتها السياسية وتقوية نفوذه وسلطانه وعلي ضوء ذلك قام حمورابى بتجميع القواعد العرفية التي كانت سائدة في كل انحاء البلاد (١) – سواء كانتاعراف سومرية أو اكادية وبلورها وعدل فى احكامها بعد ان استبعد منها ما كان يتعارض مع منطق الوحدة القانونية – واصدرها كمجموعة قانونية متكاملة صاغ نصوصها التى تتكون من (٢٨٢) مادة منفصلة ومتتابعة بحسب طبيعة المسائل الواردة فيها باسلوب يشبه الي حد ما اسلوب القوانين الحديثة ، وان كان صدورها قد جاء على نفس شكل المدونات القـــديمة التى كانت تشـــمل مقدمة يلـــيها المواد القانونية ثم خاتمة (٢) – كما سنرى .

الطابع الاجتماعى لقانون حمورابى :

١– قسم قانون حمورابى المجتمع فى كافة ارجاء البلاد الى اربعة طبقات ، كل طبقة تميزت عن الاخرى فى تطبيق احكامه :

أ – طبقة الاحرار (Les Hommes Libres)– وكانت تتكون من الاشـخاص الذين لهم الحق المطلق فى التملك وممارسة التجارة وفى

(1) L. Delaporte, La mesoptamie . les Civi lisation, Baby lonienn et assyrienne, op.cit . pp 110-112

(٢) د عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٥٣

الاشتراك مع الملك فى ادارة شئون البلاد ، وفى الدخول الى مجلس الشيوخ - ومعظمهم كانت تصدر لهم أوامر ملكية باعفائهم من الضرائب.

ب - **طبقة الكهنة** Les Prétres - وكانت لهم نفس الحقوق والامتيازات المقررة لطبقة الأحرار - بالاضافة الى مكانتهم فى حراسة المعابد وفى اسداء النصح للملك وتزويده بالاراء والحكمة .

ج - **طبقة العامة** Les Subordonnes-Maskinous - وهى طبقة المتواضعين وكانت تتكون من العمال والصناع والمزارعين والمعتقين من الرق وحقوقهم كانت اقل من حقوق طبقتى الاحرار والكهنة .

ء - **طبقة العبيد** Qallum-Wardum وكانت تضم الاشخاص الذين ولدوا ارقاء وأسرى الحروب والذين استرقوا لعجزهم عن سداد ديونهم المستحقة - والارقاء كانت لهم بعض الحقوق عكس المجتمعات الغربية التي لم تقرر لهم اى حقوق على الاطلاق ، ولذلك فمفهوم نظام الرق فى بابل وفى الشرق عموما يختلف من مفهومه عند الاغريق والرومان - لان العبد فى بابل وفى بعض بلاد الشرق كانت له شخصية حقوقية تمكنه ان يتملك وان يكون اسرة ، وان يعتق اذا قدم الى سيده ثمن يساويه فى الصفات - كما كان له الحق ان يعترض امام القاضى اذا اراد سيده ان

يبيعه الى رجل مشهور بالقسوة ، والقاضى أن ينصفه ويقوم بفسخ عقد بيعه اذا تأكد من ذلك (١) - والعبد ذكرا كان ام انثى كان يوشم غالبا، وتبتر يد الطبيب الذى يزيل هذا الوشم ، وكان تحريره يتم فى احتفال دينى يطهر اثناءه جبينه حتى اصبحت كلمة التطهير فى بابل تعني العتق(٢) .

وعلى ضوء هذا التقسيم كانت حقوق الشخص وواجباته فى قانون حمورابى تختلف باختلاف الطبقة التى ينتمى اليها فالتعويض الذى كان يدفع لشخص ينتمى لطبقة الاحرار أو الكهنة اذا اعتدى على حقوقه كان اكبر من التعويض الذى يدفع الى شخص ينتمى الى طبقة العامة (الموشكينو) اذا حدث نفس الاعتداء على حقوقه - والتعويض الذى يحصل عليه الاخير كان اكبر من التعويض الذى يحصل عليه العبد عندما يتعرض لنفس الاعتداء (٣) .

٢ - يتميز هذا القانون أيضا بخلوه من الاحكام الدينية الا فيما ندر، رغم اعتباره صادرا من إله بابل الى الملك حمورابى ، ولذلك لم يكن تشريعيا

---

(١) د. عبدالسلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٥٤

(٢) اندريه ايمارد ، جانين اوبوايه تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ١٥١

(٣) د. صوفى ابو طالب مبادىء تاريخ القانون مرجع سابق ص ١٦٠

دينيا ، ولم ينص الا على امتيازات قليلة لبعض الكهنة فى مسائل خاصة محددة تتعلق بأمور العبادة فقط (١) .

٣- عكس هذا القانون الظروف الواقعية لمجتمع بلاد ما بين النهرين وما وصل اليه من درجة متقدمة فى النمو والتطور والازدهار والرقى الحضارى - كما اقر حقوق عديدة للاشخاص مثل الاعتراف بالملكية الفردية ، وحرية التعاقد ، ومنح المرأة الاهلية الكاملة (١) .

٤ - اتسمت معظم احكامه الجنائية بالقسوة من أجل ان يحقق ردع قوى يصون المجتمع من عوامل الانحراف والفساد والفوضى (٢)

المضمون العام لقانون حمورابى :

اولا . المقدمة :

اظهر فيها حمورابى ولاءه وتمجيده للآلهة حيث اعلن صراحة بانها التى اوصت اليه بهذا القانون لينتشر العدل ويتحقق الامان والاستقرار وقال(لقد دعتنى الآلهة حمورابى ، الامير النبيل الذى يحترم الآلهة ويشيد العدالة ويقضى على الظلم والناس الشريرين ، ولا يجوز للاقويا ان يعتدوا على الضعفاء ، إنى قد اتيت لانشر العدالة بين الناس كما تنشر الشمس ضيائها

---

(١) د. عبدالسلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٥٣
(٢) د. عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٥٦
(٣) اندريه ايمارد . جانين اوبوايه تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ١٧٦ .

على الارض . ارسلنى مردوك(الإله) لاحكم بين الناس واحمى الارض - لذلك فاني وضعت القوانين والعدالة بينهم وهيأت لهم الخير والسعادة . لا يجوز للقوى ان يعتدى على الضعيف . كما انه يجب علينا حماية الأرامل والا يتام ، ليتقدم منى المظلوم لانصفه ، وليقرأ ما هو مكتوب على تمثالى ويتفهمه ويعرف حقوقه ويشعر بالسعادة ، ليقل كل مظلوم ان حمورابى سيد واب لعموم رعيته) (١)

ثانيا - اهم الأحكام

جاءت احكام قانون حمورابى بعد المقدمة فى صورة اعمدة بلغ عددها واحد وخمسون عمودا تضمنت ٢٨٢ مادة تناولت معظم فروع القانون ومختلف أمور الحياة العامة والخاصة - وطبقا للتقسيمات الحديثة يمكن ان نعرض أهمها كالأتى

١- الاحكام المتعلقة بالمسائل الجنائية ،

أ - اقر قانون حمورابى عقوبة الجزاء بالمثل (القصاص) طبقا لتسلسل الطبقات فى الجرائم التى تمس حق الانسان فى سلامة جسمه مثل الضرب والجرح والاجهاض - حيث يطبق جزاء المثل على المعتدى اذا

---

(١) د . محمود السقا تاريخ النظم القانونية الاجتماعية مرجع سابق ص ٢٩٥

كان من طبقة المعتدى عليه - اما اذا كان المعتدى من طبقة الامراء والمعتدى عليه من طبقة العامة (الموشكينو) أو من طبقة العبيد فيكتفى بالتعويض وهذه الاحكام قد تناولتها المواد من ١٩٤- ٢١٤ .

ب - طبق القانون عقوبة الاعدام فى بعض الجرائم مثل: من يقوم بالسحر بكافة انواعه (الشعوذة او بطريق الرقى) اذا أدى الى ايقاع الشر والاذى بأنسان .

* من يقوم بالقذف الباطل والشهادة الكاذبة .

* من يسرق الأموال العامة أو يتلف أو يخرب عمدا الممتلكات العامة .

* السارق اذا ثبتت عليه السرقة أو ضبط متلبسا ، كما تطبق عقوبة الأعدام على من يؤويه فى منزله أو فى مكان أخر خاص به ليبعده عن حكم العدالة

* البناء اذا سقط البناء (المنزل) الذى شيده على صاحبه وقتله - اما اذا سقط على ابن صاحب البناء(المنزل) وقتله ، فيقتل ابن البناء - أما اذا كان المقتول عبدا فيعوض البناء سيده بعبد أخر مماثل له فى القوة والصفات وقد تناولت احكام عقوبة الأعدام فى هذه الجرائم المواد من ٢٥:٦

جـ - الجرائم الماسة بسير العدالة (القضاء) وقد تناولتها المواد من ١-٥ .

د - الجرائم التى يرتكبها صاحب الفندق أو الناقل وقد تناولتها المواد من ١٠٨-١١٢.

هـ - الجرائم الخاصة بسرقة الادوات الزراعية وقد تناولتها المادتين ٢٥٩، ٢٦٠ .

٢- الاحكام المتعلقة بالمسائل المدنية :

أ- فى مجال المسئولية

* اقر القانون بمسئولية الطبيب اذا اخطأ أو اهمل أو لم يقدم الرعاية المطلوبة للمريض الذى يعالجه والزمه بدفع تعويض مناسب - وأيضا اعترف صراحة بمسئولية المهندس والبحار فى حالة الخطأ أو الاهمال أو عدم بذل العناية المطلوبة والزامها بتعويض المضرور فى الحال بمبلغ يساوى قيمة الضرر- وقد تناولت هذه الاحكام المواد من(٢١٥-٢٤٠)

* اوجب القانون مساطة الدائن اذا تعسف فى استعمال حقه فى المواد من (١١٣- ١١٩)، وحارس الحيوان فى المواد من (٢٦٣-٢٦٧).

* اعترف القانون صراحة بمسئولية الشخص الذى يتسبب فى احداث اضرار تصيب المزوعات سواء كانت عمدية أو نتيجة اهمال فى المواد من (٥٣-٥٩).

* الزم القانون العامل ورب العمل على ضرورة تنفيذ التزاماتهما بحسن النية، وبان يمنح العامل اجازة ثلاثة ايام اذا كان عاملا بالشهر ، وعشرة ايام اذا كان عاملا بالسنة، كما حدد اجور الطبيب والبناء والصانع والعامل والاجير كل بحسب صنعته وعمله - وذلك فى المواد (٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٧٤).

ب - **فى مجال العقود :**

اهتم القانون بتنظيم عقود البيع والايجار والوديعة ، والقرض بفائدة ، والمزارعة، وشراء العبد ، وايجار الراكب والسفن - وعين التزامات الطرفين فيها واقام نفاذ العقد على مبداء التراضى والنية الحسنة وحدد مقداز الفوائد فى الديون والقروض - وذلك فى المواد(٤٢-٥٢)، (٩٠-٩٧)، (١٢٠- ١٢٦)، (٢٤١- ٢٥٠)، (٢٧٥-٢٧٧)، (٢٧٨، ٢٨٢).

ج - **فى مجال المعاملات :**

نص القانون على احكام عديدة بأمور المعاملات مثل نظام الشركة حيث جعل اقتسام الربح والخسارة مناصفة بين الشركين واوضح التزام كل من

الشريكين فى اعمال الشركة - كما وضع احكاما خاصة باعمال التجارة والملاحة النهرية ، وذلك فى مواد عديدة اهمها من (١٠٠ - ١٠٧)

د - فى مجال الأمور الاقتصادية :

نظم القانون بعض الأمور المتعلقة بالنشاط الاقتصادى مثل عمليات تحويل الاراضى غير القابلة للزراعة الى اراضى صالحة لزراعة الفاكهة أو الحبوب وذلك فى المواد من (٦٠-٦٥) .

هـ - فى مجال العبادة :

نظم القانون ايضا بعض الاعمال الخاصة بالمعابد مثل الاحكام التى تتعلق بالراهبات التى نص عليها فى المواد من ١٢٧- ١٦٤ .

٣- الاحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية :

تضمن القانون احكام عديدة خاصة بالاحوال الشخصية مثل

أ- نظام الزواج - والعلاقة بين الزوج والزوجة :

* اوجب العقد فى الزواج والا كان باطلا - كما تطلب ضرورة ان يتم الزواج طبقا لمراسم دينية معينة لكى يدل على مغادرة الزوجة بيت ابيها ودخولها فى بيت زوجها .

* اشترط على الزوج بعدم الزواج من زوجة ثانية الا اذا كانت الزوجة الأولى عقيمة – واجاز للزوجة ان تطلب الانفصال عن زوجها اذا اهملها او تركها وذهب لغيرها ولم يكن بها أى عيوب

* جعل عقوبة الزوجة الزانية الاعدام – الا اذا عفا الزوج عنها او غاب عنها ولم يترك لها ما تقتات به فى أمور معيشتها .

* حدد بوضوح سلطة الزوج على زوجته – ومنح للزوجة شخصية قانونية تسمح بان يكون لها ذمة مالية مستقلة عن زوجها وان تتملك الأموال تتصرف فيها بحرية كاملة ، وان تتعاقد وتدافع عن حقوقها دون اذن من الزوج أو الرجوع اليه فى أمر النفاذ أو الاجازة

* منع الزوجة التى توفى زوجها بعد ان انجب منها – ان تتزوج من زوج ثان الا بموافقة القاضى ، بعد ان يشترط عليها وعلى زوجها الثانى بان يقوما برعاية اولاد(المتوفى) وان يحافظا على اموالهما

ب – **نظام الأسرة** :

خفف القانون من حدة السلطة الابوية التى كانت منتشرة فى البلاد قبل صدوره – وذلك فى أمور عديدة مثل:-

* جعل الاب لا يستطيع ان يحرم ابنه من الميراث الا بسبب مقنع تقدره المحكمة وتقضى به .

* ساوى بين الاولاد فى الميراث سواء كانوا ذكورا أو اناثا .

* حصر حق الارث فى تركة الاب بعد وفاته لاولاده من الزوجة الحرة - اما اولاده من الأمة فلا يرثون ولكنهم يصبحون فقط بعد وفاته احرارا بحكم القانون .

* منح الاب حق تفضيل احد اولاده على اخوته فى التركة بعد وفاته عن طريق الهبة .

* اجاز القانون نظام التبنى واشترط على من يتبنى طفلا ان يقوم برعايته ويعلمه ويهتم باموره والا جاز ان يعود الى بيت ابيه .

وقد تناولت هذه الاحكام المواد من (٧٨-١٨٢)، (١٦٥-١٧٧) ، (١٨٢-١٨٤)، (١٨٥ - ١٩٣) .

هذا بالاضافة الى ان مدونة حمورابى قد تناولت موضوعات اخرى كثيرة اشتملت على معظم ما يتصل

بالحـــياة الاجتماعية والزراعية والاقتصادية (١)

ثالثا- الخاتمة :

تضمنت الخاتمة خطابا موجها من الملك حمورابى الى جميع الناس ، يدعوهم فيه الى ضرورة احترام هذا القانون والالتزام بكل قواعده حتى تمنحهم الالهة الرعاية والبركة ، وحذرهم بان اللعنة سوف تلحق بالذين لا يحترمون احكامه - وفى ذلك يقول ول ديورانت بان شريعة حمورابى لا تقل رقيا من عدة وجوه عن شريعة أى دولة أوربية حديثة ، وبأنه من النادر ان يجد الانسان فى تاريخ الشرائع كله الفاظا أرق وأجمل من الالفاظ التى قررها حمورابى العظيم فى خاتمة شريعته - اذ قال (ان الشرائع العادلة التى رفع منارها الملك الحكيم حمورابى والتى اقام بها فى الارض دعائم ثابتة وحكومة طاهرة صالحة انا الحاكم الحفيظ الامين عليها، فى قلبى حملت اهل ارض سومر وأكد ... وبحكمتى قيدتهم، حتى لا يظلم الاقوياء الضعفاء ، وحتى ينال العدالة اليتيم والأرملة ... فليأت أى انسان مظلوم له قضية ، أما صورتى ، انا ملك العدالة ، وليقرأ النقش الذى على اثرى ، وليلق باله الى

---

(١) د. صوفى ابوطالب مبادئ تاريخ القانون مرجع سابق ص ١٥٧ - ص ١٦٠

(٢) د. محمود السقا التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٢٩٤ ومابعدها ،

(٣) د عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٥٤ - ص ٥٦

(٤) د عبدالسلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٥٥ - ٥٦

كلماته الخطيرة . ولعل اثرى هذا يكون هاديا له فى قضيته ، ولعله يفهم منه حالته ، ولعله يريح قلبه فينادى : حقا ان حمورابى حاكم كالوالد الحق لشعبه ... لقد جاء بالرخاء الى شعبه مدى الدهر كله ، واقام فى الارض حكومة طاهرة صالحة . ولعل الملك الذى يكون فى الارض فيما بعد وفى المستقبل يرعى الفاظ العدالة التى نقشتها على اثرى) .

وعلى ضوء ذلك يتضح ان قانون حمورابى كان على درجة عظيمة من التقدم الحضارى ومن الرقى المهذب ، وهو يفوق قوانين المجتمعات الغربية وخاصة قانون الالواح الاثنى عشر رغم انه اقدم منه باكثر من خمسة عشر قرنا (١).

• خصائص قانون حمورابى :

١- جاء نصوص هذا القانون فى اسلوب شعرى موجز مثل المدونات الاخرى التى ظهرت فى العالم القديم - وذلك من اجل ان يعلم بها جميع الناس وتحفظ احكامها فى ذاكرتهم .

٢- معظم نصوص هذا القانون تميزت فى صياغتها بالاسلوب الافتراضى ، فكانت كل مادة من مواده تبدأ بعبارة (اذا فرض) - اى كانت احكام

(١) د. عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٥٦

هذا القانون عبارة عن جمل شرطية واستخدمت كلمة (اذا فرض) كاداة شرط فى بداية كل حكم من احكامه .

٣- ضم هذا القانون حلولا فردية لحالات معينة - فلم يأت بقواعد عامة واصول كلية الا نادرا - ولذلك فغالبية قواعده كانت عبارة عن حلول فردية لمواجهة مواقف وحالات محددة بذاتها - والسبب فى ذلك يرجع الى ان فقهاء بابل كان يغلب على نمط تفكيرهم الطابع العملى أى البحث عن الحلول الفردية والعملية للمشاكل اليومية (١) .

٤- وضع هذا القانون اكثر من قاعدة لحل مسألة واحدة - وذلك من اجل ان ييسر على الافراد اختيار القاعدة المناسبة لهم والتى تتفق مع عاداتهم وتقاليدهم .

٥ - لم يحقق هذا القانون المساواة فى العقاب - حيث كانت عقوبة الجريمة الواحدة تختلف حسب حالة الجانى الاجتماعية - اى فكرة العقاب كانت ترتبط بتسلسل الطبقات - ولذلك يختلف هذا القانون عن معظم القوانين الشرقية القديمة وخاصة القوانين المصرية مثل تقنين تحوت ومجموعات قوانين بوكخوريس وامازيس حيث تحقق من خلالها المساواة التامة فى العقاب .

(١) د عبدالسلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٥٧ ، ٥٨

٦- هذا القانون لم يعالج الا الحالات الهامة والمختارة بهدف تحقيق الوحدة القانونية - وإذلك لم يكن صورة كاملة لجميع الاعراف والنظم القانونية التى كانت سائدة فى البلاد قبل صدوره - مثل موضوع (الكفالة) فهو لم يعالجها رغم شيوع استخدامها فى تصرفات الافراد يوميا ، كما لم يعرف هذا القانون عقوبة القتل على وجه التحديد ، ولم يعطى للبيع أى تكييف قانونى .

٧ - اتسمت جميع قواعد هذا القانون بروح العدالة رغم طابع القسوة التى تميزت بها ، وخاصة فى توقيع عقوبة الأعدام على بعض الجرائم التى لا تزيد فيها العقوبة عن السجن أو القطع مثل السرقة - كما ان مجموعة قوانين(اورنامو) التى صدرت قبل قانون حمورابى بحوالى ثلاثة قرون (٢٠٦١-٢٠٤٣) نصت على انه فى حالة جرائم الاعتداء على الاشخاص يكون الجزاء فيها دائما دية محددة قانونا - اى تطورت فى مجال العقاب من عقوبة المثل(القصاص) الى فكرة الدية - فى حين نجد قانون حمورابى يعود مرة أخرى الى قانون القصاص ويأخذه اساسا فى توقيع العقوبات على الجرائم التى تمس حق الانسان فى سلامة جسمه ، وهذا قد دفع بعض العلماء الى القول بان قانون حمورابى قد تطور عكسيا

فى مجال تاريخ العقاب – الا انه رغم ذلك لم تستطع هذه الأمور ان تطمس مضمون العدالة فى احكام هذا القانون (١).

وتعقيبا على ما تقدم فقد اعطى قانون حمورابى صورة كاملة عن الواقع الحضارى الذى كانت عليه بلاد ما بين النهرين ، وأضاء المفاهيم عن النظم المختلفة التى كانت تنتشر فى كل ارجائها – وهو يعد من أهم واعظم تشريعات الحضارات الشرقية ، وكذلك يعتبر من ارقى قوانين العالم القديم . (٢)

---

(١) د. محمود السقا تاريخ النظم القانونية والاجتماعية مرجع سابق ص ٢٩٩ – ٣٠٣ .

(٢) اندريه ايمارد ، وجانين اوبوايه تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ١٧٥ ومابعدها .

الفصل الثالث

نظم وأحكام الشريعة اليهودية

تقديم

منذ بداية القرن العشرين قبل الميلاد كانت فلسطين القديمة مكانا مفتوحاً لإقامة شعوب عديدة من الأجناس المختلفة - جاءت معظمها فى البداية مهاجرة من البلاد المجاورة لها فى عهود مختلفة، وعلى الأخص من الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين ومصر (١)، من أجل البحث عن الرزق الوفير فى أراضيها الخصبة التى كان دائما تتشبع بمياه الأمطار والأنهار والينابيع - ولذا كانت الزراعة فيها ممكنة وجبالها تكسوها الأشجار التى كانت أغلبها تطرح أصناف كثيرة من الثمار، هذا بالإضافة إلى أن الطرقات المختلفة كانت تؤدى إليها وتمر فيها لموقعها الفريد الذى يصل الشمال بالجنوب، كما كانت المسلك الوحيد بين مصر وجميع بلدان الشرق، وتصل إليها القوافل من الهند وبلاد فارس ومن أسفل الفرات وبلاد ما بين النهرين - إلى جانب أنها تطل على البحر المؤدى إلى بلدان متطورة حضاريا فى الغرب وشمال أفريقيا - كل هذا رغم أنها كانت خلال فترة هذا الزمان عبارة عن مدن وقرى صغيرة لا حدود طبيعية لها ولا يجمعها وحدة ولا إدارة مركزية، لذلك كانت مفتوحة أمام الشعوب المهاجرة والجماعات البشرية التائهة

---

١ - د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - ١٩٩٧ القاهرة - دار النهضة العربية ص ١٣٧.

التـي رغـبت فـي أن تقتطـع مكانـا لنفسـها، كمـا طمعـت فيهـا كـل الإمبراطوريـات الكـبرى كـالإغريق والرومـان لكـي تسـطو علـى خيراتها(١) – وأهم القبائل التي إتجهت صوب أراضيها وإستقرت على الضفاف الغربية لنهر الأردن، كانت قبيلة "الكنعانيين" ونظـرا لذلـك أطلقت على هذه المنطقة بعد فترة من الزمان "أرض كنعان"(٢).

– وفى أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد جاء إلى سواحلها الممتدة بين يافا وغزة جماعة مهاجرة من جزيرة فلستينا التى تقـع بـالقرب مـن جزيرة كريت ولذلك أطلق عليهم **الفلسطينيون** – وبعد أن استقروا فـى هذه المنطقة واختلطوا بالكنعانيين وامتزجت الدمـاء وغلب عليهم الـدم العربى سميت هذه المنطقة وعرفـت باسم "**فلسطين**" وأحاطها شـعوب عديدة من أصل عربى.(٣)

١– اندريه ايمارد، جانين أوبوايـه – تـاريخ الحضـارات العـام . الشـرق واليونـان القديمـة مرجع سابق ص٢٥٥.

٢– د. فخرى أبو سيف مبروك . دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعيـة والقانونيـة – كليـة الحقوق جامعة المنصورة طبعة ١٩٨١–١٩٨٢ ص٢١٤، ص٢١٥.

٣– د. محمود السقا : أبحاث في تاريخ الشرائع القديمـة – ١٩٩٣ القـاهرة – دار النهضـة العربية . ص١٣٧.

- وحيث أن اليهود بعد أن خرجوا من مصر وحكم عليهم بالتيه الأعظم الذى دام أربعين عاما فى الصحراء - قد دخلوا بزعامة يوشع بن نون أرض كنعان بعد أن لاقوا مقاومة عنيفة من جانب أهلها ، وظهرت شريعتهم (القانون اليهودى) بعد أن استقروا فى بعض أجزاء هذه المنطقة - وان هذه الشريعة محل دراستنا فى هذا الفصل - سنعرض أولا نبذة تاريخية عن نشأت اليهود لكى نظهر بان شريعتهم غير نابعة من حضارتهم التى لم تمكث فى هذه المنطقة سوى فترة قصيرة ثم تاهت واندثرت فى سالف الأزمان مثل حضارة الحثيين (*)،

* توجد ثلاث أسماء لهذا الشعب: كالآتي

١- أطلق عليهم فى بداية تاريخهم العبرانيين، وأصل هذه التسمية كما يقول بعض المؤرخين إلى كلمة "عبرى" التى وردت فى التواره ويقصد بها (عابر) الذى يمتد نسبه إلى "سام" اكبر أبناء سيدنا نوح فى حين يقول البعض الأخر. أن كلمة عبرى أطلقت على سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه عبر نهر (الفرات أو الأردن) إلى أرض كنعان بعد ثورته على الوثنية فى مدينة بابل ببلاد ما بين النهرين - ورأى ثالث يقول أن كلمة عبرى مشتقة من الفعل الثلاثى عبر بمعنى الانتقال والعبور من مكان لآخر وهى صفة أهل البدو واطلقت على هذا الشعب لأنه حياته الأولى كانت بدوية - وهناك رأى رابع يقول بان كلمة عبرى أطلقت على قوم موسى عندما عبر بهم يوشع بن نون نهر (الفرات أو الأردن) لفتح ارض كنعان.

٢- أطلق عليهم بنى إسرائيل نسبة إلى سيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم

ثم نعرض نظام هذه الشريعة وخصائصها.

السلام – حيث توجد إشارات فى التوارة تدل على كيفية تغير اسم يعقوب إلى إسرائيل وشهرته بهذا الاسم ، وبان هذا الاسم مكون من مقطعين الأول (يسر) وتعن جاهد أو انتصر والثانى (ايل) وتعنى الله فى اللغة الأرمية – ولذلك تعنى كلمة إسرائيل من جاهد مع الله أو جند الله.

٣- أطلق عليهم يهود نسبة إلى (يهوذا) وهو الابن الرابع لسيدنا يعقوب عليه السلام، وعندما نقل العرب كلمة يهوذا استبدلوا (الذال) إلى (دال) فصارت كلمة يهودا.

– انظر فى ذلك: د. فخرى أبو سيف : دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية . مرجع سابق ص٢٠، ص٢.

– د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة – مرجع سابق ص١٤١ .

– الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء – الطبعة الأولى ١٩٨١ القاهرة . دار التراث العربى ص١٤٨ وما بعدها.

المبحث الأول

تاريخ نشأت اليهود وظهور مجتمعهم فى العصور القديمة

- خلال السنوات الأولى للقرن التاسع عشر قبل الميلاد أنجب "تارخ" الملقب باسم "آزر" فى القران الكريم (١) بعد أن بلغ من العمر خمسة وسبعون عاما من زوجته "أميلة" ثلاثه أبناء على أرض بابل هم حسب ترتيب ولادتهم "ناحور، وابراهيم الخليل عليه السلام، وهاران" – وان هاران قد مات فى حياة أبيه فى الأرض التى ولد فيها "بابل" بعد أن تزوج وانجب سيدنا لوط عليه السلام، أما ناحور فقد تزوج وأنجب من سيدة تدعى "ملكا"، وإبراهيم الخليل تزوج "سارة" وكانت عاقرا لا تلد (٢) بعد أن اكرم الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم واتاه رشده وابتعثه رسولا واتخذه خليلا فى كبره تصديقا لقوله تعالى [ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين] (٣) دعا قومه إلى عباده الله الواحد

١- سورة الأنعام . الأيه ٧٤ .

٢- الأمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير – قصص الأنبياء . مرجع سابق . ص١٢٨، ١٢٩ .

٣- سورة الأنبياء . الآية ٥١.

الأحد ونبذ عبادة الأوثان وكانت أول دعوته لأبيه، إلا انهم رفضوا وأصروا على كفرهم فقام بتحطيم الأصنام التى يعبدونها لكي يكشف لهم بالحجج والبراهين ضلالهم، فحكم عليه بالموت حرقا، بأمر مالكهم الطاغى ملك بابل "النمرود بن كنعان" ونجاه الله سبحانه وتعالى من ظلمهم وكيدهم تصديقا لقوله تعالى [قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم](١).

- هاجر سيدنا إبراهيم بعد ذلك ومعه زوجته "سارة" وأبوه "تارخ" وأمه "اميلة" وشقيقه "ناحور" وزوجته "ملكا" وابنه أخيه "لوط" عليه السلام من ارض قومه فى بابل، وأقام مع أسرته عدة سنين فى بلدة "حران" التى تقع فى شمال بلاد ما بين النهرين وشمال شرق مدينة حلب-وبعد أن مات أبوه "تارخ" قام هو وأخيه ناحور وابن أخيه لوط عليه السلام بدفنه فى هذه البلده، ثم اخذ أسرته وارتحل صوب أرض كنعان بفلسطين حيث عبر بهم نهر الفرات فى أرض التيمن وهى الأرض المقدسة رغم انه لم يؤمن بدعوته من أسرته سوى زوجته "سارة" وابن أخيه "لوط"

١- سورة الأنبياء . الآية ٦٩.

عليه السلام.(١)

- زار إبراهيم مع أسرته مصر ومكث بها فترة من الشهور ثم رجع بهم مرة أخرى إلى الأرض المقدسة وهى (أرض بيت المقدس حاليا) بعد أن حمل من مصر أموال وأنعام كثيره كما اصطحب معه هاجر القبطية واتخذها امة لزوجته "سارة".

- بعد أن مكث سيدنا إبراهيم الخليل عشرون سنه فى الأرض المقدسة ولد له إسماعيل من "هاجر" بعد أن وهبتها له زوجته "سارة" وهو يبلغ من العمر ستة وثمانون عاما، وبعد ثلاث سنوات من قيام سيدنا إبراهيم بترك "هاجر" وابنها إسماعيل فى أرض مكة كما أمره ربه سبحانه وتعالى-اكرم الله "سارة" ورزقت بعد أن كانت عاقر وأنجبت إسحاق من سيدنا إبراهيم عليه السلام .

- وكما يقول أهل الكتاب أن "سارة" بعد أن بلغت من العمر مائة وسبع وعشرون سنه قد ماتت بقرية "حبرون" بالأرض المقدسة وحزن عليها

١- الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء - مرجع سابق . ص١٢٩ وما بعدها.

- جاك س. ريسلر : الحضارة العربية . ترجمة غنيم عبدون . مراجعة الدكتور احمد فؤاد الاهوانى . الدار المصرية للتأليف والترجمة. ص٢٠، ص٢١

سيدنا إبراهيم ورثاها رحمها الله، واشترى لـــها مغارة من رجل من بنى "حيث" يقال أن اسـمه "عفرون بن صخر" ودفنها فيها - وبعد فتره تزوج سيدنا إبراهيم الخليل "قنطورا" الكنعانية وانجب منها [زمران، ويقشان، ومادان، ومدين، وشياق، وشوح] - ثم تزوج بعدها "هجون بنت أمين" فولدت له خمسة أبناء هم [كيسان، وسورج، واميم، ولوطان، ونافس].

- وعندما بلغ سيدنا إبراهيم عليه السلام من العمر مائتى سنه توفى لرحمه ربه بعد أن عاش حياة حافلة بالإيمـان والعفة والطهارة، ودفنه إسماعيل وإسحاق فى نفس المغارة التى دفنت فيها زوجته "سارة" بقرية حبرون .(١)

- تزوج إسماعيل عليه السلام بعد وفاة امة "هاجر" وعاش فى مكة وزاره فيها أبيه حيث قام معه ببناء البيت العتيق-كما تزوج إسحاق فى حياة أبيه (رفقا بنت بتوابيل) وانجب منها غلامين توأمين أولهما أسمه (عيصو) والثانى (يعقوب) وهو إسرائيل الذى ينتسب إليه بنو إسرائيل.

- رحل يعقوب إلى أرض حران بعد أن بارك الله سبحانه وتعالى

١- الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء - مرجع سابق . ص١٨٨ - ص١٩١.

عليه-وتزوج أبنتا خاله "ليا" و "راحيل" ،و رزقه الله من الذكور أثنى عشر رجلا - حيث أنجب من "ليا" روبيل، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، وايساخر، وزابلون، ومن "راحيل" يوسف، وبنيامين - ومن " زلفى جارية ليا " جاد، وأشير - ومن " بلهى جارية راحيل " دان، ونفتالى - وبعد أن عاد يعقوب عليه السلام إلى الأرض المقدسة قام بأمر الله سبحانه ببناء بيت المقدس الذى جدده بعد ذلك سليمان بن داود عليه السلام .

- وكما جاء فى القران الكريم عن قصة سيدنا يوسف مع أخواته (١) - فقد جاء **يعقوب عليه السلام** مع أسرته إلى مصر حوالى عام ١٦٥٠ ق.م، ويقال أن عددهم كان اقل من مائة إنسان. (٢) ورأى اخر قال ثلاثه وستين إنسانا، ورأى ثالث قال ثلاثه وثمانين إنسانا، ورأى رابع قال ثلاثمائة وتسعون إنسانا - وقد ذكر ابن إسحاق عن أهل الكتاب أن سيدنا يعقوب قد أقام مع أسرته فى أرض جاشر "بلبيس حاليا" بمصر سبع عشرة سنه، ثم توفى عليه السلام وعمره يزيد عن مائة واربعين

١- سورة يوسف: الأيات من ١-

٢- د، ثروى أبو سيف ميروك دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية مرجع سابق . ص٢١٦.

سنه، وحيث كانت وصيته لابنه يوسف بأن يدفن عند أبويه – فقد صبره يوسف عليه السلام وذهب بجثمانه إلى الأرض المقدسة ودفنه فى المغارة عند أبيه إسحاق وجده إبراهيم الخليل عليهم السلام.(١)

– حتى هذا الزمان لم يكن لليهود أى مجتمع إنساني مستقل ولا حضارة تذكر لان سيدنا إبراهيم الخليل لم يكن يهودا بل هو أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده .

– ولذلك ظل أبناء وأحفاد سيدنا يعقوب يعيشون فى مصر إلى أن ولد سيدنا موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل – ونجاه الله حتى كبر من بطش فرعون مصر كما جاء فى القران الكريم،فخرج بهم من أرض مصر عام ١٢٢٥ ق.م (٢) بعد أن اصبح عددهم ستمائة ألف تقريبا وبعد أن مكثوا فى مصر منذ حضور سيدنا يعقوب أربعمائة وستة وعشرون سنه.(٣)

١– الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء – مرجع سابق . ص٢٢٩ ص٢٦٦.

٢– د. فخرى أبو سيف، دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق ص٢١٧.

٣– الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء – مرجع سابق .ص٣٥١ ومـ بعدها.

- توجه بهم موسى عليه السلام [بعد خروجهم من مصر(*)، وبعد أن صعد إلى جبل الطور وأوحى إليه الله سبحانه وتعالى بالتواره لتكون شريعة وإصلاح لبنى إسرائيل] صوب أرض كنعان- إلا انهم لما اقتربوا منها، وطلب منهم موسى عليه السلام دخولها رفضوا حيث دب الجبن فى قلوبهم وقالوا لموسى عليه السلام كما جاء فى القران الكريم [أن فيها قوما جبارين - وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا فإنا داخلون].(١) كما قالوا قولتهم الشهيرة [قالوا يا موسى : آنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا آنا ها هنا قاعدون].(٢) فما كان من سيدنا موسى سوى التوجه بالشكوى إلى الله العلى القدير [قال رب أنى لا املك إلا نفسى وأخي ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون فى الأرض، فلا تأسى على القوم الفاسقين](٣) - ولذلك حكم الله عليهم بالتيه الأعظم لمدة أربعين سنة فى الصحراء.

(*) يعتبر اليهود يوم خروجهم من مصر يوم عيد "عيد الفسح" وهو يوم تحررهم من العبودية.

١- سورة المائدة: الآية ٢٢

٢- سورة المائدة : الآية ٢٤

٣- سورة المائدة : الآية ٢٥، ٢٦

- مات سيدنا موسى عليه السلام ومن قبله أخوه هارون فى التيه الأعظم - ويقول أهل لكتاب أن موسى عليه السلام قد مات فى التيه بعد أن بلغ من العمر مائة وعشرين عاما ودعا ربه أن يقربه من بيت المقدس.(١)

- قام بأعباء النبوة وتدبير أمر بنى إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام "يوشع بن نون" عليه السلام "فتى موسى" وكان يبلغ من العمر مائة عاما. وقد ذكر فى القران الكريم فقال تعالى [وإذ قال موسى لفتاه](٢)

- حيث خرج بهم من التيه وجمعهم ودخل بهم أرض كنعان بعد مقاومة عنيفة قتل فيها ما يزيد عن أثنى عشر ألف من الرجال والنساء

- وبعد أن وضعوا يدهم على بيت المقدس، وكان ذلك بداية عهد جديد ونظام جديد لهم حيث حكم بينهم "يوشع بن نون" عليه السلام بكتاب الله التوراة حتى توفى وهو ابن مائة وسبع وعشرين عاما - أي أن مدة حياته بعد موسى عليه السلام سبعا وعشرين عاما.

١- الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء - مرجع سابق . ص٤٣٤ ص٤٤٩.

٢- سورة الكهف : الآية ٦٠

ورغم الاستقرار الذى عاشه بنو إسرائيل بأرض كنعان إلا أن حياة البداوة هى التى كانت سائدة فى طبيعة حياتهم - ولذلك لم يصلوا إلى مرحلة الدولة كتنظيم سياسى إلا فى عهد الملك شاؤول عام ١٠٥٢ ق.م .(١) - وعلى هذا الأساس فان العهود التى مر بها بنو إسرائيل منذ دخولهم أرض كنعان على يد "يوشع بن نون" عليه السلام حتى زال كيانهم ثلاثة عهود كالآتي:

أولا عهد القضاة:

بعد أن استقر اليهود فى الأرض المقدسة فرضت الحياة البدوية عليهم نظام القبائل الجماعى - ثم فرض عليهم الصراع بغية احتلال المزيد من أرض الكنعانيين، وعلى الأخص المنازعات مع الفلسطينيين تنظيما آخر اكثر يبعث فيهم روح القومية، ويجمع إلى حد ما مجهودهم وطاقات عملهم نحو القوة والتقدم وهذا التنظيم هو "نظام القضاة" بأن يعين رئيس لكل قبيلة أطلق عليه اصطلاح "قاضى" - وكان هؤلاء القضاة عبارة عن رجال تلهبهم الأخطار ويتمتعون بفضل صفاتهم الشخصية بنفوذ رفيع عسكرى وسياسى ودينى(٢)

١- د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق . ص١٤٥.
٢- اندريه ايمارد، وجانين أوبوايه- تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمة - مرجع سابق .ص٢٦٥

- وفى هذه المرحلة تطورت الحياة الإنسانية لليهود حيث عرفوا الزراعة ومارسوها واستقروا جانبها كما تأثروا بمن حولهم من الكنعانين وأهل بلاد ما بين النهرين فتعلموا منهم التجارة وفنون الصناعة إلى جانب ما اقتبسوه من فنون وثقافات مختلفة.(١)

وحيث أن "نظام القضاة" لم يصل إلى قوة التنظيم السياسى الموحد - فقد أهتز بعد فترة، حيث لم يقدر على فرض الانضباط المتكامل بين أفراد هذا الشعب الذى يميل دائما نحو الخروج عن النظام وعدم الطاعة - ولذلك أستمر هذا الوضع حتى تم تعيين "شاؤول" ملكا على بنى إسرائيل.(٢)

ثانيا عهد الملوك:

تم تعيين "شاؤول" كأول ملك لبنى إسرائيل فى عام ١٠٢٥ ق.م ويرجع إليه الفضل فى بناء أول دولة لليهود فى بعض أجزاء من ارض فلسطين - إلا أن العهد الذهبى لبنى إسرائيل قد جاء فى حكم الملك داود الذى اعتلى عرش بنى إسرائيل بعد وفاة الملك "شاؤول" عام

١- د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق . ص١٤٦.

٢- د. فخرى أبو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق . ص٢٢١.

١٠١٠ ق.م، حيث ازدادت المملكة قوة ومجد نتيجة السلام الذى عم ربوع البلاد وازدهار التجارة والصناعة والفنون المختلفة، كما تم إقامة علاقات ود وصداقة بينها وبين الدول المجاورة لها.

- وبعد وفاة داود عام ٩٧٠ ق.م تولى الحكم بعده أبنه سليمان الذى فى عهده تم بناء الهيكل اليهودى الذى أطلق عليه بعد ذلك هيكل سليمان، كما بلغت المملكة قدرا كبير من القوة والتألق حيث تدفقت الأموال والذهب على خزائنها من التجارة وبعض الحرف المختلفة، كما تم بناء جيش قوى وأسطول ضخم كان يرسو فى خليج العقبة.(١)

ثالثا عهد التفكك والاضمحلال:

- هذا التطور والتقدم الذى ظهر لدولة اليهود لم يكن له جذور متينة أول قائم على أسس ثابتة فى كيان شعب بنى إسرائيل - لأنه بعد وفاه الملك سليمان فى عام ٩٣٠ ق.م - أنقسمت المملكة إلى قسمين - الأولى فى الجنوب بأسم مملكه "يهوذا" وعاصمتها أورشليم، والثانيه فى الشمال وسميت "إسرائيل" وعاصمتها "السامرة" - وبعد فتره من الزمان

١- د. فليب حتى، د. ادورد جرجى، د. جبرائيل - تاريخ العرب . دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ١٩٧٣ ص٧٠، ص٧١.

انهارت المملكتين حيث استولى "سرجون الثانى" ملك أشور على مملكة الشمال عام ٧٢١ ق.م، واحتل "بنو خذ نصر" ملك بابل عام ٥٩٧ ق.م مملكه الجنوب وهدم الهيكل اليهودى، كما قام بقتل وتعذيب الآلاف من اليهود وحمل من تبقى منهم كأسرى إلى بابل .(١)

- وبذلك زالت تماما دولة اليهود من أرض كنعان - وعاش الشعب اليهودى بعد ذلك حياة الشتات - وإذا كان البعض منهم قد عاد من الأسر [بعد أن احتلى كورش ملك الفرس بابل عام ٥٣٩ ق.م وسمح لهم بالعودة إلى أورشليم نتيجة ما قدموه له من مساعده فى الاستيلاء على بابل] - وحاولوا تكوين جماعه متحدة وترميم دولتهم القديمة إلا أنهم فشلوا سنوات طويلة حتى استولى الأسكندر الأكبر على أورشليم عام ٣٣٠ ق.م وأصبحت فلسطين جزءا من الإمبراطورية الإغريقية ثم استولى الرومان عام ٦٣ ق.م على أورشليم التى أطلق عليها بعد ذلك أسم "القدس" ولم يسمحوا لليهود بدخول هذه المدينة - وفى عام ٦٣٧ ميلادية فتح المسلمين على يد عمرو بن العاص القدس وأصبحت

١- د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق . ص١٤٧، ص١٤٩.

فلسطين عربية منذ ذلك التاريخ.(١)

وترتيبا على ما تقدم فان دولة اليهود التى أقيمت فى بعض أجزاء أرض فلسطين لم تدوم سوى مائة عام على الأكثر "من عهد الملك شاؤول عام ١٠٢٥ ق.م حتى نهاية عهد الملك سليمان عام ٩٣٠ ق.م لأنها ضعفت واضمحلت بعد انقسامها إلى مملكتين الأولى فى الشمال وزالت فى عام ٧٢١ ق.م،

والثانية فى الجنوب وزالت أيضا فى عام ٥٩٧ ق.م، كما أن حضارة شعب اليهود لم تكن سوء حضارة هشة وتائهة أمام الحضارات الأخرى التى ظهرت فى العالم القديم مثل مصر وبلاد ما بين النهرين والهند والصين والفرس - لان الشعب اليهودى كما أشرنا قد عاش فتره طويلة على حياة البداوة والتنقل وعدم الاستقرار، والفترة التى اتحد فيها كانت قصيرة للغاية ولم تسمح له بأن يقدم سمات ورموز بارزه حضارياً فى العالم القديم.

١-د. فخرى أبو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق ص٢١٨.

المبحث الثانى
التشريع اليهودى

إذا كان القانون قد عبر عن حضارة كل مجتمع إنساني فى العصور القديمة وبرهن بنظمه وأساليب تطبيقه ما وصل إليه هذا المجتمع من تقدم ورقى وإزدهار - إلا أن النظم القانونية عند اليهود أو الشريعة اليهودية قد أخذت نموذج فريد أو وحيد فى العصور القديمة حيث ظهرت وطبقت دون أن ترتبط بدعائم حضارية نابعة من جهد وابتكار تألق هذا الشعب، أو كانت من ثمار كفاحه المستمر نحو إثبات وجوده فى الحياة الإنسانية ودوره البارز فى مضمار الحضارة العالمية - ولذلك لان هذه الشريعة قد ظهرت لهذا الشعب وهو يعيش حياة البداوة والتنقل من مكان لآخر، وطبقت وهو قائم على نظام حياة القبيلة بعد أن أستقر فى أرض كنعان، وتطورت فقط فى وسائل التفسير والتدوين فى الوقت الذى ظهرت فيه الدولة بعد أن اتحد هذا الشعب سياسيا وتولى حكمه ملك واحد - وبهذا فان النظام القانونى لليهود ليست ذات طابع حضارى مثل نظم قوانين المجتمعات الإنسانية الأخرى التى ظهرت فى العصور القديمة سواء التى استمرت فى مكانها حتى عالم اليوم مثل

مصر وبلاد ما بين النهرين والهند والصين واليونان والرومان أو التى اندثرت مع الزمان مثل دولة الحثيين - ويرجع السبب في ذلك إلى أن التشريع اليهودى يعتمد على الوحى الإلهي سواء كانت الأحكام الإلهية المنزلة خاصة بنزاع معين أم كانت شاملة ومقررة لمبدأ عام واجب التطبيق (١)، لأنه من المعلوم أن معظم هذه الأحكام قد أنزلت من عند الله سبحانه وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام وهو واقف فوق جبل طور سيناء عقب خروجه مع قومه من مصر، أي فى الوقت الذى كان فيه شعب بنى إسرائيل يرتحل من مكان لمكان بحثا عن القوت أو يعيش حياة البداوة وغير مستقر فى إقليم معين - وبعد دخوله أرض كنعان بفلسطين بزعامة "يوشع بن نون" عليه السلام، طبقت عليه هذه الأحكام من خلال نظام القضاة وهو ما زال متأثر بحياة القبيلة، ثم تطور نظام تطبيق وتدوين هذا التشريع بعد ذلك منذ تكوين أول دولة لهذا الشعب التى لم تستمر اكثر من مائة عام بداية من عهد الملك شاؤول عام ١٠٢٥ ق.م حتى نهاية عهد الملك سليمان بن داود عام ٩٣٠ ق.م حيث انفصلت هذه الدولة إلى مملكتين الأولى فى الشمال وازيلت عام ٧٢١

١-د. صوفى حسن أبو طالب : مبادئ تاريخ القانون . مرجع سابق . ص١٧٣.

ق.م على يد "سرجون الثانى" ملك أشور، والثانية فى الجنوب وازيلت أيضا على يد "بنوخذ نصر" ملك بابل عام ٥٩٧ ق.م.

وبالتالى لم يتأثر التشريع اليهودى بأي طابع حضارى نابع من شعب بنى إسرائيل لأنه فى مجمله تشريع موسوى منزل من السماء وغير قابل للتعديل أو التبديل، وان كان نظام تطبيقه وتفسيره قد تطور ليساير التغيرات التى كانت تحدث فى الحياة الاجتماعية منذ عهد الملك شاؤول عام ١٠٢٥ ق.م حتى القضاء على مملكة الجنوب التى كان يطلق عليها مملكة يهوذا عام ٥٩٧ ق.م، وهذه الصفة قد ظلت ملاصقة للقانون اليهودى عبر الأزمان المختلفة بأنه قانون قائم على الأحكام الإلهية، ولذا فان أي فعل يرتكبه يهودى ويخالف به أي حكم من أحكام هذا القانون فان هذا الفعل يعتبر خطيئة فى حق الله سبحانه وتعالى.(١)

- وحيث أن اليهود قد وصلوا إلى مرحلة تدوين القانون فى فترات متعاقبة - فان أهم مدوناتهم على ضوء ما سبق والتى تعتبر المصادر الرئيسية للشريعة اليهودية هى العهد القديم والتلمود.

١- د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق . ص١٤٠

أولا : العهد القديم

ويشمل ٣٩ سفرا وهى أسفار التوراة والأسفار التاريخية وأسفار الأناشيد وأسفار الأنبياء.

١- التوراة

وهى عبارة عن مجموعة الأحكام التي أوحى بها الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام فى أربعين ليلة فوق جبل طور سيناء بعد خروجه مع قومه من مصر(١) - وقد جمعت فى خمسة أسفار، ولذلك يطلق عليها الأسفار الخمسة **Pentatenque** وهى على النحو التالى :

أ- سفر التكوين

ويتناول الحديث عن كيفية نشأة الكون، وخلق الإنسان منذ عهد أدم، وما يتعلق بالانبياء ، وأحبار بنى اسرائيل، كما يشير الى قصة الطوفان ويقظة الشعوب بعد الطوفان.

ب- سفر الخروج

ويتناول الحديث عن فترة اقامة اليهود فى مصر حتى خروجهم الكبير منهم وعودتهم الى أرض كنعان بفلسطين.

١- القرآن الكريم . سورة الاعراف . الايات ١٣٢- ١٤٥.

ج- سفر اللاويين

اللاويين هم "رجال الدين" المنتسبون الى "لاوى" أحد أبناء سيدنا يعقوب "اسرائيل" عليه السلام، ومن نسله جاء سيدنا موسى عليه السلام وأخيه هارون - وهذا السفر يحتوى على شئون العبادات والأطعمة المحرمة والانكحة المحرمة، والنجاسة والطهارة، والقاربين، والأحكام التى تتعلق بالطقوس والأعياد.

د- سفر العدد

ويشمل إحصائية بعدد بنى إسرائيل وتقسيم أسباطهم وأحصاء الذكور منهم وأعداد جيشوهم وأموالهم وكل ما يتعلق بهم.

هـ - سفر التثنية

وهو يتحدث عن التنظيم السياسى والقانونى فى العهود التى جاءت بعد سيدنا موسى عليه السلام - وقد أطلق عليه هذه التسمية لانه تضمن أعادة وتكرار "تثنية" لما سبق وجاء من أحكام سابقة أى يكرر ويؤكد على أحكام الشريعة التى سبق أن ابلغت الى سيدنا موسى عليه السلام.

وقد أتفقت اراء العلماء والمؤرخين على أن تدوين التوراة كان قد تم فى عهد لاحق لسيدنا موسى عليه السلام، وفى فترات متعاقبة حيث ثبت ان سفرى التكوين والخروج وضعا خلال القرن التاسع قبل الميلاد، وسفر

التثنية وضع فى القرن السابع قبل الميلاد وسفرى اللاويين والعدد وضعا خلال النصف الثانى من القرن الخامس قبل الميلاد - وبذلك أخذت التوراة التى وضعت كلها باللغة العبرية صورتها الحاضرة منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد.(١)

وأهم الاحكام التى تضمنتها التوراة هى :

أ- الوصايا العشر:

وهى الوصايا الالهية المقدسة التى نزلت من عند الله سبحانه وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام فوق جبل طور سيناء وهى تنص :

* لا يكن لك الهه آخر أمامى .
* لا تصنع لله منحوتا "تماثيل أو أصنام" .
* لا تنطق بأسم الرب الهك باطلا .
* اذكر يوم السبت وقدسه .

١- د. صوفى حسن ابو طالب : مبادئ تاريخ القانون . مرجع سابق . ص١٧٤.
- د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٥٣- ص١٥٥ .
- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق . ص٢٤٨، ص٢٤٩.
- اندريه ايمارد، وجانين اوبوايه- تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمة - مرجع سابق .ص٢٦٩، ص٢٧٠، ص٢٧٥.

* اكرم أباك وأمك .

* لا تقتل .

* لاتزن .

* لا تشهد شهادة زور .

* لا تشته أمراة غيرك ولا عبده، ولا امته، ولا ثورة، ولا حمـارة، ولا أى شئ يخصه.

وجميع هذه الوصايـا العشر تتنـاول عبـادة التوحيـد، واحـترام الوالديـن، والنهى عن السرقة والقتل والزنا وشهادة الزور مع تقديس يـوم السـبت بعدم العمل فيـه علـى أسـاس أن اللـه سبحانه وتعـالى قد صنـع السـماء والأرض والبحر وكل ما فيها فى ستة أيام ثم استراح فى اليـوم السـابع، فانه يجب على كل يهودى أن يعتبره أجازة ويقدسه.(١)

ب- العهد والميثاق

تـم تقنين هـذا العهد بـعد دخول "يوشع بن نون" مـع شعب بنى اسـرائيل الى أرض كنعان، وهو يتضمن كـأول تدويـن للقـانون اليهـودى معالجـة بعض أحكام الـوصايا العـشر، الى جـانب أحكام أخـرى متنوعة مـثل

١- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سـابق . ص٢٥٢، ص٢٥٣.

محاربة الآلهة المزيفة، ووضع ومكانة رجال الدين وتحديد الأعياد وكيفية الأحتفال بها - وأيضا تضمن بعض أحكام القانون الجنائى مثل النص على عقوبه الأعدام فى حالة إرتكاب جريمة القتل العمد وضرورة العقاب على جرائم الضرب والسرقه - هذا بالإضافه الى أنه قد نص على نظام الزواج والرق والتعويض عن الأضرار المادية.

- وقد صدر تقنين يكمل هذا العهد فى عام ٦٢١ ق.م - وبعد عودة اليهود من الأسر البابلى، حدثت حركة إصلاح دينى بزعامة النبى حزقيال عام ٥٠٠ ق.م ونتج على أثر ذلك صدور تقنين ثالث أطلق عليه التقنين الكهنوتى وهو يمثل خلاصة التطور للانظمة الموسوية عبر الأجيال، وبصفه خاصة منذ عهد بناء هيكل سليمان فى القرن العاشر قبل الميلاد.(١)

٢- **الاسفار التاريخيه**

وهى تتضمن أحداث عن بنى إسرائيل بعد استيلائهم على أرض كنعان كما تسجل بافاضة حياه قضاتهم وملوكهم - وهذه الأسفار تشمل اثنى

---

١ - د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٥٣- ص١٥٥

عشر سفرا هى. سفر يوشع، وسفر القضاه، وسفر أستهير، وسفر راعوث، وسفر عزرا، وسفر نحميا، وسفرين لصمويل، وسفرين للملوك، وسفرين لاخبار الأيام.

٣- اسفار الاناشيد

وتحتوى على أناشيد ومواعظ وأمثال - وهى تتكون من خمسة أسفار هى سفر أيوب، وسفر مزامير داود، وسفر أمثال سليمان، وسفر الجامعة من كلام سليمان، ونشيد الاناشيد لسليمان.

٤- اسفار الانبياء

وتشمل سبعة عشر سفر، وكل سفر مخصص لتاريخ نبى من اللذين جاءوا بعد سيدنا موسى وهارون الى بنى إسرائيل - وهذه الأسفار هى: سفر إشعيا ، سفر مراقى، وسفران لارميا، وسفر حزقيال، وسفر دانيال، وسفر هوشع، وسفر يوئيل، وسفر عاموس، وسفر عبيديا، وسفر يونس، وسفر ميخا، وسفر ناحوم، وسفر حبقوق، وسفر صوفونيا، وسفر حجى، وسفر زكريا، وسفر ملاخى.(١)

١- د. صوفى حسن ابو طالب : مبادئ تاريخ القانون . مرجع سابق . ص١٧٣.

- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق .ص٢٥٠.

ثانيا – التلمود

بعد ظهور المسيحية حاول اليهود أجراء مواءمة وتوفيق بين نصوص العهد القديم وبين ما حدث فى الحياة الإنسانية من تطورات إجتماعية وإقتصادية – ولذلك قام بعض الأحبار فى أوائل القرن الثالث الميلادى بتفسير هذه النصوص باسلوب بعيد عن الجمود وجمعوها فى كتاب أطلق عليه "الميشنا" وتعنى السنه المسندة الى سيدنا موسى عليه السلام.

وقد تولى شرح هذا الكتاب أحبار بابل وأحبار أورشليم وعرفت هذه الشروح باسم "الجيمارة" – وبانتهاء هذه الشروح فى منتصف القرن الخامس الميلادى اطلق على كتابى "الميشنا، والجيمارة" أسم "التلمود" وهى كلمة عبرية معناها الدراسة.

وقد اختلفت الأراء بخصوص مكانه التلمود ومدى الاخذ بة فالبعض وهم قله أنكروا الأخذ بما جاء فى التلمود وإعتمدوا فقط على ظاهر النص الموجود فى العهد القديم أما البعض الآخر وهم الكثرة الغالبة قد أعتبروا التلمود مثل التوراة تماما فى الأخذ به وعدم مخالفة ما جاء به من أحكام.(١)

١- د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة – مرجع سابق .ص١٦٠-ص١٦١ .

- د. صوفى حسن ابو طالب : مبادئ تاريخ القانون . مرجع سابق . ص١٧٥.

المبحث الثالث

أهم أحكام الشريعة اليهودية

ضمت الشريعة اليهودية أحكام عديدة فى معظم أمور حياة شعب بنى إسرائيل أهمها ما يلى:

اولا – أحكام تتعلق بنظام الحكم

مر نظام الحكم عند اليهود كما أشرنا من قبل بثلاث مراحل على النحو الاتى:

١- **مرحلة القبيلة** :- وهى تمثل المرحلة الاولى فى حياة اليهود حيث كانوا فى بداية حياتهم عبارة عن رعاه رحل يعيشون فى الخيام وينتقلون من مكان لآخر بحثا عن القوت فى صورة قبائل بدوية – وكان يجمعهم رابطة الدم والتضامن الاجتماعى والدفاع المشترك عن كيان القبيلة ومناصرة افرادها.

وفى هذه المرحلة التى أخذت صفة البداوة كتنظيم سياسىوكان نظام القضاء الخاص وأهم صورة الثأر هو السائد فى حياة القبيلة.

٢- **مرحلة القضاة**:- وتعتبر المرحلة الثانية فى حياة اليهود، وذلك بعد أن ذاقوا طعم الإستقرار وخاصة بعد دخولهم أرض كنعان تحت قيادة

وزعامة "يوشع بن نون" واتجهوا طواعيه نحو سلم التطور الاجتماعى - بان اختارت كل قبيله من بين شيوخها شخص يتميز بالحكمة وسداد الرأى والشجاعة فى خوض الحروب، والقدرة على الفصل فى المنازعات الى جانب العلم الوفير بأمور الدين ليتولى رئاستها تحت مسمى قاضى القبيلة- وبالتالى أصبح على رأس كل قبيلة قاضى وله كل السلطات السياسية والعسكرية والاجتماعية والقضائية والدينية الخ.

- ورغم أن هذا النظام قد استمر تطبيقه بين قبائل اليهود فى أرض كنعان ما يزيد عن مائة عام، وتمتع فيه القضاه بسلطات وطيدة بفضل نفوذهم السياسى والعسكرى والدينى - الا أنه نتيجة فساد بعضهم وتفشى الفسق والرشاوى بينهم، قد أصبح هذا النظام ضعيفا وهشا أمام التطور المستمر فى حياة اليهود والمخاطر التى كانت تحيط بهم، والتى تطلبت بحكم الضرورة تجميع القبائل فى وحدة سياسية واحدة.

٣- مرحلة الملكية:- بعد إرتفاع حد التوترات السياسية والحروب الوشيكة بين اليهود والشعوب المتاخمة لهم وعلى الأخص شعب فلسطين، وعدم قدرة نظام القضاة على تجميع القبائل اليهودية فى إطار سياسى وعسكرى واحد. فقد اقتضى الأمر أن يصعدوا سلم التطور

باتحادهم وتركيز السلطة فى يد شخص واحد (ملك يدينون له بالولاء والطاعة.

- وكما اشارنا من قبل قد تم اُختيار "شاؤول" عام ١٠٢٥ ق.م ليكون أول ملك لبنى اسرائيل، والذى يرجع اليه الفضل فى بناء أول دولة لليهود فى بعض أجزاء أرض كنعان فلسطين - وبعد وفاته تولى الحكم من بعده الملك داود فى عام ١٠١٠ ق.م وكانت فترة حكمه تمثل العهد الذهبى لبنى اسرائيل حيث وصلت مملكتهم الى مكانة متميزة من المجد والقوة - وبعد وفاة الملك داود تولى الحكم من بعده أبنه الملك سليمان فى عام ٩٧٠ ق.م وفى عهده ازدادت المملكة قوة وتألق - ثم بعد وفاته فى عام ٩٣٠ ق.م انقسمت المملكة الى قسمين الأولى فى الجنوب وسميت مملكة "يهوذا" وعاصمتها "اورشليم"، والثانية فى الشمال وسميت مملكة "اسرائيل" وعاصمتها "السامره" - وقد أستمر النظام الملكى فى المملكتين الى ان قضى على مملكة الشمال بعد ان قام "سرجون الثانى" ملك اشور بفتحها عام ٧٢١ ق.م - ودمرت مملكة الجنوب على يد بنو خذ نصر ملك بابل عام ٥٧٩ق.م. - خلال عهود النظام الملكى - كان كل ملك يمارس الحكم من القصر الملكى الموجود

بعاصمة المملكة والذى كان يضم كبار موظفى الدولة مثل قائد الجيوش وقائد الحرس والكاهن الأعظم - واذا كان الملك شاؤول قد تم إختياره كأول ملك لدولة اليهود، الا أنه منذ عهد الملك سليمان قد أصبح الجلوس على العرش فى شريعة اليهود وراثيا - وذلك دون أن يمس هذا صفة الملك الذاتية بان أساس ملكه ليس مستمد من الشعب، وانما من الاله الذى يلزمه باتباع أوامره وإجتناب نواهيه.

- كانت المملكة مقسمة الى ولايات، وصل عددها فى عهد الملك سليمان الى اثنتى عشرة ولاية الى جانب العاصمة - وكان الملك يعين على كل ولاية ((وكيل أو ولى)) ليتولى الحكم بأسمه فى الولاية ويلتزم بجمع الضرائب، وتقديم المواد الغذائية للقصر الملكى طيلة شهر كامل فى السنة.

- ورغم أن النظام الملكى لدولة اليهوديشبه ما كان سائدا فى الملكيات المجاورة وعلى الأخص مصر وبلاد ما بين النهرين - الا أنه يوجد فارق أساسى بينهما من الناحية الدينية، لان الملك عند اليهود لم يكن إلها أو ابنا للألهه على الأرض كما كان فى هذه الملكيتان، وإنما هو رسول الله الى بنى إسرائيل كافة.

- وأهم وظائف الملك كانت تتلخص فى تأمين الحياة المادية والمعيشية للشعب، وحفظ القانون ونشر العدالة باعتباره الملك العادل المصلح لكل الاخطاء، مع المحافظة على كيان الدولة وحمايتها من الأخطار والكوارث والحروب.(١)

ثانيا - أحكام تتعلق بالنظام القضائى :

- إرتبط النظام القضائى بنظام الحكم - ولذا كان فى مرحلة القبيلة التى عاش فيها شعب بنى إسرائيل حياةالبداوة كان شيخ القبيلة أو العشيرة هو القاضى الذى يفصل فى المنازعات التى تنشأ بين أفرادها - أما المنازعات التى كانت تحدث بين أفراد قبيلتين أو اكثر كانت تخضع لنظام القضاء الخاص أو الانتقام الفردى المتمثل فى صورة الثأر.

١-د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٦٢- ص١٦٥ .

- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق . ص٢١٩، ص٢٣٢.

- اندريه ايمارد، وجانين اوبوايه- تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمة مرجع سابق .ص٢٦٩، ص٢٧٠، ص٢٧٥.

- وفى مرحلة القضاة أستمر القضاء أيضا فى أيدى رؤساء القبائل بعد أن اخذ كل منهم لقب قاضى القبيلة الا أن التطور الذى حدث فى هذه المرحلة هو الغاء نظام القضاء الخاص وإحلال الفدية محل الثأر بعد انشاء مجلس مؤلف من قضاه القبائل "مجلس شيوخ" يختص بنظر المنازعات التى كانت تنشأ بين أفراد قبيلتين أو أكثر ويفصل فيها بأحكام عادلة ,

- وفى مرحلة الملكية، وظهور أول دولة متحدة بشعب بنى اسرائيل أصبح القضاء من سلطات الدولة . توله الملك فى البداية ثم أنشأ بعد ذلك محكمة تفصل نيابة عنه فى المنازعات وتتشكل من رجال الدين اللاويين "الذين ينتسبون الى لاوى"بنى يعقوب عليه السلام" - وكانت أحكامهم تصدر باسم الأله.

- كانت هذه المحكمة عامة الأختصاص - حيث شمل أختصاصها جميع المسائل المدنية والجنائية، ومع استمرار عملهاظهرت السوابق القضائية وأصبح القضاة ملزمين بها - وبعد مرحلة تدوين القانون كان القضاه يطبقون حكم القانون المدون نصه .(١)

١-د. محمود السقا - بحث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٦٦-ص١٦٧

ثالثا - أحكام تتعلق بنظام الجريمة والعقاب

جاءت بالوصايا العشر نهى وتحريم كامل عن إرتكاب الجرائم سواء كانت جرائم أعتداء على الأشخاص أو أعتداء على الأموال ومنها لا تقتل ((الوصية السادسة))، ولا تزن ((الوصية السابعة))، لا تسرق ((الوصية الثامنة))، لا تشهد شهادة زور((الوصية التاسعة)) وبالتالى وجدت نصوص واضحة فى التوراة غير قابلة للتأويل تحرم جرائم الأعتداء على الأشخاص وعلى الأموال - وذلك لان الجريمة عند اليهود كانت فعل يغضب الله، والعقوبة كفارة عن الاثم.

- كانت الشريعة اليهودية قديما تبيح مسئولية الأولاد عن الأخطاء التى يرتكبها أبائهم - أى كانت تأخذ بمبدأ المسئولية الجماعية (الوصية الثانية من الوصايا العشر) - ولكن مع تطور الحياة داخل المجتمع اليهودى تبدلت هذه المسئولية وحلت محلها المسئولية الشخصية، بمعنى أن كل شخص يسأل وحده فقط عن جريمتة - ويوجد نص صريح فى سفر التثنية بالتوارة يقرر ذلك بأن " كل انسان بخطيئتة " ويمنع قتل

الابناء لاخطاء الأباء حتى فى حالة قتل أحد الملوك.(١)

- ورغم ان الشريعة اليهودية كانت تطبق عقوبة القصاص فى غير جرائم القتل العين بالعين، والسن بالسن، والزراعة بالزراعة، الا أن معظم العقوبات المدركة بها كانت أقل قسوة وصرامة من التى كانت مقررة فى بعض الشرائع القديمة مثل تشريع "حمورای" فى بلاد ما بين النهرين، وتشريع "تشين.شه.هوانغ.تى" فى الصين القديمة - لان عقوبة الأعدام كانت لا تطبق الا فى الجرائم الخطيرة مثل القتل العمد، والكفر بالله، والإغتصاب، والسرقة فى حالة تلبس، والزنا أذا وقع فى حالة تلبس مع أمراة متزوجة أو مخطوبة أو وقع بين المحارم (ويكون الأعدام فى الزنا رجما بالحجارة حتى الموت).

- ولذلك كان لايحكم على القتل غير العمدى أو القتل خطأ بالأعدام، وإنما كان يحكم بالنفى بأن يرسل الجانى الى مكان بعيد عن بلدة - كما كانت معظم العقوبات فى الجرائم الأخرى مثل الزنا بامراة غير متزوجه، والزنا بأمة، واللواطة، واسقاط الحمل هى الجلد أربعين جلدة.

١- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق . ص٢٣٤، ص٢٣٥.

- اندريه ايمارد، وجانين اوبوايه- تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمة - مرجع سابق . ص٢٧٧.

- هذا بالاضافة ان الشريعه اليهودية قد عرفت حق الدفاع الشرعى، كما كانت تعطى العبد الحق فى العتق أى يصبح حرا فى حالة ما اذا ضربه سيده ضربا شديدا بأن أتلف عينه مثلا أو كسر زراعه أو أسقط سنه من فمه - الى جانب أن باب التوبة كان مفتوحا أمام التائب، والتوبة كانت تمنع العقوبات فى حالات عديدة "ووسعت رحمه ربك كل شى".(١)

رابعا أحكام تتعلق بالوضع الاجتماعى

كان المجتمع اليهودى مكون من ثلاث طبقات كالآتى:

١- طبقة الاحرار:

وهم الذين يعتنقون الديانة اليهودية وينتمون الى سلالة بنى اسرائيل -

---

١-د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٦٩- ص١٧١ .

- اندريه ايمارد، وجانين اوبواييه- تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمة - مرجع سابق . ص٢٧٦.

وهم وحدهم الذين كانت تطبق عليهم الشريعة اليهودية ، ويتمتعون بالشخصية القانونية كاملة من حيث ما لهم من حقوق عامة وخاصة وما عليهم من واجبات.

واذا كانت هذه الطبقة تضم الملك ورجال الدين وشيوخ القبائل مع كل ما هو مكتسب صفة المواطن الاسرائيلى- الا أن الملك ورجال الدين والشيوخ قد تمتعوا كاستثناء ببعض الأمتيازات كالآتى :

فالملك: بما له من صفة مقدسة "رسول من عند الله لبنى اسرائيل" كانت له كل الأمتيازات وحصانة تمنع الاعتداء عليه، وإختصاصات عديدة فى توجيه كافة أمور البلاد لا يشاركه فيها أحد، ولا يجوز لأى فرد من الشعب أن يعترض عليه عند مباشرتها باعتبار أن اساس حكمه مستمد من الارادة الالهية.

أما رجال الدين وشيوخ القبائل : فقد تمتعوا بالأعفاء من الضرائب وأعمال السخره - كما تمتع رجال الدين وحدهم الى جانب ذلك بالحصول على نسبة من المحصول الزراعى وما يزيد فى الماشية تحت مسمى ضريبة العشر التى كانت تفرض على المنتجات الزراعية والحيوانية وتخصص لهم - بالإضافة الى ذلك أنعقد لرجال الدين الذين

يمتد نسبهم الى "لاوى: بن يعقوب عليه السلام إمتياز أُخر جعل الوظيفة الدينية وراثية للأبناء من الأباء .

٢- طبقة الاجانب:

فى بداية تكوين المجتمع اليهودى كان ينظر الى الأجنبى فى الشريعة اليهودية بانه عدواً وكافراً، فلا حق يحميه ولا مجتمع يأويه وحرام التعامل معه والإختلاط به- الا أنه بعد أن إستقرت الأوضاع، ودخل المجتمع اليهودى فى علاقات تجارية واقتصادية عديدة مع المجتمعات الأخرى المجاورة له، تغيرت نظرة اليهود نحو الأجنبى حيث أعطوه بعض الحقوق أهمها حق الاقامة والحماية وأباحة التعامل معه فى الأمور التجارية والاقتصادية.

ولكن بالرغم من ذلك كان محرم على الأجانب الحالات الاتية:

* تملك العقارات وعلى الأخص الأراضى الزراعية.
* عدم الاستفادة من القاعدة التى تحرم الاقراض بفائدة - وكان يباح لدى اليهود اقراض الأجانب بالربا.
* عدم الاستفادة من القاعدة التى تقرر بأن الاسترقاق بسبب الدين مدته ست سنوات - بل كان يزيد عن ذلك بالنسبة للاجانب.

• الزواج المختلط بين الاسرائيليين والاجانب كان فى البداية محرما – وبعد أن تغيرت نظرة اليهود نحو الأجانب أصبح هذا الزواج مكروها.

٣- طبقة الارقاء:

كانت تمثل أدنى طبقات المجتمع اليهودى – وتتكون من الأشخاص الذين ولدوا ارقاء، ومن أسرى الحروب، ومن الذين استرقوا كعقوبة تبعيه بعد الحكم عليهم فى جرائم السرقة، ومن الذين عجزوا عن سداد ديونهم المستحقة عليهم فى الموعد المحدد الى أن يقوموا بالوفاء بالدين أو تمضى عليهم مدة ست سنوات اذا كانوا من بنى اسرائيل، أما إذا كانوا أجانب فان استرقاهم يكون مؤبدا ما لم يقوموا بسداد ما عليهم من ديون.

– فى مرحلة القبيلة التى كان فيها اليهود يعيشون حياة البداوة كان العبد مثل السلعة التى تباع وتشترى ويخضع لسلطات سيده الذى كان له كل الحقوق عليه ومنها حق الحياة والموت.

أما بعد أن دخل اليهود أرض كنعان بفلسطين وذاقوا طعم الإستقرار لأول مرة فى حياتهم إختلفت النظرة نحو العبيد فى مرحلتى القضاة والملوك – حيث تمتع العبد ببعض الحقوق "شخصية حقوقية" وأن كان ما زال مملوكا لسيده وله عليه حق التصرف بالبيع أو بالهبة كما

يتصرف فى سائر أمواله - ومن أهم هذه الحقوق التى تمتع بها العبد تتلخص فى الآتى:

* أصبح له الحق أن يتزوج ويكون أسرة.

* أن يكون له بمشيئة سيده أموال خاصة به وهى الحوزة المالية.

* التمتع بالحرية الدينية مثل التوجه للمعابد للصلاة والأشتراك فى الحفلات الدينية والتمتع بالراحة يوم السبت،

* له الحق فى العتق أو التحرر من العبودية إذا لم يحسن سيده معاملته وقام بتعذيبه أو بضربه وفقأ عينه أو كسر له ذراعه أو رجله أو احد ضلوعه - كما كان السيد يحاكم أمام الشيوخ إذا قام عمدا بقتل عبده.

ولذلك تميزت شريعة اليهود بالرحمة فى معاملة العبيد مثل ماكان مقررا فى معظم شرائع المجتمعات الشرقية القديمة وعلى الأخص مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين.(١)

١-د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٧٣- ص١٨١ .

- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق . ص٢٤٣، ص٢٤٧.

- اندريه ايمارد، وجانين اوبواييه- تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمة - مرجع سابق . ص٢٧٦، ص٢٧٧.

خامسا – أحكام تتعلق بنظام الملكية:

بعد دخول اليهود أرض كنعان بفلسطين واستقرارهم تم تقسيم الأراضى الزراعية بين الأسر – وكان نصيب كل أسرة يتناسب مع عدد أفرادها، وكانت ملكية الأسرة على هذا النحو شائعة:

– الا أنه مع مرور الزمن تحولت هذه الملكية الشائعة الى ملكية فردية بأن أختص كل فرد من أفرد الأسرة بنصيب من الأرض خاص به فقط.

– وحيث جاء فى سفر اللاويين بالتوراة بأن (الأرض لا تباع لانها وما عليها وما تحتها ملك للإله) فقد حرم على بنى اسرائيل أن يقوموا بالتصرف فى الأراضى الزراعية بأى صورة من التصرفات القانونية كقاعدة عامة – وإذا حدث أن تعسر شخص وقام ببيع أرضه لسداد الديون التى عليه، كان له الحق أن يستردها اذا سدد ثمنها للمشترى – واذا لم يكن لديه مال كافى عادت اليه الأرض حكما فى سنه ((اليوبيل)) وهى سنة الغفران التى تأتى فى شريعة اليهود كل خمسين عاما.

– وفى جميع الأحوال فان الملكية (كما أشرنا من قبل) كانت مقصورة فقط على أفراد الشعب اليهودى، حيث كان لا يجوز مطلقا للأجنبى أن

يتملك عقارات وعلى الأخص الأراضى الزراعية.(١)

سادسا – احكام تتعلق بنظام الاسرة:

كانت الأسرة تقوم على سيادة الاب "أسرة ابوية" وهى تضم الى جانب الأب والأم والأولاد الحواش من جهة الأب أو من جهة الأم أو من جهة الأب والأم معا – ولكى نوضح نظام الأسرة فى الشريعة اليهودية سنعرض موجز عن الزواج والطلاق ونظام الارث كالاتى:

١- الزواج

– كان الزواج عبارة عن (عقد مدنى) قائم على رضا الطرفين، ولابد أن يتم بموافقة الأب على زواج أبنته – والزواج فى شريعة اليهود كان يأخذ صبغة دينية ويعتبر اداء لفرض أو واجب الله على الانسان ليعمر به الارض.

– كان نظام تعدد الزوجات سائدا فى المجتمع اليهودى قديما ودون تحديد عدد معين أى كان مطلقا – (فالملك داود كان متزوجا عدد كبير

١-د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة – مرجع سابق .ص١٩٠- ص١٩١ .

– د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية – مرجع سابق . ص٢٤١.

من الزوجات بجانب عدد كبير أخر من الجاريات، والملك سليمان كان متزوجا من ستين زوجة الى جانب ثمانين جارية) - ثم حرم بعد ذلك تعدد الزوجات الا فى حالة ماذا كانت الزوجة عاقرا فيباح للزوج أن يتزوج زوجة اخرى لينجب منها .

- توجد نصوص عديدة فى شريعة اليهود عن موانع الزواج وصور تحريمه - فقد حرم الزواج من الأم، البنت، الاخت، وزوجة الأب، وبنت الأبن، وبنت البنت، وبنت الزوجة (من زوج آخر)، وأم الزوجة، والعمة، والخالة، وزوجة العم، وزوجة الأبن، وزوجة الأخ إذا مات زوجها ولها ولد منه أما اذا لم يكن لها ولد أو كان الأخ عقيما فتصبح الزوجة بحكم القانون زوجة للاخ وعليه أن يدخل بها .

- وحرمت أيضا شريعة يهود الجمع بين الام وابنتها - أما بالنسبة للجمع بين الاختين فكان فى البداية مباح ثم اصبح بعد ذلك محرما بنص صريح فى سفر اللاويين.(١)

١- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق ص٢٥٩، ص٢٧٠.

-د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٨٢- ص١٨٥

د. ثروت انيس الاسيوطى: نظام الاسرة بين الاقتصاد والدين (الجماعات البدائية وبنو اسرائيل) القاهرة - دار الكتاب . ص١٧٦- ص١٨١.

٢- الطلاق:

- اذا كانت رابطة الزواج تنحل بوفاة الزوجين أو أحدهما - فانها تنحل أيضا بالطلاق شرط أن يكون هذا الطلاق مكتوبا ويسلمه الزوج لزوجته.

- والطلاق فى شريعة اليهود مباح (وأن كان ليس للزوجة حق فيه) - الا أنه يحرم على الزوج أن يطلق زوجته فى حالتين كالاتى:

* اذا كان قد اغتصب زوجته قبل ان يتزوجها.

* اذا صدر منه ما يشين زوجته - مثل أن يدعى على خلاف الحقيقة بان زوجته لم تكن عذراء عندما قام بالدخول بها بعد اتمام الزواج.(١)

٣- الارث

- جاء فى الشريعة اليهودية بانه بعد وفاة المورث تنتقل التركة الى

١-د. محمود السقا : أبحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص١٨٦- ص١٨٧ .

- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق . ص٢٧١، ص٢٧٥..

- جان اميل اريك: مركز المراة فى قانون حمورابى وفى القانون الموسوى - ترجمة سامى العقاد - دار النهضة العربية . طبعة ١٩٧٦ القاهرة. ص٢٢، ص٢٤

الابن الاكبر من زواج شرعى، وحصة هذا الأبن عند توزيع التركة تكون ضعف ما يؤول لاخوته.

- لا أرث للأولاد غير الشرعيين - الا إذا اعترف الأب صراحة بشرعيتهم حال حياته.

- الأولاد الذكور يحجبون البنات فى الأرث - وفى حالة عدم وجودهم تؤول التركة الى البنات.

- إذا لم يوجد للمتوفى أولاد (ذكور أو بنات) تؤول تركته الى أخوته - وفى حالة عدم وجودهم تقسم التركة على باقى الاقارب من الذكور حسب درجة قرابتهم للمتوفى.

- فى شريعه اليهود أيضا يجوز لليهودى أن يرث من غير اليهودى، ولا يجوز مطلقا أن يحدث العكس بأن يرث غير يهودى أى شخص يهودى ذكرا أو انثى.

- وفى جميع حالات الوراثة - أعترفت الشريعة اليهودية صراحة بأنه لا تركه الا بعد سداد الديون.(١)

١- د. فخرى ابو سيف. دراسات فى تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - مرجع سابق . ص٢٧٦، ص٢٧٩..

-د. محمود السقا : ابحاث فى تاريخ الشرائع القديمة - مرجع سابق .ص ص١٨٩.

الباب الثاني

أهـــم النـــظم القانونية لحضارات الشرق الاقصى القديمة

- ظهرت فى منطقة الشرق الأقصى حضارتين من أهم حضارات العالم القديم و هما الحضارة الهندية القديمة والحضارة الصينية القديمة - وهاتان الحضارتين قد تشابهة فى نشأتها وتكوينها مع حضارات منطقة الشرق الأوسط وعلى الأقصى مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين لأن كل من الحضارتين قد تكونت فى أحضان الأنهار والأراضى الخصبة - فالحضارة الهندية ولدت وتبلورت بطابعها الانسانى على ضفاف نهر الجانج - والحضارة الصينية ظهرت وتالقت على ضفاف نهر "يانج - تس - كيانج" النهر الأصفر.

- وكل من الحضارتين قد تطور فى اتجاه بعيد عن الاخر لان الحضارة الهندية ازدهرت من خلال أتصالها بالحضارات الأخرى فى أسيا الصغرى والشرق الأوسط وبلاد الأغريق والرومان فى حين الحضارة الصينية قد تطورت وهى تدير ظهرها للحضارات الأخرى أى تطورت ذاتيا من داخل اقليمها المتسع ولم تتصل بالمجتمعات الأخرى التى ظهرت فى العالم القديم الا فى القرن الثامن قبل الميلاد.

- ولبيان أهم النظم والشرائع التى ظهرت فى الحضارتين ومدى التقارب والتباين بينهما، ثم بينهما وبين الحضارات الشرقية الأخرى، سنعرض دراستنا على النحو التالى:

الفصل الأول: النظم القانونية للحضارة الهندية القديمة

الفصل الثانى: النظم القانونية للحضارة الصينية القديمة

الفصل الاول

النظم القانونية للحضارة الهندية القديمة

تقديـــم

اثبت التـاريخ الإنسـانى بأن الهند القـديمة قد شـاهدت منذ العصـور الأولى للحياة البشرية حضارة من ارقى حضارات العالم القديم ابتكرت فيها كـافـة العلوم الانسـانية ، وكانت على اتصـال دائم مع الحضـارات الاخرى القديمة التى كانت فى الشرق والغرب – والهند منذ فجر التاريخ كانت ملتقى لهـجرات كثيـرة من الأجناس المختلفة مما أعطى أثرا واضـحـا على حسن علاقاتها مع الشعوب الأخرى فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كما تميزت بالطابع الانسانى فى أمور المعاملات وفى فلسفة الفكر النافع لجميع شعوب العالم [1]

المبحث الاول .

مراحل التطور الحضارى للهند القديمة

هاجـر الى أرض الهند العامـرة منذ آلاف السنين أجناس عـديدة اتت

1 - L. Bachho Fer-Early indian Sculpture , paris, 1929. pp 1 - 5

معظمها من الشمال الغربى لممرات جبال الهمالايا وجبال سليمان ، ومن الشمال الشرقى لمجرى نهر براهما - وكان جميع المهاجرين يتدفقون عليها بقصد الإستقرار فى سهولها الخصبة حيث كانت قطراً عظيم الاتساع ، به الأنهار العديدة ، والأراضى الصالحة للزراعة فى فترات الصيف والشتاء(١) .

نتيجة لذلك أصبح لسكان الهند القديمة طابع خاص حيث اختلطت فيه الأجناس والسلالات - ولكن على الرغم من إختلافهم فى الجنس واللغات والأديان قد أعطوا أكبر تعبير يؤكد وحدة البشرية - حيث تماسك هذا الشعب واندمج فى بوتقة الحياة ، وازدهر ، وأبتكر فى كافة العلوم الانسانية وفى فلسفة الأخلاق(٢) .

ومن العناصر القديمة التى سكنت الهند منذ حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد - قبائل الدرافيديين الذين ينتمون الى جنس شعوب البحر الابيض المتوسط - حيث جاءوا من الغرب عن طريق ممرات جبال سليمان وهضبة بلوشستان وانتشروا فى شمال الهند وخاصة فى مناطق سهول نهرى السند والجانج ، ولايزال يوجد بقية منهم تعيش وتستقر الآن فى منطقة

(١) حسن محمد جوهر ، محمد مرسى أبو الليل ، شعوب العالم ، دار المعارف المصرية الطبعة الأولى عام ١٩٦٥ . ص ١٣ .

(٢) د . نورالدين حاطوم دراسة مقارنة فى القوميات الالمانية والايطالية والامريكية والهندية ، طبعة ١٩٦٦ القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية ص ١٨٢

بلوشستـــان، ويعرفون باسم جماعة البراهوى ويتكلمون اللغة الدرافيدية - وخلال الفترة مابين سنتى(١٦٠٠ ، ٨٠٠) قبل الميلاد هاجر الى الهند قبائل الأريين عن طريق ممر خيبر ، الا انهم لم يدخلوا الهند كمهاجرين مسالمين مثل قبائل الدرافيديين وانما جاءوا الى سهولها غزاة فاتحين ، الأمر الذى أدى الى وقوع معارك طاحنة بينهم وبين سكان البلاد حتى تمكنوا من الدخول والاستقرار بعد أن استطاعوا بقوتهم طرد بعض قبائل الدرافيديين من شمال الهند (١) ، ثم اندمجوا فى الحياة المشتركة مع باقى السكان - وانتشرت بعد ذلك اللغة الارية وهى (السنسكريتية القديمة) وشملت سهول الجانج والسند وامتدت بعد ذلك الى مناطق أخرى فى الهند (٢)

فرض الأريون أيضا دياناتهم التى كانوا يحملونها وهى (الديانة البراهمية)على سكان الهند وانتشرت الى جانب الديانات الاخرى التى عرفت من قبل - والديانة البراهمية كانت ترتكز على عبادة القوة المؤثرة فى الكون وتقلبات الطبيعة ، ثم انحصرت بعد ذلك فى ثلاثة إلهة الأول (براهما) وهو إله الخالق مانح الحياة والقوة وكانوا ينسبون اليه (الشمس) - والثانى (سيفا أوسيوا) وهو الاله المخرب وكانوا ينسبون اليه (النار) -

(١) حسن محمد جوهر ، محمد مرسى أبو الليل شعوب العالم مرجع سابق ص ١٤

(٢) اندريه ايمارد ، وجانين اوبواية ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ٥٥ ٥٥٣

والثـــالث (شنواوشن) وهو الاله الذى يحمل كل معانى الخير والسمو فى الحياة – ثم زعموا بأن الآلهة الثلاثة تابعون الى آله واحد أعظم أسمـــه (أتما) (١)

وقد تولد من العقائد الدينية التى انتشرت فى كافة أرجاء الهند – قيم ومبادئ انسانية وأخلاقية رائعة – ولذلك قال الحكيم الفرنسى فيكتور كـوزان (لن الهند موطن أسمى حكمة) – كما انعجت العقائد الدينية فى الفكر الفلسفى . وهذا قد أدى الى تعمق فلاسفة الهند فى فهم معنى الحياة وتفسير الغوامض وادراك الجزئيات بواسطة العقل وكونوا من خلال تعمقهم فى الفلسفة دراسة (الاوبانيشاد) التى جمعت افكارهم فى سلسلة من احاديث الحكمة والمثل ، اخترقوا بها ضباب العقل بهدف الوصول الى الحقيقة – وفى ذلك يقول الفيلسوف شوبنهاور [انه ليس فى العالم دراسة نافعة تسمو بالنفس مثل دراسة (الاوبانيشاد)] .. وتعتبر الاوبانيشاد أول كتاب فى الفلسفة الهندية القديمة (٢) .

ومن أعظم فلاسفة الهند القديمة (بوذا) الذى ولد سنة ٥٦٣ قبل الميلاد وتوفى عام ٤٨٣ قبل الميلاد – وقد وضع فلسفة الاوبانيشاد التى تتلمذ عليها موضع الاختبار العلمى – فكان معلما جوابا يعلم الناس المحبة

(١) د محمد أبو زهرة مقارنات الاديان مرجع سابق ص ٢٧

(٢) د منرى توماس اعلام الفلسفة مرجع سابق ص ٢٩

والأخلاص والأخوة – كما أسس محبة العالم أجمع وأصبح رائد الديمقراطية منذ فجر التاريخ – حيث نظر الى جميع الناس على أنهم ملوك عظماء ولافوارق بينهم – وكانت تعاليمه تعتمد على الحقيقة واتباع طريق السلوك الحسن ، فجعل الشفقة والتقوى والمحبة هى سنة الحياة لجميع البشر على وجه الأرض – وكان ايمانه العميق بالاخوة الجامعة الشاملة قد جعله يصوغ فلسفته العالمية على أسس الوحدة الصادقة لجميع شعوب العالم (١) .

وقد غرست فلسفة (الاوبانيشاد) فى نفوس الشعب الهندى أسس محبة جميع الكائنات ، كما أعطتهم يقظة روحية حقيقة بضرورة الترابط والتآخى فى وحدة سياسية ، والاندفاع نحو شعوب المجتمعات الاخرى فى الشرق والغرب لاقامة علاقات معهم على أسس من المحبة والاخلاص (٢) .

وكان لاختلاط الفلسفة الهندية بالدين ووصولها الى درجة عظيمة من الكمال – قد دفع بعض علماء الدين الى القول بأن البراهمة (الذين يرجعون كل شىء الى الآلهة الثلاثة ، وان الآلهة الثلاثة يتبعون الاله الواحد (اتما) يعتقدون فى التوحيد المطلق واختلفوا فقط فى تحديد الالوهية (٣) ... كما ان

(١) اندريه ايمارد ، جانين ابوابه تاريخ الحضارات العام . الشرق اليونان القديمة مرجع سابق . ص ٥٥٦ .

(٢) W.H. Mc Neill and R.S adams . Human Migration and policies, indiana university press, Bloomington, London, U.N University, 1978 . P.20

(٣) د محمد ابو زهر مقارنات الاديان ص ٢٨

هناك رأى عن أهل الحديث رواه ابن عساكر وغيره عن ابن عمر - بأن سيدنا آدم عليه السلام (ابو البشر اجمعين) قد هبط في إحدى جبال الهند ، وعندما توفى دفن عند الجبل الذى هبط فيه بعد أن وضعت رأسه فى اتجاه مسجد سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وكان عمره يناهز الف سنة (١) .

واذا كانت الهند موطنا عظيماً للحكمة - فانها كانت ايضاً موطنا غنيا بالفنون والابتكارات والزراعة . فقد زارها هيرودوت فى الفترة من عام ٤٧٠ - عام ٤٢٩ ق . م ووصف حضارتها بالروعة والتطور فى المصادر اليونانية ، ومن بين ماذكره القطن لأول مرة فى التاريخ حيث قال فى وصفه (رأيت بعض الاشجار فى سهول الهند تنبت منها نوعا من الصوف الذى يفوق جماله وجودته صوف الغنم ، وهذه الاشجار تزود الهنود بملابسهم) . وهذا يدل على أن الحضارة الهندية هى أول مكتشف لزراعة القطن التى انتقلت بعد ذلك الى بلاد فارس وارض مصر ، ثم الى بلاد الاغريق ، لأن هيرودوت قد زار هذه البلاد قبل زيارته للهند ، ولم يشاهد زراعة ولاصناعة القطن بهـا - كما أن الاغريق الذين كانت لديهم علاقات قوية مع الدول القديمة فى الشرق الأوسط ، لم يشاهدوا الملابس القطنية الا من خلال الجنود الهنود الذين كانوا يرتدونها أثناء انخراط بعضهم فى جيش الفرس تحت قيادة الملك

(١) الامام ابوالفدا اسماعيل بن كثير قصص الانبياء طبعة ١٩٨١ القاهرة دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ٥٧

(كسركيس) فى فترة الحرب التى دار رحاها بين الفرس والاغريق فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد - حيث أعجب الاغريق بما توصل اليه الهنود فى زراعة القطن وطريقة ونسجه وصناعته (١) .

ورغم بُعد الهند عن شعوب مجتمعات العالم القديم الا انها قد اقامت معهم علاقات عديدة ومتنوعة امتدت الى جميع بلاد الشرق ، ووصلت الى شعوب البحر الابيض المتوسط ، ومعظم المجتمعات الغربية - وكانت علاقات علاقات الهند يغلب عليها الطابع السلمى الانسانى مع الشعوب الاخرى مع قليل من العلاقات الحربية نتيجة للغارات التى حدثت عليها من جانب بعض القبائل الهمجية لاغتنام خيراتها ، مثل المغول الذين جاءوا اليها من ناحية الشمال الشرقى للاراضيها الا انها كانت تقاوم تلك الغزوات وتحافظ على استقلالها ووحدة أراضيها - ثم تحول علاقاتها العدائية الى علاقات سلام وود ومحبة (٢)

ففى منتصف القرن السادس قبل الميلاد كانت توجد علاقات وطيدة بين الهند والفرس فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، وتم بينهما تمثيل دبلوماسى تعبيراً عن مدى ترابطهما ونظرة كل منهم للآخر بانه

(١) جورج سارتون تاريخ العلم مرجع سابق ص ١٦٦ ومابعدها .

(٢) اندريه ايمارد ، جانين ابوايه تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٥٥٤

ذات سيادة واستقلال - كما اشارت الآثار القديمة الى وجود علاقات اقتصادية وتجارية على مستوى عال من الرقى بين الهند وبلاد مابين النهرين فى عهد السومريين وترجع الى سنة ٣٠٠٠ ق . م

بعد ان فشلت حملة الاسكندر الأكبر على الأراضى الهندية لضمها الى امبراطورية الاغريق عام ٣٢٧ ق . م - تأسست فى الهند امبراطورية عظيمة شملت معظم الاقاليم ، وخاصة فى عهد القائد الهندى الحكيم (اشوكا بربادرشين) (٢٦١ - ٢٢٧ ق.م) - حيث ازدادت فى فترة حكمه العلاقات بين الهند والدول والمجتمعات الاخرى القديمة فى الشرق والغرب - كما أقامت علاقات دبلوماسية وطيدة مع سوريا ومصر ومقدونيا والقيروان وبلاد الاغريق - وقد قامت اليونان فى تلك الفترة بتعيين سفير لها فى الهند أسمه (ميجاستين) - قام اثناء فترة عمله بها بوصف الهند بالحضارة والتمدن حيث قرر بان (مدنها ذات أسوار عالية وفيها المنتزهات الكثيرة والقصور ذات الاعمدة الطويلة المطلية بصفائح من الذهب والفضة ، واراضيها الزراعية قوية الخصوبة ، وهناك مهندسون يشرفون على الرى وعلى المناجم والغابات ، وتوجد طرق عظيمة وممهدة تخترق البلاد من اقصاها غربا الى اقصاها شرقا ، وان الهند تجارتها رائجة وتربطها بأقطار العالم الاخرى علاقات تجارية وثقافية ، وان لديها سفنا تجوب البحار وخاصة من موانيها

الى مصب دجلة والفرات . بالاضافة الى طرق برية توصلها الى مختلف انحاء اسيا ، وانها مشهورة بصناعتها ، وخاصة صناعة الحرير والمنسوجات) - كما وصف ميجاستين أهل المدن الهندية بانهم (لايكذبون ولايسرقون ، وبانهم عندما يكتبون العقود يقولون ان الشهود والاختام لاحاجة لها) (١)

ومن خلال ماوصفه السفير اليوناني لبلاد الهند يتضح ماكانت عليه حضارة تلك البلاد من رقي وازدهار جعلت كل شعوب العالم القديم تقدرها وتقتبس الكثير منها في كافة العلوم الانسانية .

المبحث الثاني :

أهم النظم القانونية للحضارة الهندية القديمة

ان الدليل الموضوعي الذي يكشف جوهر حضارة الهند القديمة وأصالتها يتبلور في قانون (مانو) الذي يعد من أشهر القوانين القديمة التي تكونت من تدوين قواعد الدين وسوف نبين ذلك من خلال عرض موجز عن أساس هذا القانون ومضمون أحكامه

قانون مانو Loi de Manou

أعتقد الهنود القدماء بان العالم قد تسيده سبع ملوك مؤلهين ، واطلقوا

(١) حسين محمد جوهر ، محمد مرسي ابوالليل . شعوب العالم . مرجع سابق ص ٢٠ ومابعدها

على كل ملك من الملوك السبعة أسم (مانو) وهى تعادل لقب (فرعون) عند قدماء المصريين – وعلى أساس هذا الاعتقاد زعم الهنود بأن الإله (براهما) الخالق للحياة والقوى – قد أوحى بقانون الى (مانو) أول ملك مؤله من هؤلاء الملوك السبعة من أجل تنظيم أمور الحياة بين الناس – وأن هذا الملك قد أبلغه شفاهة الى كبار طائفة الكهنة لحفظه والعمل به – فظلت قواعده فى الذاكرة تنتقل من جيل الى جيل الى أن تم تدوينها فى كتاب ضخم باسلوب شعرى باللغة السنسكريتية ضم ٢٦٨٥ بيتا شعريا – وقد ترجم هذا الكتاب الذى أطلق عليه (قانون مانو) الى معظم اللغات الأوربية (١) .

أختلف المؤرخون فى تاريخ وضع هذا القانون – فبعضهم يرى أنه قد وضع عام ١٢٨٠ ق . م ، والبعض الآخر يرجعه الى تاريخ أحدث من ذلك – الا أن الرأى الراجح يشير بأن هذا القانون قد تم وضعه فى القرن الثالث قبل الميلاد . (٢) .

– الطابع الديني لقانون مانو

نصوص هذا القانون تضمنت قواعد دينية ومبادئ عامة أخلاقية مستمدة من فلسفة الاوبانيشاد التى تكونت من الديانة البراهيمية ولذلك يقول

(١) د صوفى أبو طالب مبادىء تاريخ القانون مرجع سابق ص ١٦٠ ، ١٦١

(٢) د عبدالسلام الترمانينى ، محاضرات فى تاريخ القانون ، مرجع سابق ص ٦٥

معظم المؤرخين وعلماء تاريخ القانون بأن قانون مانو مثل شريعة اليهود – يمثل مرحلة التدوين التي أعقبت مرحلة القواعد الدينية ثم مرحلة القواعد العرفية (كما سبق أن أوضحنا في الفصل السابق)– أي أن نصوص هذا القانون التي تم تدوينها كانت عبارة عن خليط من القواعد الدينية والقواعد الأخلاقية المستمدة من أمور الديانة (١) .

الطابع الاجتماعي لقانون مانو

هذا القانون قد ميز طائفة الكهنة بتفسير أحكامه – كما قسم المجتمع الهندي الى خمس طبقات هي :-

١– طبقة رجال الدين Brahmane

وهي طبقة البراهمة – وقد وضعها هذا القانون على قمة طبقات المجتمع ومنحها كافة الحقوق العامة والخاصة كاملة – كما أعطى لابنائها حق شغل الوظائف العامة .

٢ – طبقة المحاربين Kchatriyes

وهي تأتي في المرتبة الثانية وأقل حظا من حيث التمتع بالحقوق والإمتيازات عن الطبقة الأولى التي تمثلها طائفة رجال الدين .

(١) Sumner Maine . Early Law and custom, London, 1901 , PP.3 - 22

٣ - طبقة الزراع والتجار Vaisyas

وهى التى تقرر لها قدر معين من الحقوق تقل عن الطبقتين السابقتين

٤ - طبقة العمال Sudran

وهى تمثل أدنى الطبقات من حيث الحقوق التى تقررت لها

٥ - طبقة المنبوذين Parias

وهى تمثل فئة من أفراد الشعب لم يعترف لهم بأى حق من الحقوق العامة أو الخاصة ، ومحرم على جميع أفراد الطبقات الاخرى السابقة أن يلمسوهم أو يتصلوا بهم

اتسم هذا التقسيم الطبقى بالشدة والصرامة - فلم يسمح لأى فرد ان ينتقل من طبقته الى طبقة أخرى تعلوها كما لم يجيز الزواج بين الطبقات [١] - وتمسك بهذا التزمت طبقة البراهمة

وأمام هذه الامور قد تصدى المصلح الدينى بوذا الذى يعد من أعظم فلاسفة الاخلاق فى الشرق القديم لهذه المشكلة ، واعتبرها من أكبر كوارث الإنسانية ونادى بضرورة الغاء نظام الطبقات وتحقيق المساواة التامة بين

(١) د. عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٦١

الأفراد والقضاء على نفوذ الكهنة وكافة فئات النبلاء لكى تنتشر الرحمة والمحبة والعدالة بين الجميع (١)

اهم احكام هذا القانون

ضم قانون مانو أحكاما عديدة فى معظم امور الحياة الانسانية أهما مايلي:

١ - الأحكام التى تتعلق بسلوك الانسان

اشتمل هذا القانون على كل مايتعلق بسلوك الانسان من الناحيتين الدينية والمدنية منذ ولادته الى مابعد وفاته - فوضع الواجبات الدينية التى يجب ان يلتزم بها الانسان من عبادة وقربان وصوم وطهارة وكل مايتعلق بالعقيدة الدينية - وحدد مايجب ان يسير عليه فى أطوار حياته الاجتماعية فى كل شىء حتى نوعية الملابس التى يرتديها والوانها وما يقدمه من المجاملات وامور رد التحية وتسمية المواليد (٢) - كما سمح للانسان بان يتفادى الجزاء الأخروى (بعد وفاته) عن طريق تقديم كفارة (أنواع الكفارة عديدة . فقد تكون بدفع مبلغ من المال أو عدد من رؤوس الماشية - أو الاعتكاف للتعبد مدة

(١) اندريه ايمارد . جانين اوبواييه تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٢) د. عبدالسلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون مرجع سابق ص ٦٤

الذى أرتكبه حتى لايحاسب عليه بعد وفاته (١)

٢ - الأحكام التى تتعلق بالمسائل الجنائية

نظم هذا القانون معظم الجرائم الا انه اتسم بقسوة العقوبات المقررة لها - فكان المتهم يعاقب فى بعض الاحيان بالوحشية والبدائية فكانت عقوبات فقىء العين - صب الرصاص فى الحلق - نشر المتهم بمنشار خشب أو وضعه تحت اقدام فيل - هى الأكثر استخداما في مجال توقيع العقوبة ، كما طبق مبدأ القصاص بصورة متزمتة - ومن الجرائم التى نص عليها فى قانون مانو .

أ - القتل العمد وقرر عقوبته الأعدام

ب - القتل الخطأ وجعل العقوبة عبارة عن دفع كفارة من جانب المتهم.

جـ - السرقة وحدد عقوبتها فى المرة الأولى بتغريم السارق ضعف قيمة الشىء المسروق أو الضعف مع قطع أصبعين من يده - وفى المرة الثانية أى فى حالة ما اذا عاد للسرقة مرة اخرى تقطع يده بالكامل - أما فى المرة الثالثة فكان يحكم عليه بالقتل

د - الزنا وقرر عقوبتها الجلد أو النفى أو التحريق - كما كان يحكم

(١)د صوفى ابو طالب مبادىء تاريخ القانون مرجع سابق ص ١٦٢

على الزانية بأن تقـــيد حركتها وتلقـــى فى مكان مهجور فريسة للكلاب الضالة(١)

٣ - الأحكام المتعلقة بأمور المعاملات

تضمن قانون مانو أحكام عديدة نظمت بعض العقود مثل البيع والايجار والوديعة والرهن والقرض ... واشترطت ضرورة أن يتوافر فى أطراف العقد الرضا وحسن النية - كما نظمت قواعد المسئولية المدنية ، والأمور الخاصة بملكية العقارات والمنقولات (٢)

٤ - الأحكام المتعلقة بالعلاقات الخارجية

أشتمل هذا القانون على قواعد خاصة بتنظيم علاقات الهند مع الدول الاخرى - وقد اشار معظم فقهاء القانون الدولى . بان هذه القواعد كانت تتعلق بنظم العلاقات الدولية المختلفة فى الحرب والسلم والتمثيل الدبلوماسى - وبانها كانت مصاغة بأسلوب راقى مهذب يعبر عن ضرورة أن تقوم علاقات الهند مع شعوب الدول القديمة على أسس حسن المعاملة والمحبة والتسامح والود - أى اعطت هذه القواعد أحسن تعبير عن الجوانب

---

(١) د عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٦٢

(٢) د عبدالسلام الترمانينى تاريخ النظم والشرائع ، طبعة ١٩٧٥ الكويت ص ٥٣

الأخلاقية التى يجب أن تسود العلاقات بين الشعوب المختلفة (١) .

٥ - الاحكام المتعلقة بأمور الزواج ونظام الاسرة

أ - أجاز القانون نظام تعدد الزوجات بشرط موافقة الزوجة الفاضلة المنجبة للأولاد على الزوجة الاخرى - وحيث أن هذا القانون أقر بنظام الطبقات وأختلف مقدار مايتمتع به الفرد من حقوق عامة أو خاصة باختلاف الطبقة التى ينتمى اليها ، فانه يوجد فرق فى حق تعدد الزوجات بين الطبقات - فقد أجاز لافراد الطبقة الأولى (رجال الدين) الزواج من اربع نساء ، ولافراد الطبقة الثانية (المحاربين) اقتصر على ثلاث نساء ، ولافراد الطبقة الثالثة (الزراع والتجار) على اثنين فقط - أما افراد الطبقة الرابعة (العمال) فقد حرم عليهم الزواج باكثر من واحدة ، وبالنسبة لافراد الطبقة الخامسة (المنبوذين) فلم يعترف لهم بأى حقوق فى الزواج .

ب - أعطى للزوج الحق فى أن يقوم بتطليق زوجة اذا كان بها عيب مثل اذا كانت عاقر - كما منح للزوجة الحق فى أن تطلب الطلاق اذا كان زوجها مريضا أو معتوها أو هجرها بدون مبرر لفترة طويلة وذهب الى غيرها (٢) .

---

(١) د . محمد طلعت الغنيمى بعض الاتجاهات الحديثة فى القانون الدولى العام . قانون الامم طبعة ١٩٧٤ . منشأة المعارف بالاسكندرية . ص ٤٣ .

(٢) د عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٦٢

جـ أُخضع الأسرة لسلطة الأب على أن يمارسها بدون شراسة وله الحق فى تأنيب أولاده فى حالة ارتكاب الخطأ وفى تقرير زواجهما عندما يبلغا أشدهما (١)

هذا بالاضافة الى وجود أحكام أخرى عديدة ومتنوعة مثل التى تقرر بأن نظام الحكم يكون ملكيا ويقوم على أساس دينى ، ، وبأن الملك يصبح من طبيعة الهية ويجب أن يتحلى بالصدق والعدل والعقل والحكمة والشفقة والرحمة – والتى منحت للملك والكهنة الحق فى أن يتولوا الفصل فى المنازعات التى تنشب بين الأفراد – وأيضا الأحكام الخاصة التى نظمت الشهادة كدليل لاثبات نصوص هذا القانون (٢)

ولكن رغم ما أتسم به هذا القانون من شدة وما تميز به من نظام طبقى وعدم أقرارة للمساواة التامة فى الحقوق بين سائر الطبقات – فقد عبر بصورة واضحة على أن المجتمع الهندى كان مجتمعا حضارياً ملما بكافة أمور الحياة ونظم العلاقات المختلفة – وبأن الشعب الهندى وأن كان يمثل أجناس مختلفة ، إلا انه أعتنق مثل ومبادىء إنسانية عديدة ساعدت على ترابطه وتلاحمه فى وحدة متكاملة – وعلى ضوء ذلك قد تكونت الدعائم

(١) اندريه ايمارد ، جانين اوبواية ، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة
مرجع سابق ص ٥٦٢ – ص ٥٦٦

(٢) د عادل بسيونى التاريخ العام للنظم والشرائع مرجع سابق ص ٦٢

الاساسية للقومية الهندية منذ آلاف السنين قبل م على الترابط الأخوى فى الثقافة والديانة والقيم الاخلاقية والتصدى بكل عزيمة واصرار لكل من يحاول الأعتداء عليها أو تفتيت أركانها (٢) .

(٢) د . نور الدين حاطوم دراسة مقارنة فى القوميات مرجع سابق ص ١٨٥

الفصل الثانى

النظم القانونية للحضارة الصينية القديمة

تقديـــم

منذ زمن متوغل فى القدم يرجع إلى حوالى سنه ٤٥٠٠ قبل الميلاد ظهر المجتمع الصينى ، وتميز بالصلابة ، وقوة الإرادة ، وحب الحياة والإستقرار - وتشير المصادر التاريخية بأن هذا المجتمع قد انطلق مع مرور الأزمان نحو التطور واجتاز كل العقبات التى كانت تحيط به حتى تمكن من تكوين دعائم وركائز أساسية شيد بها حضارة تألقت وأعترفت بها جميع شعوب العالم بالرقى والتقدم ، واعتبروها من ضمن أعظم حضارات العالم القديم . حيث ازدهرت فى جميع العلوم الإنسانية وأتقنت فن الزراعة واستصلاح الأراضى وابتكرت أساليب مختلفه للكتابة التصويرية وعلم الطباعة - كما تميزت بالفكر المتطور والفلسفة وأصبحت موطن للحكمة والمثل العليا والنظم المثالية التى مازالت سائدة وتتمسك بها كرمز السمو حتى عصرنا الحاضر (١) .

---

(١) انظر مؤلفنا عن التاريخ العام لنظم وقوانين الحضارة الصينية القديمه - طبعة ١٩٩١ القاهرة ص ٥

المبحث الأول

التطور التاريخى للحضارة الصينية القديمه

فى العهود الأولى للحياة الإنسانية التي يصعب تعين فترتها التاريخية على وجه التحديد - تكون أول مجتمع أنسانى على ضفاف نهر [يانج - تسى - كيانج] (Yang -Tse : King) أتسم بحب الحياة المستقرة رغم أنه كان يحيط به قبائل بربرية عديدة - وبعد فترة من الزمن ظهرت بلاد الصين وكانها قسمان مختلفان - الأول كان عباره عن مجتمع زراعى من الفلاحون الذين عاشوا واتقنوا فنون الزراعة فى السهول الخصبة - والقسم الآخر كان مجتمع يحمل صفات البداوة ، أعتمد سكانه فى تدبير أمور معيشتهم على الصيد والرعى - وفى الفترة مابين القرنين العشرين والخامس عشر أتحد القسمان فى صورة مجتمع منظم ، وظهرت أول أسرة حاكمة له من سلالة (هيا) التى اعتلى أول ملك فيها عرش هذا المجتمع حوالى عام ٢١٠٠ قبل الميلاد - وفى عهد هذه السلالة تطور المجتمع واتقن إلى جانب الزراعة بعض الصناعات البسيطة مثل صناعة الخزف .

أعقب حكم سلالة (هيا) - سلالة (شنغ) فى الفترة مابين عام ١٥٢٣ - ١٠٢٨ قبل الميلاد - وفى عهد هذه السلالة ظهرت أول عاصمة لبلاد الصين

فى القرن الرابع عشر سميت بإسم (نغان - ينغ) و تبلور المجتمع الصينى بالسمات الحضرية - حيث تطور فى امور العقيده وفى الفكر الثقافى والفلسفى واتقن فنون الصناعات المختلفة ، وخاصة صناعة الخزف التى تميز فيها بالدقه والروعة والجمال على جميع الحضارات الأخرى التى كانت تعاصر وجودة ، كما استخدم النحاس والرخام والعظم فى صناعات أخرى عديدة - وعلى أثر ذلك مثلت العاصمه (نغان - ينغ) ذروة الفن الصينى القديم وأبرزت بوضوح مجد وعظمة حكام سلالة (شنغ) .

- فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد تزعم (وفا - ونغ) وهو من أحد أفراد أسرة (تشاو) الثورة على أخر ملوك سلالة (شنغ) بعد أن لمس فيه الضعف والاستكانة وتمكن من أسقاطه وإعتلاء عرش البلاد ليعلن بداية عهد جديد للصين وهو عهد حكم سلاله (تشاو) .

- بدأ الملك (وفا - ونغ) فى إصلاح أمور البلاد ودفعها بخطوات قوية إلى التقدم والرقى حتى أصبحت من أعظم المجتمعات الحضارية فى العالم القديم - إلا أن الملوك الذين تعاقبوا فترة حكمه من سلاله (تشاو) لم تكن سلطتهم مطلقة فى حكم البلاد ، ولذلك ظهر فى عهدهم الاقطاع ، وأصبحت البلاد عرضة لأطماع القبائل البربرية خاصة بعد أن تمكن برابرة الغرب من شن هجوم صاعق على البلاد عام ٧٧١ ق.م دمروا فيه العاصمة بعد أن نهبوا

خيراتها .

- وعلى أثر ضعف السلطه السياسية لسلالة (تشاو) وضربات البرابرة المتلاحقة على أراضى البلاد - انتهز أمراء الاقطاع فى الأقاليم بعد أن قويت شوكتهم هذه الظروف وأعلن كلا منهم استقلالة بإمارته وإتخذ لنفسه لقب (ملك) - وبالتالى انهارت وحدة الصين ودخلت فى عهد الممالك المنفصلة منذ بداية عام ٤٨١ ق. م .

- حدثت منازعات شديدة بين هذه الممالك حيث كانت كل واحدة منها تريدان تبتلع الممالك الأخرى وتتزعم السيادة الصينية ، وعلى أثر ذلك اندلعت حروب طاحنة بينهما استمرت من عام (٣٢٥ - ٢٢١ ق.م) أهلك فيها الشعب الصينى من أثر الفوضى والدمار ، وتعثرت كل جهود التقدم الحضارى - وأطلق المورخون على هذه الفترة عهد الممالك المتحاربة .

- منذ عام ٣١٠ ق. م بدأت مملكة (تس - ين) ويطلق عليها أيضاً (التسين) تظهر كأقوى مملكة واتخذت خطوات جادة لتوحيد البلاد من أجل مصلحتها فى تولى أمور الزعامة الصينية - ونظير ذلك دخلت فى حروب شرسة مع الممالك الأخرى انتصرت فى معظمها حتى تمكنت فى عهد الملك (تشنغ) من إخضاع هذه الممالك تحت سيطرتها عام ٢٢١ ق. م وأسست أول

إمبراطورية صينية ذات قوة ونفوذ ضمت جميع أجزاء البلاد فى وحدة متكاملة.

- ويرجع الفضل فى إنشاء هذه الإمبراطورية وإتمام وحده البلاد إلى الملك (تشنغ) الذى ولد عام ٢٥٨ ق. م ، وأعتلى عرش إمارة (التسين) وعمره لم يتجاوز ثلاثة عشر عاما ، وعندما بلغ التاسعة والعشرين اتقن فن الحروب وأخذ يحرز الإنتصارات المستمره على الممالك الأخرى منذ عام ٢٣٠ ق. م ، وأصبح الزعيم الأوحد لكل الإمارات ، وأسس الإمبراطورية الصينية بعد أن لقب نفسه بالإمبراطور واتخذ أسما جديداً هو (تسن - شه - هوانغ - تى) اكتسب من خلاله شهرة عظيمة بالقوة والنفوذ دوت فى كافة أرجاء البلاد وفى جميع المجتمعات المحيطه بها وخاصة فى الهند وفارس وبلاد مابين النهرين -

ومن أجل أن يحافظ على كيان إمبراطوريته ويدفعها إلى التالق والمجد ويدخلها فى نطاق الإمبراطوريات العظمى قام بإصدار مجموعة قوانين ، واتخذ على ضوئها إجراءات عديدة من أجل أن ينظم أمور البلاد ويأمن أراضيها أهمها يتلخص فى الآتى :

١ - جعل سلطة الحكم فى البلاد مطلقة وذات صفة مركزية .

٢ - إقتلع جذور الإقطاع من كافة أنحاء البلاد حتى لا تعود الصين مرة

أخرى إلى العهد السابق الذى ظهرت فيه الممالك المتحاربة التى دمرت وحدة البلاد وأشاعت فيها الفوضى والفساد والدمار .

٣ - وحد كافة النظم السياسية والإجتماعية والثقافية والفكرية والقانونية من أجل أن يدعم الوحدة الوطنية فى البلاد على غرار ما أتبعه الملك مينا فى مصر عندما أسس أول أسرة فرعونية عام ٣٢٠٠ ق.م ، والملك حمورابى أشهر ملوك بابل فى بلاد مابين النهرين فى الفترة مابين عام (١٧٢٨ - ١٦٨٦ قبل الميلاد).

٤ - فرض أسلوب موحد لإدارة كافة أقاليم البلاد وعين حاكم على كل إقليم يتبعه ويرجع إليه فى جميع الأمور .

٥ - أخذ على عاتقه تأمين البلاد والدفاع عنها ضد الغزوات التى كانت تهددها فى غالب الأحيان من المناطق الشمالية والشمالية الغربية ، وقام فى سبيل ذلك بتكملة بناء الأسوار التى شيدها ملوك إمارات (التسين ، والتشاو ، وال ين) للدفاع عنها - وجعل من إلتحامها خط دفاع موحد لمسافة ثلاثة ألف كيلو مترا لتصبح بعد ذلك سور الصين العظيم الذى يعتبر من أعظم الإنجازات التى تحققت فى العالم القديم بعد الأهرامات التى شيدها ملوك الأسرة الرابعة فى مصر الفرعونية فى الفترة مابين

عام ٢٦٨٠ - ٢٥٦٠ ق.م) - وعلى أثر ذلك أصبحت الصين فى عهده إمبراطورية عظمى وذات قوة وسيادة فى شرق آسيا .

- بعد وفاة الإمبراطور (تسن . شه . هوانغ - تى) عام - ٢١٠ ق.م لم يتمكن الإمبراطور الذى خلفه فى الحكم (لضعف قوته ونفوذه) أن يحقق السيطرة الكاملة على كل أرجاء الإمبراطورية - ولذلك حدثت إضطرابات سياسية ترتب عليها إندلاع ثورات وحروب داخلية أشاعت فيها الفوضى والفساد ودمرت على أثارها بعض أقاليم البلاد - وفى أثناء هذه الظروف السيئة استطاعت سلالة (الهان) أن تنتزع السلطة فى عام ٢٠٦ ق. م ونصبت أبنائها كأباطرة بالتوراث على حكم البلاد لفترة دامت إلى عام ٢٢٠ ميلادية .

- فى بداية حكم سلالة (الهان) توحدت البلاد وعادت الإمبراطورية الى قوتها حيث أتبع الاباطرة الأوائل نفس نظام وسياسة الإمبراطور (تسن . شه - هو انغ . تى) فى إدارة شئون البلاد والدفاع عن أراضيها . إلا أنه نتيجة منحهم إمتيازات خاصة لبعض النبلاء . الذين ظهروا فى عهدهم وينتمون بصلة الدم إلى سلالتهم ، قد أدى الى أحداث ضعف فى الوحدة السياسية للإمبراطورية حيث أصبح لهؤلاء النبلاء قوة ونفوذ ومنح كل واحد منهم لقب أمير - وبعد فترة حدثت صراعات وحروب شديدة بينهم من أجل الوصول إلى العرش ترتب عليها إنهيار صرح الإمبراطورية ودخول البلاد فى حالة

الفوضى والدمار ، واستمرت هذه الظروف السيئة حتى تمكن الإمبراطور (واو - واو) عام ١٤٠ قبل الميلاد (وهو من نفس سلالة الهان) من الإستيلاء على العرش وحسم هذه الأمور وكان يبلغ من العمر ستة عشر عاماً .

وبعد سنوات من حكمه أصبح قوى الإرادة والنفوذ فأصدر مجموعة قوانين تمكن من خلالها أن يتخذ إجراءات عديدة من أجل أن ينظم أمور الإمبراطورية ويعيد لها القوة والنفوذ . أهمها يتلخص فى الآتى :

١ - أتبع سياسة الحكم المطلق فى إدارة شئون البلاد والمركزية المتشددة السيطرة الكاملة على الأقاليم .

٢ - تخلص من طبقة النبلاء (أمراء سلالته) وذلك بعد أن تمكن من القضاء عليهم تماما وعلى جميع ما كانوا يتمتعون به من نفوذ وإمتيازات .

٣ - استعان فى تنظيم شئون البلاد وإدارة الأقاليم برجال قانون مشهود لهم بالعدل والنزاهة والحكمة ومعظمهم من عامة الشعب.

٤ - أعاد الوحدة الوطنية فى كافة أرجاء البلاد من أجل أن يدعم صرح الإمبراطورية ويزيد من قوة تماسكها فى الدفاع عن أراضيها وفى فرض النفوذ والسيطرة على الأقاليم التى تجاورها وعلى أثر ذلك انتعشت

الصين فى عهده وأزدهرت حضارتها وسيطرت من خلال فتوحاته العسكرية على بلدان ومجتمعات عديدة فى شرق آسيا .

- بعد وفاة الإمبراطور (واو - واو) عام ٨٧ ق.م حدثت اضطرابات سياسية أيضاً فى البلاد استمرت إلى أن اعتلى أحد أحفاده ويدعى (سوان - تى) العرش وتمكن بعد جهد أن يعيد البلاد إلى حالة الاستقرار والرقى الحضارى خلال فترة حكمه (٧٣ - ٤٩ ق.م) - إلا أن أباطره سلالته (الهان) الذين حكموا الإمبراطورية من بعده كانوا ضعاف الشخصية والنفوذ فلم يتمكنوا من المحافظة على وحدة البلاد والدفاع عنها من غارات القبائل البربرية وخاصة قبال الهون - وهذا الأمر قد أدى إلى حدوث صراعات ومعارك دامية بين حكام المقاطعات بعد أن عظم شأنهم نتيجة ما حصلوا عليه من إمتيازات . وإستمر هذا الوضع إلى أن إنهارت الإمبراطورية وعزلت رسمياً سلالة (الهان) عن الحكم فى عام ٢٢٠ ميلادية ، وتفتت وحدة البلاد وجزئت إلى ثلاث ممالك (لوبانغ - تشنغ تو - نانكين) وإستمر هذا التقسيم ودخلت به الصين العصور الوسطى .

- هذا هو السجل التاريخى للحضارة الصينية القديمة الذى فتح منذ حوالى عام ٤٥٠٠ قبل الميلاد حتى عام ٢٢٠ ميلادية حيث كون الصينيون

حضارتهم بالجهد والنضال وعلى أسس الترابط والوحدة الوطنية (١) .

المبحث الثانى :

الطابع الحضارى للصين القديمة

كان الصينيون القدماء يعتبرون العلماء منهم لا الجنود هم أبطالهم المفضلين – ولذلك تكونت حياتهم على مبادىء من التأمل العميق والحياة الحرة القائمة على حسن تفهم الجنس البشري والأخوة الجامعة – فقد أُعطى الفلاسفة الصينيون القدماء ذخيرة قيمة أفادت البشرية فى الحكمة والمثل والمبادىء – لأنهم كانوا من أكثر الناس صبرا واستوحوا فكرهم من التأمل الروحي الذي لايقاس بحياة الفردية والإنعزال ، أو المحدد لفترة من العصور وإنما لكل الشعوب وعلى طول الزمان فكانت رحلة أفكارهم أبدية كشفت معالم

وعن التطور التاريخى للصين القديم ... انظر

1- D. Kahn, Scientists of Code Analysis , Cividlized Study , New York . U.N. University. 1966 . PP. 130 - 143.

- R. Grousset , La Chine et san art, Paris, U.N. Unversity, 1951, PP. 4-15.

- Yuri Kashlev, the Mass Media and international Relations, Published by the international organization of journalis p rogue, U.N. University, 1983 , PP. 11-17.

- أندريه إيمارد ، جانين أو بواية – تاريخ الحضارات العامه الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ٥٧٩ –٥٨٢،

- مؤلفنا التاريخ العام لنظم وقوانين الحضارة الصينيه القديمه مرجع سابق ص ١١ - ٢٣.

الطريق إلى نور الإنسانية وحب الموده بين الشعوب .

- ومن أعظم فلاسفة الصين(كونفوشيوس) الذى ولد عام ٥٥١ قبل الميلاد فى إمارة لو (إقليم شانتونج الحالى) أثناء فترة حكم سلالة (تشو) - وبفضل فلسفته الهادئة عاش حتى السابعة والثمانين ويعتبر من أوائل الكتاب عن الديمقراطية وبث أفكارها بين الشعب الصينى بأكمله - حيث كان الجميع يعيشون أحراراً فالشعراء ينظمون الشعر بدون ألم وخوف ، والمعلمون يدرسون علومهم للطلاب بحرية كاملة من غير رقابة ، والشباب يتحدثون عن كل شيء دون فزع ولا اضطراب (١).

- وكان كونفوشيوس ينشر فلسفته الأخلاقية من منطلق إحساسة بمبدأ وحدة الإنسانية ، وبضرورة نشر وتدعيم السلام فى جميع أرجاء العالم - وبأن الشعوب مهما اختلفت فى الجنس أو اللغة أو الدين طبيعتهم الإنسانية واحدة ، وبانهم كبشر لابد أن يندفعوا نحو الخير ويقاوموا الشر بكل مالديهم من قوة عن طريق المحبة وتطبيق مبدأ العدالة المتبادلة ، وإزالة كل الأسباب التى تولد الحق والكراهية بينهم (٢) - وقد قال بأن [الإنسان الأسمى فى هذا العالم الحى يرعى أربعة مبادىء (العلم الغزير - السلوك الحسن - الطبيعة السمحة - العزيمة القوية) ، وقال أيضا (أحبوا أصدقاكم ولاتكرهوا أعدائكم).

---

(١) أرنولد توينبى مختصر داراسة التاريخ - مرجع سابق ص ٨٧ ومابعدها

وبالإضافة إلى فلسفة كونفوشيوس كانت توجد أيضاً فلسفة (لاوتسى) الذى أبرز المفهوم الكامل لطريق الحكمة - وقال عنه ول ديورانت فى كتابه عن قصة الحضارة بأنه [يحتمل ألا يكون فى الأدب قاطبة أجمل وارفع مما قاله (لاوتسى) فى سر الحكمة لأنه كمن فى إطاعة الطبيعة برضى وطيب خاطر ، واعتبر كل أشياء فى الطبيعة تعمل فى صمت ، وتخرج إلى حيز الوجود وهى لاتملك شيئاً ، ثم تؤدى وظائفها ولا تطلب بحق - وكان يقول (لاوتسى) بأنه على الرغم من أن كل الأشياء تقوم بعملها على السواء إلا أننا نجد أنها لا تلبث أن تخمد وتهدأ ، وما أن تبلغ كل منها عنفوانها وذروة أزدهارها حتى ترتد إلى ماكانت عليه أصلا ، ولايعنى الإرتداد إلى الأصل سوى الراحة ، أو تحقيق ماقدر أن يكون ... وهذا الإرتداد ليس إلا قانونا أبدياً - والحكمة أن يعرف المرء هذا القانون ويتقبله بنفس راضية وبال مرتاح).

وقال لاوتسى أيضا بأن (التنافس على الثروة أو السلطات لا قيمة له ، ولا جدوى فيه ، فالرجل الذى يصل إلى ذروة الحكمة بعيد كل البعد عن التفكير فى ربح أو خسارة ، وفى مرتبة سامية أو ضعيفة . . . وحتى يكون الإنسان نبيلا تحت السماء ، لايعتبر نفسه أرفع منزلة من أحد ، ولا أغنى من أحد ، ويفرح دائما ويسعد بحب ومودة لسعادة الجميع وهو مرتاح البال

وهادىء الذهن) - ولذلك يعد لاوتس من أوائل الفلاسفة فى طريق الحكمة التى قام جان جاك روسو أحد فلاسفة العصر الحديث بعد مرور حوالى الفين وأربعمائة عام يعيد كشف أحد أسرارها (١) - هذا بالإضافة إلى أنه الفلسفة البوذية قد دخلت إلى الصين فى عهد حكم سلاله (الهان) وأضافت أسانيد أخرى فى فلسفة الأخلاق والحكمة .

- ومن هذا المنطلق تكونت فى الصين القديمة أعظم النظريات الإنسانية للعلاقات الإجتماعية على الصعيد العالمى التى يخاطب فيها الشعوب بعضهم بعضا على أسس من الأخلاص والمحبة والمودة من أجل أن يظللهم سلام شامل ويتحقق لهم التآلف العظيم .

- وإلى جانب فلسفة الأخلاق والحكمة - ابتكر الصينيون القدماء أيضاً العديد من العلوم الإنسانية المتنوعة ، فقد اعتنوا بخصوبة الأرض واتقنوا فنون الزراعة وصناعة الأغذية ، كما اتقنوا بدقة وروعة وجمال صناعة الخزف والأثاثات والأخشاب والرخام والأنوات النحاسية ، وبرعوا فى علوم الطب والفلك والرياضة - وقاموا بتشيد مدنهم وربطها بطرق ممهدة أفضل تشييد ، وبنو الأبراج والأسوار القارهة على أفضل النظم الهندسية (٢) - ويرجع لهم

---

(١) د. هنرى توماس أعلام الفلاسفة - مرجع سابق ص ٥٠ - ٥٦

(2) Yuri Kahslev , the Mass Media and International Relations, U.N. Unversity, Tokyo - Japan, 1983 , P. 17

الفضل فى كشف فنون الكتابة التصويرية ، وإختراع ماكينات طباعة الحروف بعد تجميعها التى اقتبسها منهم الأوربيون بعد عدة قرون ، حيث ظهرت أول ماكينة طباعة فى أوروبا حوالى عام ٥٠٠ بعد الميلاد ، فى حين كانت تستخدم فى الصين فى الفترة التى كانت قبل الميلاد ، ولم تكن معروفة فى أوروبا (١) – كما كان لدى بعض علماء الصين فكرة كاملة عن التطور منذ آلاف السنين قبل أن يقوم داروين بتأسيس هذه النظرية فى النصف الأخير للقرن التاسع عشر بعد الميلاد (٢).

المبحث الثالث :

مظاهر النظم القانونيه للصين القديمة

عقب أن استقر المجتمع الصينى فى بداية عهده الحضارى أعتمد على القواعد الدينية فى ترتيب أمور الحياة وفى تنظيم كافة العلاقات المختلفة ، حيث كانت الديانة لدى الصينيون القدماء هى أساس القانون ، والآلهة التى يعبدونها ويتقيدوا بها هى التى تحفظ النظام العام وتوفر لهم الأمن والسلام والإستقرار والخير الجماعى (٢) . وكان الصينيون يعبدون الهة عديدة لا حصر لها مثل عبادة قوى الطبيعة والأسلاف وبعض الحيوانات والبنات والأرواح –

(١) براتراند رسل – حكمة الغرب – مرجع سابق ص ٢١

(٢) جورج سارتون – تاريخ العلم – مرجع سابق ص ١٦٨

إلا أنهم كانوا يتبعون جميع هذه الآلهة إلى إله أعظم أطلقوا عليه (شنغ - تى) بمعنى رب الاعالى وأعتبروه سيد الالهه وجميع الناس وملك الموتى وصانع الملوك والإدارى والقاضى الذى لايعلى عليه أحد ، وبأنه كان يساعده اله السماء وسيد الأرض (هيو - تو) واله ارض المملكة - وكانت أمور العبادة تقوم بصورة أولية على الصلوات والرقص بحركات معينة مع تقديم القرابين فى الأوقات المحددة وكانت عبارة عن ذبائح بعضها بشرية من أسرى الحرب.

- وقد استمر تطبيق القواعد الدينية فى تنظيم أمور المجتمع الصين طوال فترة حكم سلالة (هيا) وسلالة (شنغ) التى أعقبتها - ألا إنه فى عهد حكم سلالة (تشاو) الذى ظهر فيه النظام الإقطاعى ثم (الممالك المتحاربة) تكونت فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد بعض قواعد عرفية أندمجت فى قواعد الدين خلال فترة عهد الإمبراطورية وحكم سلالة (الهان) ، أى أصبح القانون عبارة عن خليط من القواعد الدينية والعرفية التى ظهرت من ظروف تطور المجتمع وإنفتاحه بالعلاقات المختلفة مع المجتمعات الحضارية الأخرى التى كانت تحيط به وخاصة الهند وبلاد مابين النهرين ، وتبين ذلك بوضوح فى المجموعات القانونيه التى ظهرت بعد ذلك وخاصة التى صدرت إعتباراً من منصف القرن الثالث قبل الميلاد مثل مجموعة قوانين الإمبراطور (تس . شه هوانغ - تى) التى أصدرها عقب أن إعتلى العرش عام ٢٢١ قبل البلاد

ومجموعة قوانين الإمبراطور (واو - واو) التى أصدرها فى الفترة من عام ١٤٠ - ٨٧ قبل الميلاد .

- ولكن إذا كانت فكرة القانون قد تطورت فى مرحلة التقاليد الدينية إلى خطوات فى مرحلة التقاليد العرفية وأصبح القانون خليطاً من قواعد الدين والعرف - إلا أنه لم يحدث تغيراً جوهرياً فى أنماط وسمات النظم المختلفة للمجتمع أو فى مجال العقوبات وأساليب تطبيقها على الجرائم المختلفة - وإنما كانت نتائج هذا التطور عبارة عن تغيرات بسيطة معظمها فى الطقوس الدينية وفى النظم الخاصة بإدارة شئون البلاد - وذلك لأن المجتمع الصينى كان يتميز بطابع الثبات والتمسك بشكل شبه مستديم بمجموعة من الأفكار والتقاليد المتناسقة التى تولدت من ظروف البيئة ومن الوحدة العرقية للسكان حيث كان الشعب الصينى متحد فى الأصل وليس مثل الشعوب الأخرى التى كونت حضارات الهند وبلاد مابين النهرين والإغريق والرومان وكانت تتألف من أجناس مختلفة - وترتيبا على هذه الأمور فإن أحكام النظم القانونية للحضارة الصينية القديمة يتلخص بعضها فيما يلى

أولا . الأحكام المتعلقة بالوضع الإجتماعى .

إنقسم المجتمع الصينى الى طبقات ثلاثة - وكل طبقة تميزت عن

الأخرى من حيث الحقوق والواجبات - ولذلك اختلفت أمور الحياة الإجتماعية بين الأفراد إختلافاً بيناً طبقاً لإختلاف طبقاتهم وذلك على النحو الآتى :

١ - **طبقة النبلاء** : وكانت تتكون من رجال الدين ، وأفراد السلالات التى حكمت الصين ، ومن أمراء الإقطاع فى الفترات التى كان ينتعش فيها النظام الإقطاعى - كما كان يدخل هذه الطبقه فى بعض الأحيان التجار الأثرياء وكبار قادة الجيوش وبعض أفراد عامة الشعب الذين كانت السلطه تنعم عليهم بوظائف هامة فى إدارة شئون البلاد - وحيث كان أفراد هذه الطبقة ينتسبون إلى طوائف عديدة ، فقد ترتب على ذلك عدم المساواة بينهم فى الإمتيازات التى كانوا يتمتعون بها مثل تولى الوظائف الهامة فى الدولة والتعين لإدارة حكم الأقاليم وإقامة الشعائر والطقوس الدينية وتملك الأراضى وعدد الزوجات ، وكان أفراد السلالات الحاكمة وكبار رجال الدين من أكثر الطوائف التى تمتعت بالإمتيازات المقررة لهذه الطبقة .

٢ - **طبقة العامة** : وهى تمثل جموع الشعب الصينى من الصناع والعمال والمزارعين وأصحاب المهن المختلفة ، وكانت الحقوق المقررة لهم تقل بدرجة كبيرة عن حقوق طبقة النبلاء - كما أنه فى بعض الفترات التى كان ينتعش فيها النظام الإقطاعى وتزداد نفوذ أمراء الإقطاع فى

أقاليم البلاد كانت فئة الفلاحين والزراع عبارة عن اتباع للسيد الإقطاعي ومرتبطون بالأرض وكانوا يمثلون أدنى درجات هذه الطبقة - ولذلك كانت جميع الثورات التي إندلعت في معظم أنحاء البلاد أغلبها من فئة الفلاحين والمزارعين من أجل التخلص من النظام الإقطاعي ورقبة التبعية التي أهدرت حقوقهم - وفي غالب الأحيان كانت هذه الثورات تنجح في قلب نظام الحكم والقضاء على الإقطاع وكل القيود التي كان يفرضها من أجل نشر نفوذه وتحقيق مصالحه الخاصة ، لأن فئة الفلاحين والزراع كانت تمثل غالبية الشعب والأساس الأول للمجتمع الصيني .

٣ - **طبقة العبيد** : وكان معظمهم من أسرى الحروب ، واللقطاء ، والذين صدر ضدهم أحكام من الدولة بضمهم إلى هذه الطبقة كعقوبة على ما أرتكبوه من جرائم معينة وكانوا يتمتعون بقدر ضئيل من الحقوق على أساس أنهم يمثلون أدنى درجات المجتمع ، ويعتبرون مثل الأشياء التي يحق تملكها والتصرف فيها - وعلى ضوء أحكام القوانين التي كانت تنظم أوضاعهم كان لايجوز لأى فرد من طبقة النبلاء تمتلك عدداً من العبيد يزيد عن الثلاثين سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً أو خليط من الجنسين إلا إذا حصل على أذن بزيادة هذا العدد من السلطة الحاكمة

ثانيا : الأحكام المتعلقة بالزواج ونظام الأسرة :

١ – كان الزواج يتم طبقاً لطقوس دينية معينة لدرجة جعلته من ضمن الأعمال الدينية التى تتم وفقاً لأمور التقيد بالعبادة – وكان مقصور على أفراد طبقة النبلاء على أساس أنهم الذين يتمتعون فقط بحق الإشتراك فى الطقوس الدينية – أما أفراد طبقة العامة فكان لايحق لهم مثل هذا الزواج على أساس أنهم كانوا لايتمتعون بالإشتراك فى مثل هذه الطقوس وإنما يستفيدون فقط من ثمار العبادة وماتحققه من خير جماعى – ولذلك كان نظام الزواج عندهم يعتمد فقط على الموافقة بين الرجل والمرأة بدون أى شروط أخرى أو إجراءات معينة على أن يتم تثبيته فى حفلة عامة تقام بعد إنجاب البنين – هذا بالإضافة إلى أن أفراد طبقة العامة كان لايحق لهم الزواج بهذه الصورة إلا فى فترة الربيع فقط وليس فى أى وقت مثل طبقة النبلاء .

٢ – اشترط فى نظام الزواج سواء بالنسبة لطبقة النبلاء أو لطبقة العامة أن يقوم الزوج بإختيار زوجة ليست من أفراد أسرته – و إذا حدث العكس وكان الزوج والزوجة من أسرة واحدة اعتبر الزواج باطلا ويدخل فى إطار المحرمات.

٣ - كانت قاعدة تعدد الزوجات مقررة فى نظام الزواج إلا أن تطبيقها من حيث عدد النساء كان يختلف طبقاً لمكانة الزوج - فجميع أفراد طبقة العامة كان لايحق لهم الزواج بأكثر من واحدة - أما أفراد طبقة النبلاء فقد كان عدد الزوجات يختلف تبعا لمقامهم وما يتمتعون به من إمتيازات (كما سبق أن وضحنا) ولذلك كان يحق بزوجتين فقط لأى فرد من أصحاب المراكز الغير هامه أو المرموقه ، وثلاث زوجات إن كان قائدا ، ويتسع زوجات إن كان أميراً - أما بالنسبة للملك أو الإمبراطور فكان يحق له إتخاذ اثنتى عشر زوجة - وبهذا تميز الزواج الصينى بنظام فريد فى تعدد الزوجات لم يتخذ أو يتقرر بهذه الصورة فى معظم المجتمعات الشرقية التى كانت لها مجد حضارى فى العالم القديم .

٤ - بالنسبة لطبقة النبلاء - كان بمجرد أن يمر ثلاث شهور على وصول الزوجة إلى منزل زوجها تعتبر من ضمن أفراد أسرته وتشترك معهم فى الطقوس الدينية وأمور العبادة وتصبح زوجته الشرعية إلى الأبد - أما بالنسبة لطبقة العامة فكان يتم ذلك فى حفلة عامة بعد أن تنجب الزوجة البنين .

٥ - كان لايجوز للزوجة التى يتوفى زوجها أن تقوم بالزواج مرة أخرى - أى حرم القانون على الأرامل أن يتزوجن مره أخرى وفرض عليهم الإلتزام

بالعفة والقيم الإخلاقية

٦ - أما بالنسبة لنظام الأسرة - فكان للأب سلطة مطلقة يباشرها على جميع أفراد أسرته (أبنائه ، وبناته ، وزوجاته ، وفروع الأبناء - والأرقاء فى حالة ما إذا كان من طبقة النبلاء) - كما كان يعتبر رئيسها الأعلى الذى يتولى الإشراف على كافة امورها ، والمربى الاكبر الذى يلقنها قواعد الآداب ويغرس فيها القيم والمبادىء الإخلاقية، والزعيم الأوحد فى إقامة الشعائر والطقوس الدينية

ثالثاً . الأحكام المتعلقة بأمور المعاملات .

١ - نظمت بدقة عمليات البيع والشراء والمقايضة على أسس تتسم بالعدالة والأنصاف من أجل أن يسود حق المساواة بين الأفراد فى كافة الأمور الخاصة بالتعامل ، ويأخذ كل ذى حق حقه - وعلى هذا الأساس جعلت من الغش جريمة تمس كيان المجتمع حيث اعتبرته من العوامل التى ترتب أوضاع ظالمة تفسد صفو الحياة

٢ - جعلت نظام التعاقد يستند أساساً على مبدأ الرضا بين الطرفين ، واشترطت أن يقوم كل طرف بتنفيذ ماعليه من الإلتزامات بحسن النية وفى الموعد المحدد بالعقد إلا إذا حدثت ظروف طارئة لا دخل لإرادته

فيها ولم يتوقعها - وكانت معظم الأحكام التى نظمت العقود وعمليات التعاقد مستمدة من القواعد العرفية .

٣ - إهتمت بتنظيم الملكية الفردية للمنقولات والعقارات وعلى الأخص الأراضى الزراعية وجعلت أساسها يقوم على مبدأ الحرية بإستثناء الفترات التى توغل فيها النظام الإقطاعى - بشرط أن يحدث توازن بينها وبين الأهداف العليا التى تتوخاها الدولة فى الأمور الإقتصادية وخاصة فيما يتعلق بتوزيع الملكية الصغيرة والمتوسطة للأراضى الزراعية من أجل زيادة المحاصيل والعمل على توفير مصادر الغذاء فى كافة أنحاء البلاد .

رابعاً . الأحكام المتعلقة بالنشاط التجارى :

١- نظمت النشاط التجارى بقواعد توافرت فيها كل سبل العدل والإنصاف - وذلك بعد أن نشطت التجارة إلى جانب الزراعة منذ بداية عهد حكم سلالة (شنغ) - .

٢ - كان نظام التعامل يتم بواسطة النقد الذى تغير شكله واحجامه مع تطور الحياة الإقتصادية - ففى عهد حكم سلالة (شنغ) فى الفترة مابين عام (١٥٢٣ - ١٠٢٨ ق.م) كان النقد عباره عن نوع من الأصداف ثم أصبح

بعد ذلك قطعاً عظمية ومع كثرة التعامل تطور إلى قطع من النحاس ، وكانت وحدة هذا النقد يطلق عليها لفظ (وان) وتزن ثلاث أوقيات – أما في عهد حكم سلالة (تشاو) بداية من القرن الحادى عشر قبل الميلاد تحول النقد إلى نظام السبائك ، وكانت كل سبيكة تزن عشر أوقيات أو أثنتى عشر أوقية ، وأطلق على الوحدة النقدية لفظ (الكين) وكانت تزن نصف أوقية – وإستمر نظام النقد يتطور مع تطور النشاط التجارى إلى أن أصبح بعد ذلك عبارة عن نقود تم سكها بصورة بدائية منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد .

خامساً : الأحكام المتعلقة بالنشاط الإقتصادى :

١- أهتمت بكافة الأمور المتعلقه بالنشاط الإقتصادى وخاصة فيما يتعلق بزيادة معدلات الإنتاج الزراعى وتطوير أساليب الصناعات المختلفة من أجل تدبير إحتياجات البلاد وتوفير الفائض منها لتصديره إلى الخارج للحصول على مايلزم إستيراده من البلدان والمجتمعات الأخرى.

٢ – فرضت نظاماً واحداً للكتابة والموازين والمكاييل والمقاييس من أجل وضع ضوابط متناسقة تساعد على زيادة الإنتاج ، وتدفع بصورة منتظمة دعائم حركة التطور الإقتصادى

٣ - حددت بشكل مناسب الضرائب المستحقة للدولة على أرباح الأفراد الناتجة من عمليات التملك وأمور المعاملات كالبيع والشراء والنشاط التجارى - وذلك من أجل دعم الخزينة العامة التى تستخدمها الدولة فى إدارة شئونها العامة وفى إعداد الجيوش وتجهيزها بالمعدات الحربية اللازمة وخاصة فيما يتعلق بوسائل الدفاع لصد وردع هجمات القبائل البربرية على أراضى البلاد .

سادساً . الأحكام المتعلقة بالعقوبات وبنظام القضاء .

١ - كانت معظم العقوبات المقررة فى حالة ارتكاب الجرائم العامة والخاصة تتسم بالقسوة والمغالاة - فعقوبة الموت كانت هى الواجبه التطبيق فى معظم الجرائم العامة مثل الخيانة العظمى والأضرار بمصالح البلاد أو بأموال الدولة ، وفى الجرائم الخاصة مثل القتل والحريق العمد - وعقوبات القطع للأيدى والأرجل كانت تطبق فى معظم الجرائم الخاصة مثل السرقة وقطع الطريق والسطو - كما كان يطبق مبدأ (القصاص) فى جرائم الإعتداء التى تمس حق الإنسان فى سلامة جسمه مثل الضرب والجرح والتى ينتج منها عاهة مستديمة وذلك فى حالة عدم موافقة المجنى عليه على قبول مبدأ التعويض.

٢ – طبقت عقوبات معينة على بعض الجرائم العامة والخاصة لم تطبق فى معظم المجتمعات القديمة مثل وشم وتشويه الوجه ، وجدع الأنف ، وقطع الأعضاء التناسلية .

٣ – فى عهد حكم سلالة (تشاو) الذى بدأ فى القرن السادس عشر – صدرت أحكام فى مجال تخفيف العقوبة – جعلت من حق الوزير المشرف على أمور القضاء الجزائى (الجنائى) أن يتدخل ويستبدل بعض العقوبات التى توقع على جسد المتهم بدفع تعويض معين – وذلك مثل عقوبة الإعدام فكان من حقه أن يتدخل ويوافق على إستبدالها بالتعويض إذا طلب المتهم ذلك وكان مستعد لدفع ماحدده القانون وهو مايعادل الف سبيكة نحاس من أجل إنقاذ حياته.

٤ – أما بالنسبة لأمور القضاء – فقد تم تنظيمة من أجل أن يحقق العدالة فى المنازعات المدينة والردع فى المسائل الجنائية ملتزماً بحرفية القانون ورغم أنه كان معين له مدير يطلق عليه مدير الشئون القضائية ويعتبر أكبر القضاه – إلا أنه كان يشرف على القضاء بالكامل لأهميته فى المجتمع الصينى أحد وزراء الملك ، وخاصة فى عهد حكم سلاله (تشاو) حيث كان من ضمن الوزراء الستة الذين كانوا يمثلوا جهاز الحكومة

ويعاونون الملك فى إدارة شئون البلاد (١) .

سابعاً الأحكام المتعلقة بنظم العلاقات الدولية :

- أكدت المصادر التاريخية أن الصين القديمه قد مارست العلاقات الدولية مع دول العالم القديم فى الشرق والغرب على أفضل النظم الإنسانيه فى كافة المجالات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية ، وأضافت من خلال ذلك نظم وقواعد ودبلوماسيه جديدة - حيث كانت تعترف بإستقلال وسيادة هذه الدول وترسل إليها بعثات دبلوماسية من أجل إنماء العلاقات السلمية معها - كما كانت لديها قواعد قانونية عن كيفية معاملة الأجانب المتواجدين على أراضيها وطريقة إستقبالهم والترحيب بهم وإكرامهم ومساعدتهم بإسلوب أفضل من معاملتهم فى أوطانهم

وتعتبر الصين أول من أرست القواعد القانونيه الدولية الخاصة بنزع السلاح والتى استقرت فى المجتمع الدولى بعد ذلك من أجل منع الحروب وتحقيق السلام الدائم بين الدول - حيث أبرمت فيها أول معاهدة دولية لنزع السلاح فى عام ٦٠٠ قبل الميلاد يطلق عليها (معاهدة يانجستى) -

أنظر فى ذلك :

1 - R. Grousset . La chine et san art, Op. Cit., PP. 43 - 77.
- D. Kahn, Scientists of Code Analysis , Op. Cit. PP. 145 - 164.
- J. Sion, L'Asie des moussons. Paris, 1929 . PP. 71 - 84.
- M. Granet . La Civilisation chinoise, Paris, 1929 . PP 41 - 77
- A. Ry Galoff. Vie de Confucius . Paris, 1946 , PP> 43 - 56.
- مؤلفنا التاريخ العام لنظم وقوانين الحضارة الصينية القديمه مرجع سابق ص ٣٠ - ٤٥

والظروف التى دعت إلى عقدها كما تدل الآثار القديمة – بأنه فى العهد الذى تفشى فيه النظام الإقطاعى وأدى إلى سقوط حكم سلالة (تشاو) وتقسيم الصين الى ممالك ، وأصبحت كل مملكة مستقلة تماما عن الأخرى (كما سبق أن وضحنا) حدثت منازعات حادة بين هذه الممالك على الحدود حيث كانت كل مملكه ترغب فى توسيع نطاق حدودها على حساب أقاليم الممالك الأخرى كبداية لتزعم السيادة الصينية – وإن هذا قد أدى إلى قيام حروب طاحنة بينهما استمرت سنوات طويلة وأشاعت فيها الفوضى والخراب والدمار – فقام دعاة السلام وأهل الحكمه فى الصين بالدعوة إلى وقف القتال ، وطالبوا بضرورة عقد مؤتمر يحضره كل رؤساء الممالك من أجل وضع نهاية لهذه الحروب المتكررة ، وبعد أن تم الإستجابه لهذه الدعوة أختير وادى (يانجستى) ليعقد فيه هذا المؤتمر .

– وترتيبا على ذلك انعقد المؤتمر فى الموعد المحدد له ، وقرر فيه وسطاء الصلح (دعاة السلام وأهل الحكمة) بأن أفضل وسيلة لمنع الحروب وتحقيق سلام دائم بين الأطراف هو أن ينزع من بينهم السلاح الذى يفتك بالأرواح ويلحق الدمار – وبعد إقتناع تم الإتفاق بين رؤساء الممالك على هذا المبدأ ووقعوا على المعاهده التى سميت (بمعاهدة وادى يانجستى لنزع السلاح) لتكون خير ضمان لعدم قيام حروب بينهم مرة أخرى – وبالفعل

حققت هذه المعاهدة سلاماً بين هذه الممالك استمر مائه عام ، حيث لجأت طبقاً لنصوصها كل مملكة إلى التفاوض والوساطة والتحكيم لحل أى نزاع يثور بينها وبين أى مملكه أخرى (١)

وبذلك فالصين القديمة كانت صاحبة حضارة من أرقى حضارات العالم القديم – ساهمت مع حضارات مصر الفرعونية ، وبلاد مابين النهرين ، والهند . فى تكوين الصورة المتكاملة لمجد الشرق وعلو مكانته فى العالم القديم .

أنظر فى ذلك :

– مؤلفنا عن العلاقات الدوليه فى العصور القديمه مرجع سابق . ص ٨١ – ٨٤.

- André Gades, Le desarmement devant ta societe des nations, Paris, 1929, PP. 2-4.
- CF.O.V.Bogdanov, Le desarmement à la lumiére due droit international Paris, 1958, PP. 95-99.

الباب الثالث

النظم القانونية للحضارات الغربية القديمة

تقديم

ظهرت في القارة الأوربية حول السهول الخصبة والطقس المعتدل في المناطق الساحلية لحوض البحر الأبيض المتوسط مجتمعات أنسانية تطورت في أمور الحياة حتى أصبحت خلال الفتره من سنه ١٣٠٠ - ٨٠٠ قبل الميلاد على هيئة مدن مستقلة ذات رقي وإزدهار في النواحي السياسية والإقتصادية والثقافيه والإجتماعية - ومع مرور الزمن تكونت من خلالها حضارة الإغريق ثم حضارة الرومان اللذان يعتبران من أعظم الحضارات الغربية التي ظهرت فى نهاية العصور القديمة

سنعرض الطابع الحضارى والنظم القانونية للإغريق والرومان ونكتفى بهذا حيث كانت باقى أجزاء القارة الأوروبية فى حالة غير مستقرة ، ولم تكن بها مجتمعات ذات سمة حضارية تذكر فى سجل تاريخ العالم القديم . وإنما كانت عبارة عن قبائل متفرقه من أجناس مختلفة أهمها

١- **قبائل الجرمان** ويرجع أصلهم التاريخى إلى القبائل التى تكونت على شواطىء بحر البلطيق بين نهرى الألب والأودر - حيث كونوا فى هذه

المنطقة مستعمرات بدائية عاشت على الصيد والرعى ، وفى عام ٢٠٠ قبل الميلاد تحركوا غرباً إلى أن وصلوا إلى حدود نهر الراين وعاشوا على الزراعة - وفى نفس الفترة زحفت قبائل جرمانية أخرى كانت متفرقه فى شبه الجزيرة الإسكندنافية وعبرت بحر البلطيق ، وتحركت فى السهول الخصبة بحثاً عن الرزق حتى وصولا إلى شمال البحر الأسود وعاشوا على الرعى والزراعة - وخلال منتصف القرن الأول الميلادى استوطنت هذه القبائل بصفه شبه مستقرة فى الجزء الأوروبى المحصور بين نهرى الراين والفستولا وبين نهر الدانوب وبحر الشمال والبلطيق وظهروا فى صورة جماعات شبه متحدة ثم توسعوا فى حدود هذه المنطقة واستولوا على أراضى منصبة بحد السيف من أجل الرزق وكانت طبائعهم دائما ميالة إلى القوة والعنف بصورة جعلت الحروب والسطو كأنها طعامهم وشرابهم - وكان الرومان يطلقون عليهم القبائل البربرية الا أنه نتيجة تغلغلهم استطاعوا فى عام ٤٧٦ م أن يسقطوا روما ويستولوا عليها بعد أن اشاعوا فيها الفوضى والفساد - وهذا قد أدى إلى زوال الإمبراطورية الرومانيه من صفحات التاريخ ودخول القارة الأوروبية فى بداية العصور الوسطى التى أشاعت فيها أمور الفوضى والفساد والصراعات الدموية

٢ - **قبائل القوط** . وهم الذين عبروا بحر البلطيق فى القرن الرابع قبل

الميلاد ومكثوا بصورة متفرقه فى بعض السهول وعاشوا على الرعى والزراعة البدائية - ثم تحركوا عام ١٥٠ ق . م صوب الجنوب الشرقى واستمروا متى بلغوا البحر الأسود ثم تفرقوا إلى فرعين فرع اتجه إلى جنوب روسيا وأطلق عليهم القوط الشرقيون ، والآخر اتجه إلى الغرب داخل القارة الأوروبية وأطلق عليهم القوط الغربيون ، وقد دأبوا على السطو ونشر الفساد فى مقدونيا وبلاد الإغريق ثم هددوا روما مرات عديدة من كثرة غزواتهم التى وصلت إلى الأندلس وشمال أفريقيا .

٣ - **قبائل الوندال** : وظهروا بصورة بدائية فى سهول جبال البرانس فى الفتره من عام ١٠٠ - ٥٠ ق م - ثم تحركوا وهبطوا إلى ارض أسبانيا حوالى عام ٤٠٨ م وأفسدوا الحياة فيها كما أشاعوا الفوضى من كثرة غزواتهم فى بعض المدن الرومانية ونهبوا مدن عديدة فى شمال أفريقيا .

٤- **قبائل الهون** : وأصلهم يرجع إلى قبائل بدوية ترحاله نحو الرزق وغير مستقرة فى إقليم معين وهم من العنصر المغولى وأنضم إليهم بعض أفراد القبابئل المهزومة - زحفوا من جنوب روسيا إلى أوروبا الوسطى حوالى عام ٢٠٠ قبل الميلاد و أشاعوا فيها الفوضى ولم تسلم من غاراتهم المفاجئة وهجماتهم الشرسة فى السلب والنهب أى مدنية فى أواسط أوروبا وحول حوض البحر الأبيض المتوسط - واستمروا على

هذه الحياة قرون عديدة بعد أن اتخذوا مركز قيادتهم فى هنغاريا - ولذلك كانت الشعوب الأوروبية (الإغريقيه والرومانية) تنظر إليهم نظرة الرعب والنفور والتقزز من خطورتهم حيث كانت لديهم سرعة فائقة فى الغزو والقتال وسلب خيرات البلاد .

وبذلك لم يشهد العالم الغربى فى العصور القديمة سوى حضارتى الإغريق والرومان - أما بقية أجزائه كان عبارة عن خليط من هذه القبائل التى هبطت من الشمال البارد المعتم وجفاف العيش إلى وديان المناطق المعتدله بحثاً عن الرزق بالسلب والنهب الذى أدى إلى قلب أوضاع المجتمع الأوربى الإغريقى والرومانى من الإستقرار إلى الفوضى والظلام التى سادت بعد ذلك طوال العصور الوسطى (١) .

---

(١) انظر مؤلفنا من العلاقات الدولية فى العصور القديمة طبعه ١٩٨٨ دار النهضة المصرية بالقاهرة ص ٨٧ ، ومؤلف أخر عن العلاقات الدولية فى العصور الوسطى طبعة ١٩٨٨ القاهرة ص ٢ ٣٠

الفصل الأول

النظم القانونية للحضارة الإغريقية

الفصل الأول

النظم القانونية للحضارة الإغريقية

تكونت فى اليونان القديمة مدن عديدة مثل أثينا وأسبارطة وبتراوبولونى ، ومع مرور الزمن تطورت هذه المدن وأصبحت خلال الألف الأخيرة قبل الميلاد ذات أهميه كبيرة فى النواحى السياسية والإقتصادية والإجتماعية حتى كونت جميعها حضارة الإغريق التى تعد من أعظم الحضارات القديمة .

المبحث الأول

التطور التاريخى للحضارة الإغريقية

كانت كل مدينة يونانية عبارة عن دولة صغيرة تسيطر سيطرة كاملة على جزء من إقليم الأمة اليونانية القديمة ، وتتمتع بحكم مستقل أمام المدن الأخرى ، ولديها حاكم يباشر سلطاته كاملة على أقليم مدينته وعلى الرعايا المقيمين فيه ، بإعتبارها وحدة سياسية مستقلة - ولذلك كانت كل مدينة عباره عن دولة ذات سياده يحيط بها سور كبير يحميها من الغزو الأجنبى مثل أثينا

وأسبارطه ، ولها حكومة مستقلة تباشر كل إختصاصاتها دون تدخل من جانب أى مدينة أخرى (١) .

- والشعب اليونانى المكون لهذه المدن هو مزيج من سكان البحر الأبيض المتوسط (كريتين ، أجانب ، ومهاجرين ، وغزاه ، وخاصة شعب الدوريين الذى هبط من المناطق الشمالية للقارة الأوروبية للفرار من الطقس القارس البرودة إلى الطقس المعتدل والسهول الخصبة فى بلاد اليونان ، بالإضافة إلى أجناس أخرى من آسيا الصغرى - ولذلك فتحديد طبيعة جنس شعب الإغريق مسألة كثيرة التعقيد حلها قد تعذر لدى الكثير من العلماء والباحثين(٢) .

- وقد ازدهرت فى تلك المدن اليونانية انظمة الحكم المختلفة كدليل على إستقلال كل مدينة عن الأخرى، كما حدثت بينهم فى فترات معينة خلافات وصراعات عديدة نتيجة لمحاولة كل مدينة بسط سيادتها وزعامتها على منطقة بلاد اليونان ، مثل ماكان يحدث بين أثينا وأسبارطة ، حيث كان يوجد خلاف شديد بين المجتمع الاثينى الديمقراطى الحكم ، وبين المجتمع الأسبرطى القائم على حكم الا لجركية (حكم الأقلية) ، وكان كل مجتمع منهما يحاول

---

(١) د. أحمد كمال ، د. كرم حبيب علم الإجتماع الحضرى - مرجع سابق - ص ٤٣ ومابعدها

(٢) جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص ٣١ .

تدعيم قوته بضم جيرانه اليه كحلفاء – وانقسم بالتالى العالم اليونانى الى قوتين متعادلتين ، إلا أن هوة الخلاف كانت تزداد إتساعاً بينهما يوما بعد يوم ، مما أدى إلى حدوث صدام وحروب طاحنة ومدمرة اهتزت فيها كل بلاد اليونان وهى ماتسمى بالحروب (البيلوبونيزية) (١) ، وكانت أثينا فى بداية هذه الحرب لديها اسطول عظيم حقق لها انتصارات عديدة ، ولكن تفشى الطاعون بين جنودها فتك بالكثيرين منهم فى الفترة من عام ٤٣٠ ق م إلى ٤٢٩ ق.م ، وكان السبب فى عدم إنتصارهم الساحق على الأسبارطيين فى الحرب التى إستمرت بينهم عشر سنوات (٤٣١ – ٤٢١ ق. م) وإنتهت بعقد معاهدة صلح سميث بمعاهدة نيكياس (عام ٤٢١ ق.م) – حيث تم الإتفاق فيها بين الطرفين على وقف القتال ، وعلى أن يستمر الصلح خمسين عاما بينهما – إلا أن هذا الصلح لم يستمر سوى خمس سنوات فقط لأنه كان صلحاً شائكاً لم يصف الكراهية الشديدة بين الطرفين ، وخاصة أسبارطة التى كانت أشد ولعا للقتال – فإندلعت الحرب مرة أخرى عام ٤١٥ ق. م وكانت أشد ضراوة ، وأنتهت بكارثة شاملة منى بها أسطول أثينا وجيشها فى معركة سرقسة (عام ٤١٣ ق.م) مما أدى إلى إستلامها وإذلالها من جانب إسبرطة (٢) .

---

(٢) أندريه إيمارد ، جانين أوبوايه – تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديمة – مرجع سابق ص ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٤٨.

(2) M. Croiset . La Civilisation de la Gréce antique, Paris, 1932 , P. 9 et s.

ويقول المؤرخ الإغريقي ثوكيد يدبس الاثيني بأن (الخصمين كانا مستعدين لخوض غمار هذه الحروب منذ أمد بعيد ، وأنها لن تكن في حقيقتها حربا أهلية تنشب داخل أمة من الأمم فحسب - بل جرت إليها أمماً أخرى - فلم ينتصر الاسبراطيون أخيراً في هذه المعارك إلا بمساعدة الفرس حيث عقدوا معهم تحالفاً ضد أثينا خلال فترة الحرب) (١) .

وبإنتهاء هذه الحروب ساد الهدوء بلاد اليونان ونعم شعب الإغريق بفترة سلام وترابط ، حتى قام الإسكندر الأكبر بعد تعيينه قائدا عاما للجيوش الإغريقية (عام ٣٥٦ ق.م) بتحقيق أحلامهم في تكوين إمبراطورية إغريقية من الغرب للشرق - فزحف وتحت قيادته ٣٥٠,٠٠٠ ألف جندي منهم ٥٠٠٠ فارس لغزو الشرق واخضع بعبقريته بلاداً كثيرة من بينها مصر عام (٣٣٢ ق.م) ، ثم بلاد الشرق الأخرى التي اخذت تتساقط امامه إلى أن وصل حدود الهند بقواته في عام ٣٢٧ قبل الميلاد - وبذلك رفع راية الإغريق على معظم الشعوب المتمدينة في آسيا وأفريقيا ، وكون إمبراطورية لاتغيب عنها الشمس في مدة لاتزيد عن سبع سنوات من بدء زحفه بالقوات الإغريقية (٢) .

- وتعد هذه الفترة من أعظم فترات الزمان للإغريق حيث تحقق لهم

---

(١) جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص ١٧٤.

(٢) جاك سوسيلر - الحضارة العربية - مرجع سابق - ص ١٨

الوحده والترابط وحققوا نصراً عظيماً فى تكوين إمبراطورية شاسعة إمتدت من أوروبا وشملت دولاً قديمة كانت أقدم وأكثر حضارة منهم فى أفريقيا وأقصى حدود آسيا - مثل مصر وبلاد مابين النهرين ، حيث سيطروا سيطرة كاملة على شعوب هذه الدول من منطلق السيادة الإغريقية التى تحققت لهم بعد هذه الإنتصارات العظيمة التى لم يكن حلمهم قد وصل إليها (١)

وكان نتيجة لتزعم الإغريق شعوب العالم القديم أن اعتبروا أنفسهم أصحاب الحضارة والتقدم والقوة التى لاتقهر وأصابهم الغرور بأن راياتهم التى ترفرف من الغرب إلى اقصى الشرق تؤكد بأنهم سادة الشعوب الأخرى التى أصبحت فى نظرهم برابرة - ولذلك سادهم التعصب العنصرى فى معاملة الشعوب الأخرى التى سيطروا عليها . مما أدى إلى إنحرافهم وظهور الشقاق بينهم جعل إمبراطوريتهم كأنها بنيت فوق الرمال ، حيث بدأ التصدع والإنقسام يظهر فى وحدتهم بعد وفاة الإسكندر الأكبر (قائد زحفهم) فى مدينة بابل عام ٣٢٣ ق.م - أى بعد أربع سنوات من إتمام سيطرتهم على شعوب العالم القديم وتكوين إمبراطوريتهم - حيث ظهر نزاع شديد بين قواد الإسكندر الأكبر عقب وفاته مباشرة هدم كيان الإمبراطورية الإغريقية

---

(١) د. محمد حسين هيكل تراجم مصرية وغربية طبعة ١٩٨٠ دار المعارف بالقاهره ص ١٢

وأنتهى بعقد إتفاقية فى مدينة بابل فى نفس العام الذى توفى فيه الأسكندر قسمت فيها الإمبراطورية بين هؤلاء القواد وكانت مصر طبقاً لنصوصها من نصيب بطليموس بن لاجوس الذى استقل بها فى نفس العام (٣٢٣ ق.م) وأسس فيها دولة البطالمه التى استمرت حتى حكم الملكه كليوباترا - حيث انهزمت أمام الزحف الرومانى على مصر فى معركة أكتيوم عام (٣٠ ق.م) وزال بالتالى حكم البطالمه نتيجة إحتلال الرومان مصر فى ذلك العام (١) .

وبعد تقسيم الإمبراطورية - ضاع أكبر حلم كان يحلم به الإسكندر الأكبر أثناء زحفه - حيث كان أعظم ما يتمناه هو تحقيق إندماج كامل بين الإغريق والشعوب الشرقية من خلال إمبراطورية لايغيب عنها الشمس يعتلى عرشها بالفخر والعظمة - ولكن عاجله الموت وفشل حلفائه فى سياسة جمع الشعوب وتحقيق هذا الإندماج مما أدى إلى إنحصار الإمبراطورية الإغريقية سياسيا داخل نطاق بلاد اليونان - ثم إنتهت تماما بعد أقل من ثلاثة قرون على يد الرومان الذين احتلوا كل البلاد اليونانية فى عام ١٤٦ ق.م ، وزحفوا على دول الشرق واستولوا عليها وظهرت فى العالم الإمبراطورية الرومانية(٢) .

---

(١) أندريه إيمارد ، جانين أوبوايه - تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمه . مرجع سابق ص ٣٢٠

(٢) جاك س . ريسلر - الحضارة العربية - مرجع سابق - ص ٤٤ .

- هذا هو السجل التاريخى لحضارة الإغريق من حيث بدأت بمدن مستقلة ثم إتحدت وكونت إمبراطورية عظمى احتلت وسيطرت على الشعوب المتمدينة فى أفريقيا وأسيا ، وأمتدت من الغرب إلى اقصى الشرق - إلا أنها إنهارت وتحطمت لأسباب عديده أهمها (كما سبق وأن وضحنا) النزعة العنصرية الإستبدادية التى دبت فى نفوس زعمائها حيث اعتقدوا بأنهم ساده لجميع شعوب العالم - وبأن الشعوب الأخرى برابرة لا يسمون إلى مرتبة الشعب الإغريقى فى الصفات الإنسانية الكاملة - ولذلك فالسبب الرئيسى لإنهيار الإمبراطورية الأغريقية هو إنهيار الأخلاق (١) ، لأن الغرور جرهم إلى الهاوية ليتاكد قول الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو (أن العامل الأكبر لبقاء الدولة هو الأخلاق - فإذا فقدتها الدولة فقدت فضيلتها ، وأتاها الدمار والخراب أن عاجلا وأن آجلاً) (٢) .

المبحث الثانى

الطابع الحضارى لبلاد الإغريق

لقد أعطت الحضارة الإغريقية الكثير من المبادىء المستلهمة من أفكار الفلاسفة الذين عايشوا فترة ازدهارها مثل سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ،

(١) د محمد رأفت عثمان الحقوق والواجبات والعلاقات الدوليه فى الإسلام - طبعه ١٩٧٢ مطبعة السعادة ص ٢٦.

(٢) د حسن شحاته سعفان - مونتسكيو دار النهضه العربية غير محدد سنه الطبع - ص ١١١

وديوجين ، وغيرهم ، والتى شعت بنورها على الحضارات التى تلتها كمبادىء ساطعة فى العدالة والأخلاق – ولذلك فإذا كانت الإمبراطورية الإغريقية قد أنهدمت أركانها وأصبحت فى سجل تاريخ الماضى – إلا أن روحها والمبادىء التى سطعت منها مازالت تذكر الأجيال وتغذيهم بمثل العالم القديم – حيث كانت حضارة إنسانية ساهمت فى خدمة البشرية فى كافة الأنشطة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية والفلسفية ، وأعطت مبادىء قانونية عديدة أهتدت اليها الشعوب من أجل تحقيق الخير والعدالة (١).

١– فى مجال الفلسفة :

فالإغريق هم أول من بلوروا موضوعياً الفلسفة بأنها تعنى حسب المعرفة – لأن المعنى الدقيق لها كلمة (فيلوسوفيا) وأشتقت منها كلمة (فلسفة) لتعنى معرفة العالم والأنسان ، ولذلك كانت تدرس عندهم من أجل معرفة الحقيقة وتأصيل الحقوق ومبادىء الديمقراطية ، مع تحليل الكوارث والحروب وكل ما يحدث من صراعات بين عوامل الخير والشر – مثل هرقليطس الذى يعد من أعظم فلاسفة اليونان حيث كان يعلم الناس أسرار الطبيعة لمعرفة أسس الحياة الإنسانية (٢) – كما يرجع الفضل فى وضع الخطوط الأولى

---

١ د. هنرى توماس – أعلام الفلاسفة – مرجع سابق – ص ٦٧

(2) M. Crofset, La Civilisation de La Gréce antique, Op Cit, PP 13 18

للجدل الى فلاسفة الإغريق لأن كلمة ديا لكتيك (جدل) تأتى مباشرة من الكلمة اليونانية (ديالجين) وتعنى التعبير عن صراع الأفكار المتضادة وعلى هذا الأساس صاغ هيجل الفيلسوف الألمانى منهجه الجدلى ، مستنداً على فسلفة الإغريق وما أسسوه من مبادىء فى علم الجدل (١) .

ومعظم فلاسفة اليونان كانوا يرون أن الجنس البشرى أسره واحدة يرتبط أعضاؤها برباط الاخوة سعيا نحو تحقيق السلام والعدل - كما أكدوا المبدأ الذى يقرر بأن الإنسان لابد أن يعيش فى انسجام داخل المجتمع ، وأن تصان حقوقه الناشئة من القانون الطبيعى - مثل فلاسفة المدرسة الرواقية التى ظهرت فى القرن الثالث قبل الميلاد ونادت بخضوع الإنسان لقانون الطبيعه ونتج منها المبدأ القائل بعدم التدخل فى شئون الفرد والمساواه بين سائر الطبقات والغاء الرق . والتحرر من العبودية ، وأن تكون الدولة عادلة فى تطبيق القانون وأن تخضع مع الفرد لقانون الطبيعة (٢) .

٢ - فى مجال العلوم الإنسانية :

برع علماء الإغريق فى العلوم الإنسانية المختلفة - فهم أول ما أعطوا تفسيراً كاملاً للظواهر الطبيعية مثل البراكين والزلازل - ودرسوا علم الفلك

(١) جورج بوليتزير ، جى بيسى ، موريس كافينج . المبادىء الأساسية للفسلفا . ترجمة إسماعيل المهدوى طبعه ١٩٥٧ القاهره ص ١٤ . ص ٣٤

(٢) د صوفى أبو طالب - مبادىء تاريخ القانون - مرجع سابق ص ٣٥

والطب واللغة والبيان والرياضيات ، وجاءوا بنظريات جديدة أفادت البشرية - فقد أشاروا إلى فكره التطور مثل (اكسيمندريس) الذى قال (أن الإنسان منحدر من حيوانات مائية مختلفة عنه بالنوع) وبالتالى لم يكن (دارون) هو صاحب فكرة التطور التى يزعم فيها بأن الإنسان منحدر من سلاله حيوانية لأن علماء الإغريق قد عرفوا هذه النظرية من قبله (١) .

لقد كانت أثينا وهى إحدى المدن الإغريقيه الهامة فذة فى الأدب والفلسفة وكافة العلوم المختلفة ، ولم تستطع أى مدينة فى العالم أن تنافسها فى وقت إزدهارها ، حيث جذبت إلى مدارسها ومعاهدها العلمية عددا كبيراً من الشباب وطالبى العلم والمعرفة ، وكانت جامعتها تضم عشرة كراسى للأساتذة فضلا على المحاضرين والمدرسين ، وكانت تلقى فيها دروس فى الأدب واللغة والفلسفه وعلوم الرياضة والهندسة والطب والتشريح وعلم الفلك (٢) .

٣ - فى مجال العقيدة الدينية :

أهتم حكماء الإغريق بالعقيدة الدينية وقاموا بدراسة فيما وراء الطبيعة (ميتا فيزيقا) - وأصل كلمة ميتا فيزيقا يونانية - وهى عبارة عن مقطعين

(١) أندريه إيمارد ، جانين أو بوايه تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمه . مرجع سابق . ص ٣٧٨.

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة - قيصر والمسيح - ترجمة محمد بدران طبعه ١٩٦١ القاهره ص ٧٧

(ميتا) وترجمتها (ماوراء) - وفيزيقا وتعني (علم الطبيعة) - وكان المقصود من موضوع الميتافيزيقا عندهم وخاصة من جانب ارسطو هو دراسة الوجود الذى يوجد وراء الطبيعة على أنه يعتبر وجوداً أبدياً لايتغير ، بينما الطبيعة حركة تتغير من حين لآخر (١) .

وفى البداية كان الماديون منهم يعتبرون هذا الوجود خيالياً ، ولكن عندما عجزوا عن الوصول إلى تفسير الحركة والظواهر الطبيعية قرروا بأنه من الضرورى افتراض أن هناك مبدأ أبدياً بعيد عن الخيال وراء هذه الطبيعة المتحركة ، وقال الفيلسوف الإغريقى اكسانوفان عن هذا الوجود الأبدى أن (الناس هم الذين يضيفون للإله أوصافا من أوصافهم وفى الحقيقة لا يوجد إلا إله واحد خالق) .. وقال سقراط أن (الدين تكريم الضمير النقى للعداله الالـهية لا تقديم القرابين وتلاوة الصلوات مع تلطيخ النفس بالإثم) (٢)... وبالتالى كان لدى بعضهم الإعتقاد بوجود إله واحد خالق هذا الكون والبشر ، ولكن جمد تفكيرهم عن الوصول النهائى للحقيقة نحو الخالق الأعظم وهو الله سبحانه وتعالى ، فأطلقوا على الوجود الأبدى أسماء عديده كان أكثرها إستخداماً كلمة (المطلق)

---

(١) أندريه إيمارد ، جانين أوبوايه - تاريخ الحضارات العامة - الشرق واليونان القديمه - مرجع سابق ص ٣٨٤

(٢) د محمد عبد المنعم القيعى عقيدة المسلمين - طبعه ١٩٨٦ القاهره ص ٨٨

المبحث الثالث

أهم النظم القانونية لحضارة الإغريق

كان من نتيجة تمسك الإغريق بالعقيدة الدينية – ان ارتبط القانون بالدين حيث اعتقدوا بأن الاله الأعظم زيوس (Zeus) له بنتان أحداهما اله للعدالة الدينية (تيميس Themis) والثانية اله العدالة الوضعية (ديكى Dike) – وبذلك سيطرت فكرة العدالة على حياة الإغريق لارتباطها بالدين ، وأصبح القانون عندهم فى بداية الأمر عبارة عن أحكام الهية ، وكانوا يطلقون عليه أسم themistes نسبة إلى الة العدالة (themis)، واستمر هذا الإعتقاد لديهم الى أن قام بعض الفلاسفة والفقهاء اليونانيين بتطوير فكرة القانون ونظروا اليه بإعتباره من قواعد القانون الطبيعى كمحاولة لفصل القواعد القانونية عن الدين – وبدأ بعد ذلك لفظ القانون Nomos يظهر بصفة مجردة فى كتاباتهم ، وإتضحت معالم الإنفصال على يد المشرعين أمثال دراكون وصولون الذين قاموا بتدوين القانون الإغريقى – ولكن حتى بعد تدوين القانون فإن الطابع الدينى لم يختفى تماماً بل كان إلى حد ما ملموساً فى روح القواعد القانونية مما يشير إلى أن الإغريق مهما حاولوا من تطوير القانون وإنفصاله عن الدين فإنهم لم يبتعدوا عن الروح الإلهيه التى كانت تسيطر عليهم فى معظم أمور حياتهم – وهذا فى

حد ذاته قد جعل من حضارة الإغريق تضيف العديد من القواعد القانونية التى تنبع منها روح العدالة - نتيجة ارتكازها على المفاهيم العامة للقواعد الدينية والقيم والمبادىء العامة الأخلاقية وخاصة فى تنظيم شئون المجتمع وعلاقة الفرد بالدولة [1] وتاكيد لذلك سوف نعرض موجز عن مضمون أحكام مدونتا دراكون وصولون لكى نستخلص بعض الوقائع من طبيعة النظم القانونية فى بلاد الإغريق .

أولاً : مدونة دراكون Code de Dracon

بعد أن انتقلت بلاد اليونان إلى مرحلة القواعد العرفية وأخذت تعتمد عليها فى تنظيم سلوك الأفراد وكل مايتعلق بأمور المجتمع - فإنه نتيجة لإحتكار الأشراف لعلم القانون من أجل تحقيق مصالحهم الطائفية - قد ثارت طبقة العامة بعد زوال النظام الملكى وطالبت بضرورة تدوين القواعد العرفية من أجل أن تكون معلومة للجميع وليس حكراً لطائفة معينة - وأمام هذه الامور المستجدة إستجابت السلطة لهذا المطلب وقامت بإختيار لجنة من ستة أشخاص لجمع القواعد العرفية وتدوينها ، إلا أن هذه اللجنة لم تتمكن من إتمام عملها وفشلت بسبب التدخل المتزايد من طبقة الأشراف - ونتيجة

---

(١) د طعيمة الجرف - مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدوله القانون طبعه ١٩٦٢ القاهره ص ١٦
- د. صوفى أبو طالب مبادىء تاريخ القانون مرجع سابق ص ٢١٥.

ضغط العامة وإرتفاع حدة ثورتهم أسند أمر التدوين إلى دراكون حاكم أثينا فقام بإصدار مدونه بأسمه حوالى عام (٦٢١ ق.م) وطبقت فيها معظم الأحكام العرفية التى كانت سائدة [١] - وحيث كان دراكون ينتمى إلى طبقة الأشراف فقد عبرت مدونته عن مصالح هذه الطبقة وأجحفت بحقوق طبقة العامة[٢].

الطابع المميز لأهم الأحكام :

تميزت أحكام مدونه د راكون بأمور عديدة أهمها مايلى .

١- لم تخفف من وطأة القواعد العرفية التى كانت العامة تشكو من قسوتها وأجحافها بحقوقهم - حيث اكتفى فقط بتدوين ماكان سائداً فبقى للأشراف كافة الحقوق والإمتيازات كما استمروا فى تفسير القانون بما يؤمن مصالحهم - وبالتالى لم تحقق هذه المدونه أى أمل لطبقة العامة وظلت القواعد لعرفيه بعد تدوينها تحمل طابعها القديم فى عدم تحقيق المساواه - ولذلك صبح اسم القانون الدراكونى (Loi draconienne) صفة فى اللغات لأوروبية تطلق على القوانين ذات الطابع الصارم بالظلم والتعنت الاستبدادى.

- قضت على فكرة الإنتقام والثأر وأنهت تماماً حالة القضاء الخاص وأحلت

---

١) فوستيل دى كولانج - المدينه العتيقة - مرجع سابق ص - ٤٢٤

٢) د. صوفى أبو طالب - مبادىء تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ١٤٧

بدلاً منها القانون حيث نظمت السلطة القضائية وأنشأت محكمتين أعضاؤها من طبقة الأشراف - وجَعلت **المحكمة الأولى** تختص بنظر الجرائم الخطيرة كالقتل والحريق العمد والتى يتقرر فيها عقوبة الإعـــدام - **والمحكمة الثانية** تختص بنظر الجرائم الأقل خطورة وتطبق عليها العقوبات المناسبة لها على ضوء أحكام القانون (١) .

٣ - تأثرت بالقواعد الدينية وإختلطت بها - لدرجة أن أول فقرة فيها كانت تنص تأكيداً لذلك على ضرورة تمجيد جميع الألهة والأبطال ، وتقديم القرابين إليها كل عام دون الخروج على الشعائر التى اتبعها الأسلاف .

٤ - أقرت نظام الطبقات الذى عرفته أثينا من قبل - فكانت توجد **طبقة الأشراف (النبلاء)** أصحاب الثروة والنفوذ والسلطه ، **على القمة ويليها طبقة وسطى** من الزراع والتجار وأصحاب المهن **ثم طبقة صغار الملاك والعمال وأخيراً طبقة العبيد** - ولذلك ظلت طبقة الأشراف تتمتع بكافة الحقوق السياسية وبقيت طبقة العامة محرومة منها كما كان سائداً قبل ظهور هذه المدونة .

٥ - اتسمت أحكامها بالشده والقسوة - فكانت عقوبة الإعدام مقررة لاتفه الجرائم - ولذلك أطلق على هذه المدونه بأنها كتبت بالدم وليس بالحبر -

(١) د. عبد السلام الترمانين - محاضرات ف بتاريخ القانون - مرجع سابق ص ٦٧ ، ٦٨

وقال ارسطو عنها بأنها قانون ليس فيه شيء خاص ولا خالد إلا القسوة المتناهية وتغليظ العقوبات) (١) .

٦ - أحدثت تطوراً فى بعض النظم الإجتماعية والسياسية - حيث صدرت بعد زوال النظام الملكى وبناء على مطالب عامة الشعب التى أقرت بها رغم المعارضة الشديدة من جانب طبقة الأشراف (٢).

ثانيا : مدونة صولون :

أعترضت طبقة العامة على قانون دراكون لأنه لم يحقق أمالهم فى المساواة والعدالة كما اتسمت قواعده بالقسوة والظلم والإستبداد - وطالبت بضرورة الغاءه وإصدار قانون أخر تتصف قواعده بالعدالة والمساواة - وأمام سخطهم المستمر الذى أخذ ينذر بالثورة على السلطه وعلى طبقة الأشراف - قام صولون الذى تولى الحكم فى عام (٥٩٤ ق.م) أى بعد عشرين سنه من حكم (دراكون) بإصدار مدونة قانونية أصلح فيها ماكان فاسدا وأزال حدة الظلم والقسوة والإستبداد التى اتسمت بها مدونه دراكون - وقد كتب نصوص هذه المدونة على ألواح من الخشب تم وضعها فى الساحة العامة لكى يطلع عليها كافة الناس وأصبحت تعرف بقوانين صولون - وأطلق الشعب الاثنى

(١) د. عادل بسيونى - التاريخ العام للنظم والشرائع - مرجع سابق ص ٦٤
(٢) أندريه إيمارد ، جانين أوبوايه - تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمه مرجع سابق ص ٢٩٢

على صولون بعد أن أصدر هذه المدونه وقام بالإصلاحات العديدة لقب (صولون الحكيم)[1] .

- أهم أحكامها .

تضمنت هذه المدونة أحكام عديدة من أجل تحقيق بعض الإصلاحات في الأمور السياسية والإجتماعية والإقتصادية منها مايلي :

١- في مجال السياسة :

أ - أقرت بمساواة جميع أفراد الشعب (عدا طبقة العبيد) في الحقوق السياسية - واستطاعت طبقة العامة من خلال ذلك أن تشترك في السلطة وأن تتولى مناصب الدولة ، وأن تعين في الوظائف الهامة - كما أصبح من حق أفرادها أيضاً الإشتراك في السلطة التشريعية عن طريق قبول عضويتهم في مجلس الشعب .

ب - قضت على نفوذ طبقة الأشراف في الأمور السياسية ، وأكدت المفاهيم الديمقراطية لكي يشارك الشعب بجميع فئاته في تسيير دفة أمور البلاد .

جـ - أعادت إلى البلاد كل شخص نفى بسبب إتهامه في جرائم

(١) أندريه إيمارد ، جانين أوبوايه - تاريخ الحضارات العام - الشرق واليونان القديمه المرجع السابق - ص ٣٣٧ ، ٣٣٩

سياسية إذا لم تكن هذه الجرائم من قبيل المحاولات الخاصة بقلب نظام الحكم ومحاولة إغتصاب السلطه فى البلاد (١)

١ - فى مجال الأمور الإجتماعية .

أ - جاءت أحكام هذه المدونة متميزة بالطابع الدينوى وبعيدة إلى حد ما عن الطابع الدينى - أى عكس ما جاءت عليه أحكام دراكون .

ب - حققت المساواة التامة فى الحقوق بين طبقات الشعب وأصبحت القوانين واحدة للجميع - إلا أنها حرمت الإرقاء من الحقوق السياسية مثل سائر قوانين مجتمعات العالم القديم (٢)

جـ - وبالنسبه لنظام الإرث - ألغت القاعدة القديمة التى كانت تحصر حق الإرث فى الأبن الأكبر وأحلت محلها قاعدة أخرى تقضى بتقسيم التركة بين الأبناء الذكور - وإذا لم يكن للمتوفى أبناء ذكور تؤل التركه لأقرب العصبات بشرط أن يتزوج من بنت المتوفى وهذا هو نص نظام الإرث فى مدونه صولون [يقسم الأخوة الإرث إذ مات والد ولم يترك وإرثا من صلبه غير ابنته يرثه

---

(١) د. عبد السلام التومانى محاضرات فى تاريخ القانون - مرجع سابق ص ٧

(٢) - عادل بسيونى التاريخ العام لنظم الشرائع - مرجع سابق - ص ٦٤ ، ١٥

أقرب العصبة ويتزوج البنت ، وإذا لم يترك ولدا يرثه أخوه لا أخته : وأخوه الشقيق أو من الصلب وليس أخوه من الرحم . وعند إنعدام الإخوة أو أبناء الأخوة ينتقل الإث الى الأخت ، وإذا لم يوجد أبناء عم (أى أقارب من العصبة) يتحول الإرث إلى أبناء الأخوال).

د - أجازت للشخص أن يوصى بماله فى حالة إذا لم يكن له أولاد .

س - خففت من السلطة الأبوية - فحرمت على الأب أن يبيع بنته الا إذا إرتكبت فاحشة - كما سمح للإبن بأن يتخلص من سلطه أبيه عندما يبلغ سناً معيناً - وأن يتملك وتكون له ذمة مالية مستقله فى حياة أبيه (١).

ص - أضافت بعض عقوبات كانت أخف من العقوبات التى جاءت فى مدونة دراكون - كما أجازت لكل مواطن أن يقاضى أى شخص يرتكب جرماً

هـ - ألغت نظام الرق بسبب المديونية . أى حرمت الإكراه البدنى أو التنفيذ على جسم المدين ، وجعلت فقط المسئولية مقصورة على

(١) د. صوفى أبو طالب مبادئ تاريخ القانون - المرجع السابق ص ١٤٩ ١٥

الذمة المالية - ويقول بعض المؤرخين وعلى الأخص المؤرخ الإريقى ديودور الصقلى بأن صولون قد أخذ هذا المبدأ من مجموعة قوانين الملك بوكخوريس فى مصر الفرعونية (١)

٥. مجال الأمور الإقتصادية :

أ - حددت بوضوح سعر الفائدة وحرمت الربا الفاحش

ب - الغت جميع الديون القديمة التى كانت مستحقة للدولة وطبقة الأشراف وأهلكت قوى المزارعين - وترتب على إلغائها تحرير الأراضي الزراعية التى كانت مرهونة نظير هذه الديون وإعادتها إلى أصحابها من فقراء الزارعين - وعندما إعترض الأشراف على هذا الأمر وإعتبروه مصادره لأموالهم - بادر صولون ليكون قدوة لهم بتحرير الأراضى التى كان مرهونه لديه نظير ماعليها من ديون واعداها لأصحابها دون مقابل.

جـ - ساعدت على نمو طبقة صغار الملاك فى القرى وحسنت أحوال الطبقة المتوسطة فى المدن مما أدى إلي تطوير وسائل الإنتاج وإزدهار الحالة الإقتصادية .

(١) د. عادل بسيونى - التاريخ العام للنظم والشرائع - مرجع سابق ص ٦٦

- وقد طبق قانون صولون على جميع السكان الأحرار بلا تميز بينهم - فتساوى الأغنياء والفقراء أمام القانون - وبعد أن إعتزل صولون الحكم فى عام ٥٧٢ ق.م أستمر هذا القانون نافذا مدة خمس قرون من بعده (١)

- وبهذا فالحضارة الإغريقية كانت حضارة إنسانية أضائت الطريق والمعالم فى كافة العلوم والنظم القانونية للشعوب الأوروبية التى كانت خلال هذا العصر فى حاله من الهمجية وعدم الاستقرار - وإذا كانت الحضارة الإغريقية قد قامت على أكتاف الحضارات الأخرى فى الشرق - إلا إن تقدمها ورقيها فى جميع العلوم الإنسانية وفلسفة الفكر النافع قد بلور دورها وجعلها من أعظم حضارات العالم القديم (٢)

---

(١) عبد السلام الترمانينى محاضرات فى تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ٧٠ ٧١

(٢) محمد حسين هيكل تراجم مصرية وغربية - مرجع سابق ص ١٢

الفصل الثانى

النظم القانونية للحضارة الرومانية

الفصل الثانى

النظم القانونية للحضارة

الرومانية

ظهرت الحضارة الرومانية وبدأت تتطور منذ انشاء مدينة روما عام ٧٥٤ قبل الميلاد ، وتألقت وامتدت سيطرتها على معظم شعوب العالم القديم فى الغرب والشرق على مدى ثمان قرون حتى نخرها الانحلال والفوضى وانتهت في الغرب على يد قبائل الجرمان فى عام ٤٧٦ ميلادية -

المبحث الاول

التطور التاريخى للحضارة الرومانية

انشاء مدينة روما لة روايتان ، احداهما تقليدية قديمة ، والاخرى حديثة . والرواية التقليدية الواردة عن المؤرخين القدماء تشير بأن روما تأسست فى ٢١ ابريل عام ٧٥٤ ق. م على الضفة اليسرى لنهر التيبر tibre بواسطة شقيقين توأمين الاول يدعى رموالوس romulus والثانى ريموس remus وأن أباهما الالة مارس mars الة الحرب ، وأمهما رياسلفيا resylvia حاملة الشعلة المقدسة ابنة الملك نوميطور Numitor

ملك مدينة ألبا alba البيضاء المجاورة لروما وهو من سلالة البطل أنيوس Enees طريد مدينة طروادة Troie الذى نزح الى أرض لاتيوم Latium بعد الغزو اليونانى لهذة المدينة .

ويروى المؤرخين القدماء أن رموالوس قد أحاط منطقة المدينة الجديدة بخطوط ليقيم عليها أسوارها المقدسة ، وعندما قام شقيقة ريموس بعبور هذه الخطوط بطريقة تعبر عن الاستهتار الاستهزاء به قتلة لكى يكون عبرة لمن يحاول الاعتداء على هذة المدينة ، وبعد ذلك قام ببنائها ، فأنشأ فى أول الامر ملجأ للنزلاء وللارقاء والفارين من الاسر والمدينين المعسرين عند منطقة الكابيتول Capitole وهى احدى روابى روما السبع ، حتى أصبحت المدينة عامرة بالرجال فقط ، ثم سرعان ما قاموا بخطف فتيات من قبيلة السابين Sapins التى كانت تقيم فى رابية بلاتينو Palatim المجاورة لرابية الكابيتول الامر الذى أدى الى حدوث قتال شديد بين السابين ورجال رموالوس ، الا أن المعركة توقفت بينهما بعد أن تدخلت النساء فى القتال بجانب رجال رموالوس ضد اقاربهن من السابيين - فانتهت الحرب وعقد أهل روما والسابين تحالفا أصبحت به الرابيتان تحت حكم رموالوس وتيتوس تاتيوس Titues Tatius حاكم السابيين ، وبفضل هذا الحكم الثنائى توطدت

العلاقات واستقرت الامور[1] وفى خلال ٢٤٥ سنة بعد تاسيس روما حكمها سبعة ملوك أولهم رموالوس الذى وضع حدود واسس المدينة ونظامها السياسى ، ثم جاء من بعدة نوما بومباليوس Numa pomplius الذى نظم شئونها الدينية وهيئات الحرفيين - ثم توليوس الفاتح Tollius Aostilius الذى ضم مدينة البا الى روما ، وأنكوس مارتين Ancus Martius الذى شيد مدينة أوستيا Ostia ، وطار كوين الاول Tarqin الذى أدخل نظم اوترووريا Etfurie ومن بعد سرفيوس توليوس Servius Talluis الذى أصلح دستور المدينة ، ثم طار كوين الثانى الذى ثار علية شعب روما وقتلة لتعسفة واستبدادة فى عام ٥٠٩ ق.م أى بعد ٢٤٥ عاما من انشاء روما - وحل بعد ذلك نظام حكم جمهورى ارستقراطى النزعة بدلا من النظام الملكى السابق .. وهذة هى الرواية التى اوردها المؤرخون القدماء[2]

أما الرواية الحديثة التى استخلصت من الكشوف الاثرية التى توصل اليها الباحثون وسجلت حديثا تشير بأن روما قد تكونت سياسيا من خلال ما قامت بة مدينة (البا) بانشاء مستعمرة على رابية بلاتينو فى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد لمراقبة تحركات اعدائها ، ثم قامت بانشاء مستعمرات

(١) د عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى ، الطبعة الخامسة ١٩٦٥/١٩٦٦ القاهره دار المعارف ص ٢٤

(٢) أندريه إيمارد ، جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، روما وإمبراطوريتها ، الجزء الثانى ترجمة يوسف داغر وفريد داغر منشورات عويدات بيروت ، لبنان ١٩٦٤ ، ص ٩٩ ومابعدها

مماثلة على الروابى الاخرى ، وأن هذة المستعمرات تكونت فيها بما هو شبية بالقرى ، وبعد فترة من الزمن اتحدت هذة المستعمرات (القرى) وكونت فيما بينها اتحادا عرف باسم اتحاد الروابى السبع Seplimantium وفي عهد الملك طاركوين الاول تحول هذا الاتحاد الى مدينة كاملة أطلق عليها اسم روما ، وكان ذلك عام ٦٥٠ ق.م – ثم أحيطت بالاسوار وأصبحت مركزا تجاريا هاما في اقليم منطقة لاتيوم ، ومع مرور الزمن اصبحت لها الصدارة على المدن الاخرى المجاورة لها .. وهذه الرواية الحديثة يسلم بها الشراح فى العصر الحديث ، وان كانت لا تغاير الرواية القديمة التى رواها المؤرخون القدماء مثل بلوتراك Plularque الابالنسبة لما ورد من أساطير ولا سيما فيما يتعلق بانشاء المدينة على يد أخوين من سلالة الالة . (١)

وبذلك فقد نشأت مدينة روما على يد ملوك قاموا بتأسيسها ثم طرد آخرهم (الملك طاركوين الثانى) حيث ثار علية الشعب وقتلة ، ليس بسبب ظلمة واستبدادة فقط بل لانة كان هو والملوك السابقون أجانب من اقليم الاتروسك حكموا الرومان مدة ١٥٠ عاما – وبعد ثورة الشعب الغى الحكم الملكى ، وتأسس النظام الجمهورى عام ٥٠٩ ق.م – ومنذ ذلك التاريخ ظهرت روما بمظهر القوة والمجد بين مدن اقليم لاتيوم وأخذت تمارس العلاقات

(١) – د. عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى ، مرجع سابق ص ٢٥ ومابعدها
– الدكتور عبد المنعم البرلوى ، تاريخ القانون الرومانى طبعة ١٩٤٩ القاهرة ص ١٣ ومابعدها
T H Mommsen, Histoire Romaine, Paris, 1924, U.N. University, pp 17-21

المختلفة مع مدن وشعوب البحر الابيض المتوسط من منطلق انها مدينة مستقلة ذات سيادة لا تخضع لسلطان أو نفوذ مدينة أو دولة أخرى [1] الا أنة فى عام ٣٩٠ قبل الميلاد أغارت عليها قبائل الغال وحرقتها ودمرتها بالكامل ، وكانت هذة أول كارثة تلحق بروما بعد انشائها ، وكان يمكن أن تزيلها من التاريخ ، الاأنها استطاعت ان تجمع قواها بسواعد قوية وبعزيمة واصرار من شعبها ، وتظهر مرة أخرى كمدينة أقوى عما كانت علية من قبل حتى لا تتعرض مرة أخرى لكارثة مماثلة .

وعندما تولد لديها الاحساس بأنها أقوى مدن المنطقة اشتد نفوذها وبدأت تمارس التوسع والفتوحات بالقوة – فبسطت سلطانها على جميع المدن الواقعة فى إقليم لاتيوم ، واخضعتها لحكمها ، ثم قامت بفتح شبه جزيرة ايطاليا واستولت عليها بالكامل عام ٣٥٠ ق.م أى بعد أربعين عاماً من اغارة قبائل الغال عليها ، وأصبحت بعد ذلك دولة قوية تتكون من عدة مدن تباشر سيادتها عليها بدون منازع . [2]

وفى خلال الفترة التى ظهر فيها اضمحلال الإمبراطورية الإغريقية ظهر الحلم الأكبر لروما ، وهو التوسع والامتداد لتكوين امبراطورية تحمل علمها من الغرب إلى اقصى الشرق – فزحفت على حوض البحر الابيض

(١) د حسن شحاته سعفان ، مونتسكيو ، مرجع سابق ، ص ١٠٩

(2) T H. Mommsen, Histore Romaine, Op. Cit., pp. 23 29

المتوسط واستولت بعد قتال شرس خلال القرن الثانى قبل الميلاد على صقلية وسردينيا وقرطاجة عام ١٤٦ ق. م بعد حروب ثلاثة طاحنة عرفت باسم الحروب البونيقية Les guerres puniques التى بدأت عام ٢٠١ ق.م - ثم استولت على اسبانيا وبلاد اليونان ، وبلاد الغال وأقاليم أخرى فى أوربا - وحتى حكم الإمبراطور أغسطس عام ٢٧ ق.م ، ونهاية القرن الأخير قبل الميلاد اتمت روما فتوحاتها حول حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأخضعت معظم الدول القديمة فى الشرق تحت سلطانها واعتبر الرومان أنفسهم أوصياء على شعوب العالم بحد السيف . (١)

ومن عهد الامبراطور أغسطس عام ٢٧ ق.م - حتى نهاية عهد الامبراطور السكندر سفير عام ٢٣٥ م يعتبر عصر المجد والرخاء للرومان ويطلقون عليه بعض المؤرخين العصر الذهبى حيث تكونت لهم امبراطورية عظيمة امتدت من الغرب إلى الشرق (٢) ، وظهرت فى تلك الفترة كقوة وحيدة لدى جميع شعوب العالم المتمدينة ، لان الرومان تفوقوا فى الحروب واعتبروها فنهم الأول (٣) ، وكانت مهارتهم وشجاعتهم فى القتال وخوض

(١) أندريه إيمارد ، جانين أبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، روما وإمبراطوريتها ، مرجع سابق ص ١٠٢ ومابعدها

(٢) د. صوفى حسن أبو طالب ، مبادىء تاريخ القانون ، مرجع سابق ، ص ٥٧١ .

(٣) أندريه إيمارد . جانين أوبوايه تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة مرجع سابق ص ٤٣٣ ومابعدها

المعارك فتحا ودفاعا عن مجد وعظمة امبراطوريتهم لا مثيل لها في ذلك الوقت مما جعلهم في نظر جميع المجتمعات والدول الأخرى القديمة قوة لا تقهر (١) .

الا أنه بعد منتصف القرن الثالث الميلادى بدأ الغرور ينخر في عظامهم - فظهرت عوامل التفكك والإنحدار في كيان إمبراطوريتهم من عدة نواح أهمها مايلى :

١- عدم وجود قانون يحسم وراثة العرش بعد وفاة الإمبراطور مما أدى إلى إثارة الفتن والاضطرابات عند تعيين بدلا منه .

٢ - تجمع قبائل الجرمان عند الحدود الشمالية للإمبراطورية وقيامهم بغارات متكررة هددت سلامتها وأنهكت قواها .

٣ - عدم كفاية القوانين الرومانية لتنظيم شئون البلاد الشاسعة للإمبراطورية مما أدى الى ظهور فوضى وعدم استقرار .

٤- قيام الإمبراطور قسطنطين بنقل عاصمة الامبراطورية من مدينة روما الى القسطنطينية - ثم تقسيم الامبراطورية نتيجة لازدياد

(١) د عمر كمال توفيق . تاريخ الدولة البيزنطية طبعة ١٩٧٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب . فرع الأسكندرية ص ١٥

عوامل الضعف والتفكك وعدم السيطرة الكاملة على كافة ارجاءها إلى قسمين فى نهاية القرن الرابع كمحاولة فاشلة لإنقاذها من التدهور - الأولى : الإمبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية ، والثانية : الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما .

٥ - زيادة دكتاتورية الأباطرة وفساد حكام الأقاليم وإنشغالهم بأمور أخرى بعيدة عن اصلاح الانهيار الذى دب فى أركان الإمبراطورية .

٦- ضعف روح الشجاعة لدى القادة والجنود الرومان نتيجة تحولهم الى حياة الترف والانغماس فى الشهوات - وقيامهم بالاعتماد على فرق من المرتزقة التى أصبحت بعد فترة قصيرة خلال القرن الرابع الميلادى تكون جيوشا كاملة داخل الجيش الرومانى دون أن يكون لها ولاء للإمبراطورية أو لمصالحها العليا . (١)

ومن هذه الأمور دبت الشيخوخة فى جسد الإمبراطورية الغربية ، ولم يستطع حكامها ترميم ما تصدع منها ، أو وقف خطورة قبائل الرجرمان

(١) د. عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق ص ٢٧
د. حسن شحاته سعفان ، مونتسكيو ، مرجع سابق ، ص ٤٢ ، ١١١

الذين توغلوا فى كل أرجائها حتى تمكنوا من تحقيق زحفهم الأخير ، وأسقطوا روما عام ٤٧٦ م - وبالتالى تحطمت الامبراطورية الرومانية الغربية وأقيم على أنقاضها ممالك جرمانية بدأت بها أوروبا عصر الفوضى فى القرون الوسطى (١) .

المبحث الثانى

الطابع الحضارى للرومان

أن إختفاء روما لم يدفن ثمار حضارتها الإنسانية التى ظلت أوروبا قرونا عديدة تعتنقها ، وتهتدى بها فى الفكر والفلسفة وكافة العلوم الإنسانية والنظم القانونية - كما أن روح حضارتها قد أيقظت الشعوب الأوروبية من غفوة العصور الوسطى ودفعتهم نحو صحوة التقدم الحضارى فى فجر العصور الحديثة - ومن أهم ثمار الحضارة الرومانية مايلى :

١- يرجع إليها الفضل فى انتشار الديانة المسيحية واهتداء معظم شعوب ولاياتها الى اعتناقها - (وذلك بعد أن كانت محل أضطهاد الأباطرة فى أول الأمر نتيجة تعارض مبادئها مع الديانات الوثنية القائمة على تعدد الألهة وتقديس الأباطرة)(٢) - حيث قام الإمبراطور قسطنطين بإعتناقها

(١) د اسحق عبيد ، تاريخ العصور الوسطى المبكرة ، ١٩٨٠ ، ١٩٨١ مكتبة العربية ، جامعة عين شمس ، ص ٤٩ ومابعدها

(٢) الإمام محمد أبو زهرة ، مقارنات الأديان ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

وأعلن عام ٣١٣ م منشور ميلانو الذى أعتبر أول وثيقة إنسانية ظهرت فى تاريخ البشرية تتضمن بصفة رسمية حرية العقيدة لكل إنسان ، حيث أعترفت بالديانة المسيحية ، وبأن لكل شخص الحرية الكاملة فى إعتناق ديانته (١) - وبعد ذلك إنتشرت الديانة المسيحية فى كل أرجاء الإمبراطورية وأصبحت دين الأغلبية ، ولم ينته القرن الرابع حتى قرر الإمبراطور الرومانى تيودوز الأول عام ٣٩١ م بإعتبارها دين الدولة الرسمى ، وحرم فى الوقت ذاته اقامة شعائر الديانة الوثنية القديمة ولذلك فالفضل الأول لإنتشار الديانة المسيحية يرجع إلى حضارة الرومان .(٢)

٢ - اغتنت الحضارة الرومانية بالفلسفة والفكر النافع والمبادىء الإنسانية - مثل فلسفة الإمبراطور مارك أوريل Marc Aurels الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى ، وكان من أكثر أباطرة الرومان تقشفاً مع تحليه بالفضائل - حيث أنه رغم انشغاله بمتاعب الملك وحروبه ضد البرابرة الذين أخذوا يهددون الإمبراطورية فى قطاعها الشمالى ، كان فيلسوفا إنسانيا اهتم بالحكمة والأدب وقال : (إذا كان الذكاء والعقل والتمييز والمنطق من الظواهر المشتركة للجماعة الإنسانية كلها - فلماذا لا تكون

(١) أندريه إيمار ، جانين أوبواية : تاريخ الحضارات العام ، روما وإمبراطوريتها ، مرجع سابق ص ٥٥٩ ومابعدها .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، الجزء الثالث من المجلد الثالث . ترجمة محمد بدران ، إختاره وإتفقت على ترجمته الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية عام ١٩٦١ القاهره ص ٢١

جميع الشعوب أخوة مادامت تجمعنا قاعدة مشتركة – فنعيش فى سلام، وفى ظل حكومة واحدة للجميع ، ويصبح العالم مدينة واحدة يعيش فيها الناس على أسس العدالة والتعاون والمحبة) [1] – ثم استطاعت فلسفة الديانة المسيحية بما فيها من مبادىء أخلاقية سماوية أن تهذب مافى الإنسان من غرائز ، وتضع له قانونا أخلاقياً صالحاً للحياة [2] بالإضافة إلى ذلك فقد أبتكرت الحضارة الرومانية نظريات كثيرة فى كافة العلوم الإنسانية كالطب والهندسة والصناعة والزراعة والرياضة والفلك والفنون التصويرية ، ورسمت معالم الطريق للعلم الحديث فى أوربا [3] .

٣ – بعد قيام روما بالتوسعات والفتوحات نتيجة بسط سيادتها على المدن المجاورة لها فى إقليم لاتيوم ، وإستيلائها على معظم شعوب العالم المتمدينة فى أوربا وآسيا وأفريقيا ، وكونت إمبراطوريتها من الغرب إلى الشرق – أصبح رعاياها يتشكلون من الرومان Romani واللاتين Latni والأجانب Pergrini ، ونتيجة لإختلاف الحالة الوطنية لكل فئة ظهرت قواعد قانونية من أجل تنظيم العلاقات الجديدة ، ومسايرة التطورات التى تحدث فى إرجاء الإمبراطورية الناتجة من إختلاف جنس رعاياها . .

(١) هنرى توماس – أعلام الفلاسفة – مرجع سابق ص ١٣٠
(٢) ول ديورانت . قصة الحضارة – قيصر والمسيح – مرجع سابق ص ٢٧٧ .
(٣) جورج سارتون – تاريخ العلم – مرجع سابق ص ٣٠٦ .

فالرومان هم الحاصلون على الجنسية الرومانية أما بالولادة أو بالقانون، والمواطن الرومانى كان يتمتع بكافة الحقوق العامة والسياسية - أما اللاتين وهم فى الأصل سكان إقليم لاتيوم لا يتمتعون بالجنسية الرومانية بل ينتمون إلى المدن التى كانت تتمتع بالإستقلال الذاتى قبل ضمها إلى روما ، ولكل مدينة قانونها الخاص - وكان لهؤلاء اللاتين حقوقاً أقل من حقوق المواطن الرومانى الجنسية حيث لم يكن لهم الحق فى تولى المناصب العامة فى روما وحقوقا أخرى سياسية (١) - واستمر هذا الحال حتى أصدرت روما قانون جوليا Julia عام ٩٠ ق. م حيث نص فيه على منح الجنسية الرومانية لجميع اللاتينيين من سكان إيطاليا كلها - وبالتالى اختفت طبقة اللاتين ، ولم يبق منهم إلا سكان المستعمرات اللاتينية الكائنة خارج إيطاليا

أما الأجانب فكانوا أقل وأدنى مرتبة من الرومان واللاتين - وقديما عندما قامت روما بفتح بلاد تلك الشعوب والاستيلاء عليها لم تكن للأجانب أية حقوق بل كان الرومان يعتبرونهم أعداء Hostes الا أنه سرعان ماخفت حدة هذا المبدأ فيما بعد بسبب تطور الأفكار وضرورة تبادل المنافع ، وازدياد العلاقات التجارية بين الرومان والأجانب (٢) - فظهرت قواعد قانونية جديدة أطلق عليها اسم قانون الشعوب تضمنت أسسا ومبادىء أعطت الحماية

(١) د. عمر ممدوح مصطفى . القانون الرومانى ، مرجع سابق ص ١٢٤ .

(٢) عبد المنعم البدراوى - تاريخ القانون الرومانى - مرجع سابق ص ١٢٠ ومابعدها

وبعض الحقوق للأجانب وخاصة الذين لا تربطهم بروما معاهدات سابقة - وكان هذا القانون يتكون من معظم القواعد المتبعة فى جميع الشعوب والسارية على جميع الناس - ويرجع الفضل فى تكوينه إلى مجهود بريتور الأجانب Praetor Pergrinus الذى أنشأت روما وظيفته عام ٢٤٢ ق.م، ليتولى القضاء والفصل فى المنازعات بين الأجانب أو بينهم وبين الرومان - وكان لمجهود هذا البريتور أثر واضح فى تطوير نظم وقواعد القانون الرومانى وتجريده وتخفيف حدته من الرسميات والشكليات ، حيث كان ينشىء أحكاما ونظما قانونية من خلال ما كان يعرض عليه من منازعات تستند الى القواعد العامة العادلة التى تقرها جميع الشعوب مع قواعد العدالة والأنصاف ، والقانون الطبيعى ، والعادات والأعراف التجارية الدولية . مما أدى إلى تكوين مبادىء ونظم لقانون الشعوب خالية من الصفة الرسمية وذات مرونة غيرت النظرة السابقة للرومان نحو الأجانب (١) - كما أضاف قواعد دولية جديدة فى حقوق الأجانب ، وأحكاما عديدة ارتكز عليها القانون الدولى الخاص مع حسم بعض المشاكل الخاصة بتنازع القوانين (٢) ، وطور من نظم التحكيم حيث كان نظام الدعاوى الذى يقوم بريتور الأجانب بالفصل فيها يتم

(١) د. عمر ممدوح مصطفى . القانون الرومانى ، مرجع سابق ، ص ٧٩ - د. محمد كامل ياقوت . الشخصية الدولية مرجع سابق ٣٠٩ - د. حمدى عبد الرحمن ، فكرة القانون ، مرجع سابق ص ٤٩

(٢) د. عز الدين عبد الله ، القانون الدولى الخاص الجزء الثانى فى تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائى . مرجع سابق ص ١٦

عن طريق التحيكم ، وليس عن طريق الأوضاع الرسمية المتبعة أمام القضاء الرومانى – ولذلك يعد قانون الشعوب ثروة قانونية تكونت من خلال حضارة الرومان وأفادت جميع النظم القانونية لكافة الشعوب وخاصة الأوروبية مع تطوير العديد من الأحكام الدولية (١)

وفى أول يوليو سنة ٢١٢ م ، أصدر الإمبراطور كراكلا دستورا منح بمقتضاه الجنسية الرومانية لغير الرومان من سكان الإمبراطورية الأحرار(٢)– ثم استكمل بعد ذلك ومنح الجنسية لكل الأجانب الموجودين فى الإمبراطورية فى عهد الإمبراطور جستنيان الذى حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية فى الفترة من ٥٢٧ م الى ٥٦٥ م . (٣) .

٤ – إهتم الفقهاء الرومان بضرورة وضع بناء قانونى متكامل من الناحية الفنية – فميزوا بين ثلاث مجموعات من القواعد القانونية – الأولى خاصة بالقانون الطبيعى ، وقد عرفه (شيشرون) الذى يعد من أعظم فقهاء الرومان بأنه (مطابق للعقل السليم ، متفق مع الطبيعة ، معلوم للجميع ، ثابت على وجه الدوام ، لا يتغير من روما إلى أثينا ولا من اليوم الى الغد) وبذلك أعتبر المعيار الشامل الذى يجب أن تسير عليه الجماعة

(١) د. عبد المنعم البدراوى تاريخ القانون الرومانى مرجع سابق ص ٦ ، ٧

(٢) د. صوفى حسن أبو طالب ، مبادىء تاريخ القانون ، مرجع سابق ، ص ٥٧٢

(٣) د. عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى مرجع سابق ص ١٧٤

- حيث تنبثق منه المبادىء العامة والأساسية - مثل مبدأ حرية الإنسان ، ومبدأ المساواة بين البشر ، ومبدأ تحريم الرق - **والثانية خاصة بالقانون المدنى** ويتكون من مجموعة القواعد الوضعية التى تنظم علاقات المواطنين الرومان فيما بينهم ، ونشأت عن طريق العرف والتقاليد المتوارثة وتطورت من الشكلية المعقدة استنادا إلى قواعد القانون الطبيعى - **والمجموعة الثالثة هى قانون الشعوب** ، وتتضمن القواعد التى نشأت بحكم العلاقات فيما بين الأجانب أو بينهم وبين المواطنين الرومان [1] - وبذلك كان القانون الرومانى شاملا لتنظيم كل العلاقات لكافة شعوب الإمبراطورية حتى أطلق عليه بأنه قانون عالمى يترجم بصدق إحساس الإنسانية بضرورة وجود رابطة قانونية متكاملة حيث التقت قواعده تماما مع طبيعة الأشخاص والأشياء [2] ، بالإضافة إلى ذلك فقد مرت فكرة العدالة لدى الرومان بتطورات عظيمة عبر عنها معظم الفقهاء مثل البيان وغيره ، بأنها (الغرض الأسمى الذى يسعى إليه المجتمع لتحقيق النفع العام أو الخير العام) ، وأصبحت بالتالى مصدرا خصبا لجميع مصادر القانون الرومانى بأقسامه الثلاثة [3] ، وأساس تطوير وتعديل نصوصه ، ومن أمثلة ذلك تحقيق المساواه بين الناس ،

---

(١) د. حمدى عبد الرحمن ، فكرة القانون ، مرجع سابق ص ٤٧ ، ٤٨.

(٢) د محمود السقا . أثر الفلسفة فى الفقه والقانون الرومانى فى العصر العلمى ، مرجع سابق ص ٦٠٣.

(٣) أندريه إيمارد . جانين أوبوايه . تاريخ الحضارات العام . روما وإمبراطوريتها ، مرجع سابق ص ٦٤٠.

وتخفيف حدة النظم القانونية من حيث الشكلية - مع استحداث مبادى قانونية جديدة ليس لها سند من نصوص القانون ، وإنما مستوحاة من روح العدالة - مثل من يحدث ضررا للغير يلتزم بالتعويض ولا يجوز للشخص أن يثرى على حساب غيره ، ونظرية الأعذار ، ونظرية الخطأ التعاقدى ، وتقسيم المصروفات الى مصروفات ضرورية ونافعة وكمالية . (١) .

كما ميز القانون الرومانى فى مجال المسئولية بين الجرائم العامة والجرائم الخاصة ، ونص على ذلك صراحة فى قانون الألواح الأثنى عشر الذى وضع من أجل المساواة بين طبقة الأشراف وطبقة العامة فى الحقوق والواجبات (وصدر عام ٤٤٩ ق . م) (٢) - كما قام الفقيه الرومانى البيان Ulpien بتحديد مسئولية الناقل إذا أصيب المسافر أثناء تنفيذ عملية النقل - وقال (إن للمضرور الحق فى مطالبة هذا الناقل بالتعويض إستناداً إلى القانون) ، وقد أعتبر ذلك البداية الأساسية لمبدأ الإلتزام بضمان السلامة وإعتبار مسئولية الناقل التزام بتحقيق نتيجة وهى توصيل الراكب من مكان القيام الى مكان الوصول سليما ومعافى وإلا يلتزم بالتعويض مما يحدث له من أضرار ، وعلى هذا الأساس تقررت هذه المسئولية فى النظم القانونية الحديثة وعقدت بشأنها معاهدات دولية عديدة مثل إتفاقية وارسو عام

(١) د. مصطفى حسن أبو طالب ، مبادىء تاريخ القانون ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ ومابعدها .
(٢) د. سلمان مرقص . الأحكام العامة فى المسئولية المدنية ، محاضرات بجامعة الدول العربية ١٩٥٨ ، ص ٧ .

١٩٢٩ م للنقل الجـوى ، ومعـــاهدة بروكسل عام ١٩٦١ م ، الخاصـة بالنقل البحرى .(١)

المبحث الثالث

أهم النظم القانونية للحضارة الرومانية

يعتبر القانون الرومانى ثروة قانونية استفادت منها معظم الشعوب ، وخاصة الأوروبية التى نظمت من خلاله فروع قوانينها على أسس تطورية فى العصور الوسطى والحديثة ولكى نلقى رؤية موضوعية على ذلك سنعرض موجز عن مضمون وأحكامقانون الألواح الأثنى عشر .

قانون الألواح الإثنى عشر (La Loi des douze tables)

منذ بداية عصر الرومان إنقسم الشعب الرومانى إلى طبقتين . طبقة الأشراف ، وطبقة العامة - وكانت طبقة العامة هى أدنى بكثير من طبقة الأشراف التى كانت تتمتع وحدها بجميع الحقوق العامة والخاصة - وهذا قد أدى إلى حدوث تنازع شديد بين الطبقتين وقيام العامة بعدة حركات ثورية (وخاصة بعد أن زال النظام الملكى ، وتأسس النظام الجمهورى عام ٥٠٩

(٣) د محمد على عمران - الالتزام بضمان السلامة ، وتطبيقاته فى بعض العصور - (دراسة فقهية فى كل من مصر وفرنسا) دار الفكر العربى القاهره ١٩٨١ ص ٨ .

ق.م) من أجل المطالبة بالمساواه فى الحقوق مع طبقة الأشراف - ومنع إحتكار رجال الدين لعلم القانون - وأمام ضغط العامة المتزايد للمطالبة بهذه الحقوق تجاوبت طبقة الأشراف وإتفقت معها على أن يتم وضع قانون تدون فيه القواعد العرفية السائدة حتى تكون معلومة للجميع وتحكم بالعدل الروابط والعلاقات المختلفة بين الرومان .

مراحل إنشاء قانون الألواح أثنى عشر : تتلخص فى الآتى :

* فى عام ٤٦٢ ق. م اقترح أحد نقباء العامه وكان يدعى ترنتيليوس إرسا (Terentilius Arsa) (حيث كان للعامه الحق فى إختيار نقباء لهم فى مجلس الشيوخ ليدافعون عن مصالحهم) بوضع قانون يخص العامة فقط ليحافظ على حقوقهم . إلا أن مجلس الشيوخ رفض هذه الفكرة بحجة أن القانون جزء من الدين ، وإن العامه ليس لهم دين وبالتالى لا يحق أن يكون لهم قانون .

* بعد عدة مناقشات بين الأشراف وممثلين من العامه تمت الموافقة بينهما فى عام ٤٥٥ ق.م على تشكيل لجنة تضم عشرة من الأشراف لوضع هذا القانون مع إرسال لجنة ثلاثية إلى بلاد الإغريق للإطلاع على النظم القانونية فى هذه البلاد وخاصة قانون صولون قبل أن تبدأ لجنة العشرة عملها .

* بعد عودة اللجنة الثلاثية من أثينا بدأ العمل فى إعداد قواعد هذا القانون إستغرق حوالى خمس سنوات حتى تم وضع مجموعة قواعد فى عشرة ألواح أقرها ووافق عليها مجلس الشعب وأمر بإصدارها ونشرها .

* إتضح بعد ذلك أن عمل اللجنة مازال ناقصاً حيث مازالت بعض الأمور الهامة لم يتم التعرض لها - فشكلت لجنة أخرى لإستكمال النقص وكان أعضائها من الأشراف والعامة - وإستمرت تعمل لمدة سنه حتى تمكنت من إعداد مجموعة أخرى من القواعد تم وضعها فى لوحين أخرين - أقرهما مجلس الشعب وأمر بإصدارهما عام ٤٤٩ ق.م - وبذلك أصبح عدد الألواح أثنى عشر لوحاً ، وأطلق على القانون الذى صيغت قواعده على هذه الألواح (قانون الألواح الأثنى عشر) - الذى تم إعلانه فى الساحة الشعبية أمام الشعب الرومانى ليكون معلوم للجميع [1]. وبعض العلماء يقول أن الألواح كانت من العاج والبعض الآخر يقول أنها كانت من البرزونز حيث لم يعثر عليها لأنها تحطمت تماماً عندما غزت قبائل الغال روما ومزقتها ودمرتها بالكامل عام ٣٩٠ ق.م - ولذلك فالنصوص الموجودة لدينا الآن لقانون الألواح الأثنى عشر عبارة عن فقرات يرجع الفضل إلى إعادة تجميعها وترتيبها إلى مؤرخى وفقهاء وعلماء الرومان .

---

(١) د. محمود سلام زناتى نظم القانون الرومانى طبعه ١٩٦٦ القاهره . دار النهضة العربية ص ٤٨ . ٤٩

أهدافه العامة :

على ضوء ماتقدم يمكن أن نستخلص الأهداف العامه لهذا القانون على النحو التالى :

١- تحقيق المساواه فى الحقوق (aequatio juris) بين الأشراف والعامه.

٢- تدوين القواعد العرفية لتكون واضحة ومعلومة للجميع وإزالة كل ما كان يحيط بها من شك أو غموض .

٣- القضاء على إحتكار رجال الدين لعلم القانون وتطبيقة [١]

طابعه المميز :

١- رغم تشابه ظروف وأهداف قانون الألواح والقوانين الإغريقية (دراكون وصولون) ، إلا أنه يوجد فارق هام بينها يتلخص بأن قانون الألواح اتسم بالشكليات على أساس أن المجتمع الرومانى كان فى بداية الأمر مجتمعاً زراعياً مغلقاً ، أما القوانين الإغريقية كانت عكس ذلك لأنها كانت تحكم مجتمعاً تجارياً متحضرا رسخت فيه أمور المعاملات بكثرة . وإزدادت تداولها .

(١) د. عادل بسيونى - التاريخ العام للنظم والشرائع - مرجع سابق ص ٦٨

٢ - صيغت قواعد هذا القانون فى أسلوب شعرى موجز مثل جميع المدونات التى ظهرت فى مجتمعات العالم القديم .

٣ - إذا كان قانون الألواح يعتبر أساساً للقانون الرومانى ويمثل بداية عهد التطور فى إنفصال القانون عن الدين -إلا أنه لم يخلو من بعض القواعد التى تتعلق بأمور العقيدة الدينية مثل التى تتضمن آداب الديانه ومراسم الجنازات .

٤ - إشتمل على بعض الأحكام التى تتسم بالشدة والقسوة مثل التنفيذ على جسم المدين ، والتزمت فى تطبيق عقوبة المثل (القصاص) .

٥ - أحكام هذا القانون بصفة عامة لم تكن فى صالح طبقة العامة رغم أنه جاء بناء على رغبتهم وإنما كانت فى صالح طبقة الأشراف (١) .

أهم أحكامة .

تناولت أحكام هذا القانون جميع فروع القانون التى كانت سائده وقت إصداره - وكان هذا من الأسباب التى جعلت الأجيال تنظر إليه على أنه مصدراً أساسياً للقانون العام والخاص - ولكن على الرغم من هذه النظرة

(١) د. صوفى أبو طالب - مبادىء تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ١٥٣ .
- د. عبد السلام الترمانينى - محاضرات فى تاريخ القانون - مرجع سابق - ص ٧٣
- د عادل بسيونى - التاريخ العام للنظم والشرائع - مرجع سابق - ص ٧١

فإن دقة الفحص قد أثبت أن هذا القانون لا يمثل تقنينا شاملا لأنه لم يضم كل القواعد العرفية التى كانت سائدة وقت صدوره وإنما اقتصر على بعض القواعد الخاصة والأحكام الجزئية - فلم يتعرض لأحكام القانون العام إلا نادراً ، وبالنسبه لأحكام القانون الخاص فلم يتعرض الا للأحكام الجزئية وأقتصر على تجميع القواعد العرفية التى كانت محل غموض أو شك أو مثار خلاف بين العامه والأشراف وترك القواعد الأخرى رغم أن بعضها كانت تحوى مسائل قانونية على جانب كبير من الأهمية (١) . . . وأهم أحكام هذا القانون تتبلور فى الآتى .

١- الأحكام الخاصة بالإجراءات الشكلية لنظام الدعاوى :

دونت فى الألواح الثلاثه الأولى أحكام تناولت نظام الدعاوى عند الرومان . وتنقسم هذه الدعاوى إلى قسمين

أ - دعاوى تقريرية (Action déclaratoires) وتستهدف حصول الدائن على حكم قضائى يقر أحقية ما يدعية ، أو حصوله على سند أو إقرار يؤكد ماله من حقوق فى ذمة المدين .

ب - دعاوى تنفيذيه (Action Exécutoires) وتهدف إلى تمكين

(١) د محمود سلام الزناتى نظم القانون الرومانى - مرجع سابق ص ٥٠

من صدر لصالحه حكم أو من كان يحمل سنداً يؤكد حقه من التنفيذ علي جسم المدين أو علي ماله - وذلك مثل دعوى أخذ رهينة التي كانت تحول للدائن الحق في أن يقوم بالاستيلاء جبراً علي مال المدين وحجزه حتي يتمكن من أن يأخذ منه كامل حقوقه .

وهذه الدعاوى كانت شكلية حيث كانت تتطلب إجراءات معينة وألفاظ معينة وكان أي خطأ فيها يترتب عليه ضياع الحق . وذلك لأن الحق اختلط بالدعوى ، وأصبح عند الرومان لا يعترف بالحق إلا من خلال دعوى صحيحة اتبعت فيها بدقة الإجراءات الشكلية (١)

٢- الأحكام الخاصة بنظام الأسرة .

تناول اللوحان الرابع والخامس نظام الأسرة من حيث أمور الزواج والطلاق والإرث والوصية ، والأسرة الرومانية كانت تقوم في هذا العصر أو في هذا الزمان علي أساس النظام الابوي أي تخضع لسلطة الأب بكل ما فيها من أشخاص (أبنائه ، وبناته ، وفروع الأبناء . وزوجاته . وأقربائه . وأموالهم جميعاً) ... وكانت سلطة الأب مطلقة إلا أنه بعد صدور قانون الألواح الإثني عشر فرضت عليها بعض القيود خففت من حدتها المطلقة .

- حافظ الرومان دائماً علي نظام الزواج الفردي بعكس

---

١) أ.د / عادل بسيوني - الوسيط في تاريخ النظم والشرائع - طبعة ١٩٩٨ - دار الثقافة العربية - ص ١٤٣

الإغريق الذين كانوا لا يمنعوا تعدد الزوجات (١) .

-عرف الرومان نوعين من الزواج الأول : الزواج مع السيادة أو (الزوج بسيادة) بأن تخرج الزوجة من سلطة أبيها أو رب أسرتها وتخضع لسيادة زوجها أو لسيادة صاحب السلطة عليه . والثاني : الزواج بدون سيادة بأن تبقي الزوجة علي حالتها الأولي سواء كانت خاضعة لسلطة رب أسرتها أم مستقلة بحقوقها - في حين لم يعرف الإغريق ولا الحضارات الشرقية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم سوى نظام الزواج الأول .

- ويقول معظم الفقهاء والمؤرخين بأنه قبل صدور قانون الألواح الإثنى عشر كان الزواج والسيادة الزوجية متلازمين تلازماً تاماً لأن نظام الأسرة قديماً كان يقتضي خضوع كل أعضائها لسلطة رب الأسرة - ولذلك فقد كان الزواج مع السيادة هو السائد في روما خلال القرون الأولي من حياتها إلا أنه بعد أن ظهر قانون الألواح الاثني عشر قل العمل بنظام الزواج مع السيادة وحل بدلاً منه نظام الزواج بدون سيادة الذي انتشر استعماله بعد ذلك بكثرة حتي قضي علي الزواج مع السيادة في القرن الرابع ولم يبق في قانون **جستنيان** إلا الزواج بدون سيادة .

- عرف الرومان بعض موانع زواج لم تكن معروفة من قبل عند الإغريق ومعظم الحضارات الشرقية القديمة فيما عدا المجتمع اليهودي - أهمها تحريم الزواج بين الأخ وأخته وبين

---

(١) د / عمر ممدوح مصطفي - القانون الروماني - مرجع سابق - ص ١٩١ .

د / عبدالمنعم البدراوي - تاريخ القانون الروماني - الطبعة الأولي ١٩٤٨/١٩٤٩ - القاهرة - ص ٨٣ - ٨٨ .

الولد وعمته أو خالته ، وبين البنت وعمها أو خالها - هذا وإن كان قد ورد استثناء بعد ذلك على قاعدة تحريم زواج البنت من عمها حيث تم إباحته عندما سمح للإمبراطور **كلايد أن** يتزوج إبنة أخيه وتبني أبنها **نيرون** الذي جلس بعد ذلك على العرش وأصبح من أشهر أباطرة الرومان لما ارتكبه من أعمال مليئة بالظلم والفساد (١)

- عرف الرومان بعد حالات تنقضي فيها الرابطة الزوجية - أي حالات طلاق لم تعرف ولم تطبق عند الإغريق ولا في معظم المجتمعات الشرقية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم - وأهم هذه الحالات هي : حالة ما إذا فقد أحد الزوجين حريته أو وطنيته ينحل الزواج إجبارياً سواء كان هذا الزواج بسيادة أو بدون سيادة - وحالة إذا كان الزوج أسير ، فإن كان زواجه بسيادة فلا ينحل هذا الزواج ، أما إذا كان زواجه بدون سيادة فينحل هذا الزواج وكان يحق للزوجة أن تتزوج مباشرة من آخر دون انتظار مدة معينة غير أن **جستنيان** قد أصدر قانوناً بعد ذلك ألزم فيه الزوجة المتزوجة بدون سيادة أن تنتظر زوجها الأسير خمس سنوات قبل أن تطلقه وتتزوج من غيره (٢)

- نظام الإرث عند الرومان كان يقضي بتقسيم تركة المتوفى بين أبناءه الذكور والإناث وزوجته - وفي حالة عدم وجود أولاد ذكور أو بنات كات التركة تؤول إلى أقرب العصبات

---

١) د / عمر ممدوح مصطفي – القانون الروماني – مرجع سابق – ص ١٩١ – ص ١٩٢

د/ محمود سلام زناتي – نظم القانون الروماني – مرجع سابق – ص ٦٠ وما بعدها .

٢) د / عمر ممدوح – القانون الروماني – مرجع سابق – ص ١٩٩ – ص ٢٠٤ .

د / عبدالمنعم البدراوي – تاريخ القانون الروماني – مرجع سابق – ص ٧٠ وما بعدها .

من الذكور ومـــا تبقـــي منـــهم ومـــن البنـــات فـــي ســـلطة رب الأســـرة - ولا يدخـــل فـــي هـــذه التركـــة فـــروع الإنـــاث ولا البنـــات اللاتـــــي تزوجـــن بســـيادة الـــزوج ، ولا الذيـــن خرجـــوا مـــن الأســـرة بـــالتبني أو التحريـــــر (١)

٣-الأحكـــام الخاصـــة بالملكيـــة :

تنـــاول اللوحـــان الســـادس والســـابع الأحكـــام الخاصـــــة بالملكيـــــة - وقد أخذ قـــانون الألـــواح بنظـــام الملكيـــة الفرديـــة وكـــان نقـــل الملكيـــة يتم طبقاً لأحكام هـــذا القـــانون أمـــا بالشـــهادة وهـــو عبـــارة عـــن بيـــع رســـمي بثمـــن معجـــل ، أو بـــالدعوى الصوريـــة التـــي يحكـــم فيـــــها القاضي لأحد الأطـــــراف المتنازعـــة بـــالحق فـــي حالـــة مـــا إذا أدعـــي كل منهما بأن المال مملـــوك لـــه فقـــط .

- وإذا كـــان الرومـــان قـــد أعطـــوا الحريـــة الكاملـــة لجميـــع أفـــــراد الشـــعب (الأحـــرار فقـــط) فـــي التعـــامل وممارســـة التجـــارة والتعـــاقد والملكيـــة وذلـــك مثـــل الإغريـــق وبعـــــض المجتمعـــات الشـــــرقية القديمـــة - إلا أن الرومـــان قـــد نظمـــوا هـــذه المســـائل بنظـــم وقواعـــد متطـــورة عـــن المجتمعـــات القديمـــة الأخـــرى وذلـــك نتيجـــة كـــــثرة التبـــادل واتســـاع التجـــارة عنـــد الرومـــان ممـــا أدي إلـــي ضـــــرورة ظـــهور قواعـــد قانونيـــة تنظـــم هـــذه المســـائل وتتناســـب مـــع هـــــذا التطـــور .

وعلي هذا الأساس قـــد عـــرف الرومـــان تقســـيمات عديـــدة للعقـــود لـــم تكـــن معروفـــة بـــهذا الشـــكل فـــي معظـــم المجتمعـــات القديمـــة مثـــل العقـــود اللفظيـــة والعقـــــود الكتابيـــــة والعقـــــود العينيـــــة والعقـــــود الرضائيـــة والعقـــود الرســـمية وغـــير الرســـمية ، والعقـــــود التابعـــــة

(١) د / عمر ممدوح مصطفي - القانون الروماني - مرجع سابق - ص ١٨١ وما بعدها .

للقانون المدني ، والعقود التابعة لقانون الشعوب ، والعقود التبادلية والعقود الملزمة لجانب واحد - كما حدد الرومان أيضا بشكل أكثر دقة أركان العقد وهي الرضا والأهلية والمحل والسبب - وكان الجزاء المترتب علي فقد إحدى هذه الأركان هو بطلان العقد .

- هذا بالإضافة إلي أن الرومان قد قسموا الأشياء بصفة عامة إلي قسمين رئيسين - **الأولي** خاص بالأشياء الخارجة عن دائرة التعامل وهي التي لا يمكن بحكم طبيعتها أن تكون محلا للتصرفات القانونية ولا يصح أن تكون ملكا لأحد من الأفراد وهي مثل الأشياء الخاصة بحقوق الآلهة أو الأشياء الخاصة بحقوق كل الشعب .

والقسم الثاني يحتوي علي الأشياء الداخلة في دائرة التعامل وهي التي تكون لها قيمة يمكن تقديرها ، وقابلة لتملك الأفراد وتدخل في تكوين الذمة المالية وهي التي تدخل في دائرة التصرفات القانونية ، مثل **الأموال المنقولة** كالأثاث والمحاصيل الزراعية والبضائع المختلفة ، **والأموال العقارية** كالمنازل والأراضي الزراعية ، **والأموال المثلية** التي يقوم بعضها مقام بعض في الوفاء كبيع أردب قمح مقابل أردب ذرة أو مقابل عدد معين من الألواح الخشب ، **والأموال القيمية** التي يتم الوفاء بقيمتها الفعلية ، **والأموال المادية** التي تقع تحت الحواس ولها وجود مجسم ومحدد تراه العين .

والأموال المعنوية التي لا تقع تحت الحواس ، ولا وجود لها إلا في الذهن كحق الانتفاع وحق الارتفاق - وهذه التقسيمات لم تكن معروفة عند الإغريق ولا في معظم

المجتمعات الشرقية القديمة .- وأيضاً عرف الرومان صور للملكية لم تكن معروفة بهذا الشكل في المجتمعات القديمة الأخرى التي ظهرت وتألقت حضارياً في العالم القديم - وهذه الصور تتلخص في **الملكية الرومانية** التي يشترط فيها أن يكون المالك رومانياً والمال المملوك رومانياً وطريقة اكتسابه رومانية ..... **والملكية البريتورية** التي لا تعترف بها نصوص القانون المدني الروماني وإنما يحميها البريتور بدعوى دفوع إنشائها خصيصاً لذلك استناداً إلي مبادئ العدالة وقانون الشعوب ..... **والملكية الإقليمية** التي كانت تقرر للأفراد حق الحيازة والانتفاع بالأرض الواقعة في الأقاليم التي كان يسيطر عليها الرومان ..... **والملكية الأجنبية** التي كانت تخص الأفراد الذين لا يحملون الجنسية الرومانية في الأقاليم التي كان يسيطر عليها الرومان وهذه الملكية كانت تخضع لأحكام قانون المدينة التي ينتمي إليها الأجنبي أو لقواعد قانون الشعوب ، وظلت سارية إلي أن تم زوالها عقب صدور دستور الإمبراطور كراكلا عام ٢١٢ م الذي منح الجنسية الرومانية لجميع سكان الإمبراطورية الرومانية الأحرار (١)

---

(١) د / عمر محمود مصطفي – القانون الروماني – مرجع سابق – ص (٢٦٩-٢٧٧) ، ص (٢٨٦-٢٩٢) ، ص (٤٧٣-٤٧٧)

- د / محمود سلام زناتي – نظم القانون الروماني – مرجع سابق – ص ٧٠ وما بعدها .
- د / عبدالمنعم البدراوي – تاريخ القانون الروماني – مرجع سابق – ص ٦٥ وما بعدها .

٤- الأحكام الخاصة بالمسائل الجنائية :

تناولت الألواح من الثامن حتى الثاني عشر الأحكام الخاصة بالمسائل الجنائية - وقانون الألواح قد قسم الجرائم إلى نوعين أساسيين :

النوع الأول : خاص بالجرائم العامة : وهي التي تمس المصالح العليا في الدولة مثل جريمة الجناية العظمي وقتل الأب ومحاولة قلب نظام الحكم وكان العقاب في معظم هذه الجرائم الإعدام - وفي الغالب كان يتولى أمر توقيعه الحاكم .

والنوع الثاني : خاص بالجرائم الخاصة ، وهي التي تمثل اعتداء علي حقوق الأفراد الخاصة - وكان يترك لهم في بعض الجرائم طلب توقيع العقاب ، ومن أهم الجرائم الخاصة في قانون الألواح جريمة السرقة إذ خصص لها ما يقرب من نصف اللوح التاسع ويقضي القانون بقتل السارق إذا ضبط متلبساً أما في غير حالة التلبس فكانت العقوبة هي أن يقوم الجني برد ضعف قيمة المال المسروق كما كان يمكن للمجني عليه أن يسرق الجاني - وأيضاً من الجرائم الخاصة جريمة الاعتداء علي الغير - فكانت عقوبة الإعدام توقع علي من يستخدم السحر وسيلة لقتل شخص أو الإضرار به أو بمصلحته - وفي حالة قطع عضو من جسم الإنسان كان للمجني عليه حق القصاص ما لم يتفق مع الجاني علي الدية - وفي حالة كسر العظام ألغي قانون الألواح حق القصاص فيها ، وأحل .

محله الديه الإجبارية حيث قرر ٣٠٠ أسا للحر ، ١٥٠ للعبد ، وأيضاً فى أحوال الإعتداء الأقل خطوره كانت الديه إجبارية وقدرها ٢٥ اسا ، وفى حالة القتل خطأ كانت الدية عبارة عن تقديم كبش لأهل المجنى عليه (١) .

- وقد ظل قانون الالواح ساريا على الرومان منذ صدوره فى عام ٤٤٩ ق.م حتى عهد الإمبراطور جوستنيان الذى حكم الإميراطورية الرومانيه الشرقية فى الفترة من (٥٢٧ م - ٥٦٥ م) أى أن أحكامه ظلت نافذه من الناحية الرسمية فترة تمتد إلى حوالى الف سنة - ولكن طوال هذه الفترة كان يتعرض بطرق غير مباشرة لبعض التعديلات البسيطة (٢)

ومن هذا المنطلق تعتبر الحضارة الرومانيه حضارة إنسانية بالرغم ماحدث فيها من سلبيات عندما إمتدت وحكمت شعوبا العالم فى الشرق والغرب - وأنها أضافت وطورت العديد من العلوم الإنسانية ، وساهمت بإيجابية فى إنشاء نظم وقواعد قانونية جديدة - وإذا كان مجد وعظمة هذه الحضارة فى الغرب قد إنتهى بسقوط روما على يد قبائل الجرمان فى عام ٤٧٦ ميلادية - إلا أن ذلك لا يمحو طابعها الإنسانى ، لأن ماحدث لها ماهو إلا تأكيد القاعده الكبرى التى تسود معظم الظواهر التاريخية - بأن كل دولة

(١) د عبد المنعم البدراوى - تاريخ القانون الرومانى - الطبعه الأولى ١٩٤٨/١٩٤٩ ص ٦٧ - ٦٩ ،
د عادل بسيونى - التاريخ العام للنظم والشرائع - مرجع سابق ص ٦٩ ، ٧٠

(٢) د محمود سلام زناتى - نظم القانون الرومانى - مرجع سابق ص ٥٠ ، ٥١

تبدأ فى التقديم والرقى حتى تصل إلى أوج عظمتها وحينئذ تصبح نظمها السياسية والإجتماعية فى موقف غير متناسب مع الحاله الجديدة مما يؤدى بها إلى الإنحلال والإضمحلال (١) .

(١) د. حسن شحاته سعفان – مونتسكيو – مرجع سابق – ص ١١٢.

الفهـــرس

مقدمـــــــــة : ٧

الباب الأول
أهم النظم القانونية لحضارات الشرق الأوسط ٢٥

تقديـــــــــم : ٢٧
الفصـــــل الأول : النظم القانونية لحضارة مصر الفرعونيـة ٢٩
المبحـــــث الأول : التقسيم التاريخي للعصر الفرعونـــي ٣٩
المطلـــــب الأول : تقسيم العصر الفرعوني إلي نظام الأســرات ٤١
المطلـــب الثـــاني : تقسيم العصر الفرعوني إلي عصور سياسية ٤٣
المطلـــب الثـــالث : تقسيم العصر الفرعوني إلي فترات قانونيـــة ٤٧
المبحـــث الثـــاني : الأصول التشريعية للعصر الفرعوني ٦٧
المطلـــــب الأول : مدونة بوكخوريـس ٦٩
أهم أحكام مدونه بوكخوريس ٧٢
١- الأحكام المتعلقة بالزواج وحقوق المـــرأة ٧٣
٢- الأحكام المتعلقة بالميراث والـهبات ٧٤
٣- الأحكام المتعلقة بالملكيـة ٧٥
٤- الأحكام المتعلقة بنظام التعامل والالتزام ٧٥
٥- الأحكام المتعلقة بنظام العقـود ٧٧
المطلـــب الثـــاني : تشريع أمـــازيس ٧٩
أهم أحكام تشريع امـــازيس ٨٤
١- الأحكام المتعلقة بالنظم الإداريـة ٨٤
٢- الأحكام المتعلقة بقواعد العمل ٨٤
٣- الأحكام المتعلقة بحقـــوق المســاواة بيـــن المصريـــن ٨٥
٤- الأحكام المتعلقة بالنظم الاجتماعيـة ٨٥
٥- الأحكام المتعلقة بالنظم الاقتصاديـة ٨٦

٦- الأحكام المتعلقة بالملكية وبالتعاقد والالتزام ٨٧
الفصل الثاني : النظم القانونية لحضارة بلاد ما بين النهرين ٩٣
المبحث الأول : مراحل التطور الحضاري لبلاد ما بين النهرين ٩٥
المبحث الثاني : أهم النظم القانونية لبلاد ما بين النهرين ١٠٣
* قانون حمورابي ١٠٤
* الفرض الأساسي لقانون حمورابي ١٠٥
* الطابع الاجتماعي لقانون حمورابي ١٠٦
* المضمون العام لقانون حمورابي ١٠٩
أولاً : المقدمة لقانون حمورابي ١٠٩
ثانياً : أهم أحكام قانون حمورابي ١١٠
١- الأحكام المتعلقة بالمسائل الجنائية ١١٠
٢- الأحكام المتعلقة بالمسائل المدنية ١١٢
٣- الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية ١١٤
ثالثاً : الخاتمة لقانون حمورابي ١١٧
* خصائص قانون حمورابي ١١٨
الفصل الثالث : نظم وأحكام الشريعة اليهودية ١٢٣
تقديم عن تاريخ أرض فلسطين ١٢٥
المبحث الأول : تاريخ نشأت اليهود وظهور مجتمعهم في العصور القديمة ١٢٩
أولاً : عهد القضاة ١٣٧
ثانياً : عهد الملوك ١٣٨
ثالثاً : عهد التفكك والإضمحلال ١٣٩
المبحث الثاني : التشريع اليهودي ١٤٢
أولاً:العهد القديم : ١٤٥
*** ١- التوراة :** ١٤٥
أ- سفر التكوين ١٤٦
ب- سفر الخروج ١٤٦

ج- سفر اللاويين..... ١٤٦
د- سفر العـــدد..... ١٤٦
هـــ - سفر التثنيـــة ١٤٦
- أهم الأحكام التي تضمنتها التـــوراة ١٤٧
أ- الوصايا العشـــر ١٤٧
ب- العـــــهد والميثـــــاق ١٤٨
٢- الأســفار التاريخيـــة: ١٤٩
٣- أسفار الأناشـيد:..... ١٥٠
٤- أسفار الأنبياء: ١٥٠
ثانيـا التلمـــود :..... ١٥١
المبحـث الثـــاني : **أهم أحكام الشـريعة اليهوديـة** ١٥٢
أولاً : أحكام تتعلق بنظام الحكم ١٥٢
ثانياً : أحكام تتعلق بالنظام القضـائي ١٥٦
ثالثاً : أحكام تتعلق بنظام الجريمة والعقـاب ١٥٨
رابعاً: أحكام تتعلق بالوضع الاجتماعي ١٦٠
خامساً : أحكام تتعلق بنظام الملكيـة ١٦٥
سادساً : أحكام تتعلق بنظام الأسرة ١٦٦

الباب الثاني

أهم النظم القانونية لحضارات الشرق الأقصي القديمة ١٧١
تقديـــــــم : ١٧٣
الفصـــــل الأول : **النظم القانونية للحضارات الهندية القديمـة** ١٧٥
المبحـــث الأول : **مراحل التطور الحضاري للهند القديمة** ١٧٧
المبحـث الثـــاني : **أهم النظم القانونية للحضارة الهندية القديمـة** ١٨٥
* قانون مـانو ١٨٥
* الطابع الديني لقانون مـانو ١٨٦

* الطابع الاجتماعي لقانون مـــانو ١٨٧
* أهم أحكام قانون مانو ١٨٩
١- الأحكام التي تتعلـــق بســـلوك الإنســـان..... ١٨٩
٢- الأحكام التي تتعلق بالمسائل الجنائيـــة ١٩٠
٣- الأحكام المتعلقة بأمور المعـــاملات ١٩١
٤- الأحكام المتعلقة بالعلاقات الخارجيـــة ١٩١
٥- الأحكام المتعلقة بأمور الزواج ونظام الأسرة ١٩٢
الفصـــل الثـــاني : النظـــم القانونيـــة للحضـــارة الصينيـــة القديمـــة ١٩٥
المبحـــث الأول : التطـــور التـــاريخي للحضـــارة الصينيـــة القديمـــة ١٩٨
المبحـــث الثـــاني : الطـــابع الحضـــاري للصيـــن القديمـــة ٢٠٦
المبحـــث الثـــالث : أهـــم النظـــم القانونيـــة للصيـــن القديمـــة ٢١٠
* أهم أحكام النظم القانونية للحضـــارة الصينيـــة القديمـــة ٢١٢
أولاً : الأحكام المتعلقة بالوضع الاجتمـــاعي ٢١٢
ثانياً : الأحكام المتعلقة بالزواج ونظام الأســـرة ٢١٥
ثالثاً : الأحكام المتعلقة بأمور المعـــاملات ٢١٧
رابعاً : الأحكام المتعلقة بالنشاط التجـــاري ٢١٨
خامساً : الأحكام المتعلقة بالنشاط الاقتصـــادي ٢١٩
سادساً : الأحكام المتعلقة بالعقوبات وبنظام القضـــاء ٢٢٠
سابعاً : الأحكام المتعلقة بنظم العلاقات الدولية ٢٢٢

الباب الثالث

أهم النظم القانونية للحضارات الغربية القديمة

٢٢٥
تقديـــــــــم : ٢٢٥
الفصـــــل الأول : النظم القانونية للحضارة الإغريقية..... ٢٢٧
المبحـــــث الأول : التطور التاريخي للحضارة الإغريقية ٢٣١
المبحـــث الثـــاني : الطابع الحضاري لبلاد الإغريق ٢٣٩

١- في مجال الفلسـفة ٢٤٠
٢- في مجال العلوم الإنســانية ٢٤١
٣- في مجال العقيدة الدينيــة ٢٤٢
المبحــث الثــالث : أهم النظم القانونية للحضارة الإغريقية ٢٤٤
أولاً : مدونه دراكـــون ٢٤٥
الطابع المميز لأهم أحكام مدونه دراكـون ٢٤٦
ثانياً : مدونه صولون ٢٤٨
أهم أحكام مدونة صولــون ٢٤٩
١- في مجال الأمور السياسة ٢٤٩
٢- في مجال الأمور الاجتماعيــة ٢٥٠
٣- في مجال الأمور الاقتصاديــة ٢٥٢
الفصــل الثــاني : النظم القانونية للحضارة الرومانيــة ٢٥٥
المبحــث الأول : التطور التاريخي للحضارة الرومانية ٢٥٧
المبحــث الثــاني : الطابع الحضاري للرومــان ٢٦٥
المبحــث الثــالث : أهم النظم القانونية للحضارة الرومانية ٢٧٣
* قانون الألواح الإثني عشـــر ٢٧٣
* مراحل إنشاء القـانون ٢٧٤
* أهم أهداف قانون الألواح الإثني عشـو ٢٧٦
* الطابع المميز لقـــانون الألـــواح الأثنـــي عشـــر..... ٢٧٦
* أهم أحكام قانون الألواح الإثني عشـو ٢٧٧
١- الأحكام الخاصة بالاجراءات الشكلية لنظـــام الدعـوي ٢٧٨
٢-الأحكام الخاصة بنظام الأســـرة ٢٧٩
٣- الأحكام الخاصة بنظام الملكيـــة ٢٨٢
٤- الأحكام الخاصة بالمسائل الجنائيــة ٢٨٥
الفـــــــهرس : ٢٨٩

رقم الإيداع : ٢٠٠٢ / ٣٩٠١
الترقيم الدولى : I.S.B.N. : 977 - 200 - 345 - 7